THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

الجزء الاول

من كتاب الكامل

فى اللغة والادب تأليف العلامة

الهمام علم الائمة الاعلام أبى العباس محمد

ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة ٢٨٥

هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه

فسيح جنته

آمين

﴿ فى مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون مانصه ﴾

وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى وماسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرزها مامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبى عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

﴿ محل مبيعه ﴾

(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بدر الطوبى وأخيه)

﴿ بجوار المسجد الحسينى بمصر ﴾

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ بمطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه ﴾

﴿ سنة ١٣٢٣ هجريه ﴾

M883

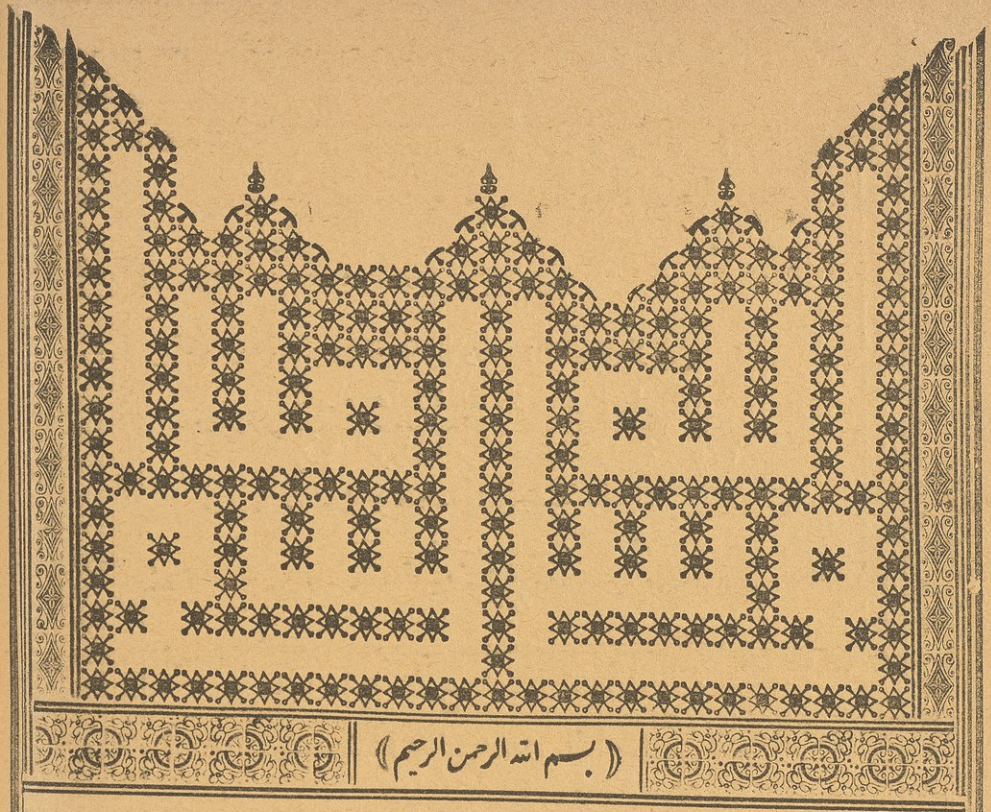

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدي حقه وتزلفه عند به (قال أبو العباس) هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر منصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن ان يرجع الى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد يرضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شئ قدير • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار في كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود)

وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ورفع عنك الندامة كتبت الى أيدك الله تسألني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دليله وأفعاله وكيف تعرف أموره وأحواله ولم يعرف ظاهره ومكتومه وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ولم كثر في الاقرباء وقل في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين وكيف خص به الجيران من بين جميع أهل الاوطان والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود علاجه عسر وصاحبه ضجر وهو باب غامض وأمر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه في عناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الأمم من

سلامة

سَلَامة بن جَنْدَل كُنَّا اذا ما أتانا صارخ فَزِعُ * كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظَّنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجِدَّ فى نصرته يقال قَرَعَ لذلك الامر ظُنبوبه اذا جدَّ فيه ولم يَفْتُر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فَزِعَ فى معنى أغاث كما قال الكلحبة اليَرْبوعىّ (قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هُبَيْرَة وهو من بنى عَرِين بن يَرْبوع والنسب اليه عَرِينىّ وكثير من الناس يقول عُرَنِىّ ولا يدرى وعُرَيْنَة من اليمن قال جرير (يهجو عَرِين بن يربوع

عَرِينٌ من عُرَيْنَةَ ليس منّا * بَرِئْتُ الى عُرَيْنَةَ من عَرِين)

فقلتُ لكأس أجْبِيها فانما * حَلَأْتُ الكَثيبَ من زَرُودَ لافْزَعا

يقول لأُغيثَ وكأس اسم جارية وانما أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مُقَدَّم عَظْم الساق * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أُخْبِرُكُمْ بأحَبِّكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسِنُكُمْ أخلاقا المُوَطَّؤُنَ أكنافا الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفون ألا أخبركم بأبْغَضِكم الىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثَّرْثارُونَ المُتَفَيْهِقون قوله صلى الله عليه وسلم الموطؤن أكنافا مَثَلٌ وحقيقته ان التوطئة هى التذليل والتمهيد يقال دابة وَطِىءٌ يافتى وهو الذى لا يُحَرِّكُ راكبَه فى مَسيره وفِراش وطىء اذا كان وَثيرا لا يُؤْذى جَنْبَ النائم عليه فأراد القائل بقوله مُوَطَّأ الاكناف ان ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مُؤْذًى ولا ناب به موضعُه (قال أبو العباس) حدثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشىّ قال حدثنى الأصمعىّ قال قيل لأعرابى وهو المُنْتَجِع بن نَبْهان ما السَّمَيْدَع فقال السيد المُوَطَّأ الاكناف وتأويل الاكناف الجوانب يقال فى المثل فلانٌ فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذَرَى فلان وفى ناحية فلان وفى حَيِّز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعنى الذين يُكْثِرون الكلام تَكَلُّفا وتجاوُزا وخروجا عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثَرْثارة وكان يقال لنهر بعينه الثَّرْثار وانما سمى به لكثرة مائه قال الأخْطَلُ (واسمه غِياث بن غَوْث يُكَنَّى أبا مالك ويلقب بدَوْبَل والدَّوْبَلُ الخنزير)

لَعَمْرِى لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامرٌ * على جانب الثَّرْثار راغيةَ البَكْرِ

قوله راغية البكر أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مَثَلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عَبَدَة الفَحْلُ رغا فوقهم سَقْبُ السماء فَدَاحِضٌ * بشكَّتِه لم يُسْتَلَبْ وسَلِيبُ

قبلكم الحسد والبغضاء وقال بعض الناس لجلسائه أى الناس أقل غفلة فقال بعضهم صاحب ليل انما همه أن يصبح فقال انه لكذا وليس كذا وقال بعضهم المسافر انما همه أن يقطع سفره فقال انه لكذا وليس كذا فقالوا له فاخبرنا باقل الناس غفلة فقال الحاسد انما همه ان ينزع الله منك النعمة التى اعطاكها فلا يغفل أبدا ويروى عن الحسن انه قال الحسد أسرع فى الدين من النار فى الحطب اليابس وما أتى المحسود من حاسده الا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه قال الله عز وجل أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والحسد عقيد الكفر وحليف الباطل وضد الحق وحرب البيان فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم منهم تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنتج كل وحشة ومفرق كل جماعة وقاطع

(قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضا الزالق) وكذلك اذا لم تُضعّف الثاء فقلت عين ثَرَّة فانما معناها غزيرة واسعة قال عَنْتَرَة

جادت عليها كلُّ عين ثَرَّة * فتركن كلَّ حديقة كالدرهم

(قال أبو العباس) وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثَّرة ثَرَارَة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل من قولهم فهق الغدير يَفْهَق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الأعشى

نَفَى الذَّمَّ عن رَهْط المُحَلَّق جَفْنَةٌ * كجابية الشيخ العراقي تَفْهَق

كذا يُنشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقي اذا تمكّن من الماء ملأ جابيته لانه حَضَرِيّ فلا يعرف مواقع الماء ولا محالَّه (قال أبو العباس) وسمعت اعرابية تُنشد (قال أبو الحسن هي أمُّ الهَيْثَم الكلابيَّة من ولد المحلَّق وهي راوية أهل الكوفة) لجابية السَّيْح تريد النهر الذي يجري على جابيته فاؤها لا ينقطع لان النهر يَمُدُّه ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقيَّ الشيخَ قولُ الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة)

لها ذَنَبٌ ضافٍ وذِفْرَى أسيلةٌ * وخَدٌّ كمرآة الغريبة أسْجَح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن أهلها فمرآتها أبدا مجلوَّة لغرط حاجتها اليها وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدق في المَنْطِق والقصد وترك مالا يُحتاج اليه قولُه لجرير بن عبد الله البَجَلي يا جرير اذا قلتَ فأوجِزْ واذا بلّغتَ حاجتك فلا تتكلف (قال أبو العباس) ومما يُؤثَر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حُدِّثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو انه قال دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في علّته التي مات فيها فقلت له أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اني على ذلك لشديدُ الوجع ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وجعي اني وَلِيتُ أموركم خيركم في نفسي فكلُّكم وَرِمَ أنفُه أن يكون له الأمر من دونه والله لتتخذُنَّ نَضائد الديباج وستورا لحرير ولتألمُنَّ النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدُكم النوم على حَسَك السَّعْدان والذي نفسي بيده لأن يُقدَّم أحدُكم فتُضرَب عُنُقُه في غير حدّ خير له من ان يَخُوض غَمَرات الدنيا يا هادي الطريق جُرتَ انما هو

كل رحم من الاقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الحلفاء يكمن في الصدر كمون النار في الحجر ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه واستكمان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه الا استصغاره نعمة الله وسخطه على سيده بما أفاد غيره وتمنيه عليه ان يرجع في هبته اياه وان لا يرزق أحدا سواه لكان عند ذوي العقول مرجوما وكان لديهم في القياس مظلوما وقد قال بعض الاعراب ما رأيت ظالما أشبه مظلوما من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم والحاسد مخذول وموزور والمحسود محبوب ومنصور والحاسد مغموم ومهجور والمحسود مغشي ومسرور والحسد رحمك الله أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خص به أفضل الملائكة فعصى ربه وقايسه في خلقه واستكبر عليه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه

والله الفجر أو البحر فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا جيضد الى
ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تأس على شئ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما
رأيت الا خيرا قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز

وقربت خدامها الوسائدا * حتى اذا ما علوا النضائدا * سبحت ربى قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد انما هو ما نضد فى البيت من متاع قال النابغة
* ورفعته الى السبفين فالنضد * ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله
قال الله تبارك وتعالى لها طلع نضيد وقال عز وجل فى سدر مخضود وطلح منضود ويقال
نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الأذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول
العرب قال الشماخ

تذكرتها وهنا وقد حال دونها * قرى أذربيجان المسالح والجال

وقوله على حسد السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها
غذاء لا يوجد فى غيره من أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث انه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك
(قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له انما هو منفرش على
وجه الارض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل
البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما ما دام السعدان مستلقيا فلا يريد أنه لا يرجع
الى البادية أبدا كما ان السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا وقال أبو على البصير واسمه الفضل
ابن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله
ابن يحيى بن خاقان وآله فقال

يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان

كبعض ما رويتنا * فى سالف الازمان
ماء ولا كصداء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الامثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفى ولا كمالك وماء ولا كصداء تضرب
هذه الأمثال للشئ الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا فوقها طامة أى
ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك

وجعله ابليسا وأنزله من
جواره بعدان كان أنيسا
وشوه خلقه تشويها وموه
على مثليه تمويها نسى به
عزم ربه فواقع الخطيئة
فارتدع المحسود وتاب عليه
وهدى ومضى اللعين
الحاسد فى حسده فشقى
وغوى وأما فى الأرض
فابنا آدم حسد أحدهما
أخاه فعصى ربه وأشكل
أباه وبالحسد طوعت له
نفسه قتل أخيه فقتله
فأصبح من الخاسرين فقد
جعله الحسد الى غاية
القسوة وبلغ أقصى حدود
العقوق فانساه من رحمته
جميع الحقوق اذ ألقى الحجر
عليه تفاديا وأصبح عليه
نادما صارخا ومن شأن
الحاسد ان كان المحسود
غنيا ان يبخله على المال
فيقول جمعه حراما ومنعه
أيتاما وغلب عليه
محاويج أقاربه فتركهم له
خصما وأعانهم فى الباطن
وحمل المحسود على قطيعتهم
فى الظاهر فقال لقد
كفروا معروفه وأظهروا
فى الناس ذمك ليس
أمثالهم يوصلون فانهم لا
يشكرون وان وجدهم
خصما أعانه عليه ظلما
وان كان ممن يعاشره
فاستشاره غشه أو تفضل

ابن نُوَيْرَة أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة وصَدَّاء يُمَدُّ وبعضهم يقول صُدَّى فيضم أوله ويَقْصُر فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صَدَآء يافتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لا تكون الا ساكنة كانت قلت صَدْعاء يا هذا) وقوله انما هو والله الفجر أو البَجْر يقول ان انتظرت حتى يُضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وان خبطت الظلماء وركبت العَشْواء هَجَمْتَ بك على المكروه وضرب ذلك مَثَلًا لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها وقوله يَهِيضُك مأخوذ من قولهم هِيضَ العَظْمُ اذا جُبِرَ ثم أصابه شيء يُعْنِتُه فآذاه فكسره ثانية أولم يكسره وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِه ثانيةً ويقال عظم مَهِيضٌ وجَناح مَهِيضٌ فى هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَر يزيدُ بن المُهَلَّب سِجْنَه وهَرَبَ فكتب اليه لو علمتُ انك تَبْقَى ما فعلتُ ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدى فى يد ابن عاتكة (هو يزيدُ بن عبد الملك بن مَرْوَان وأمه عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ولى المُلْك بعد عمر ابن عبد العزيز ولا يعلم أحد أُعرِقَ فى الخلافة منه) فقال عمر اللهم انه قد هاضنى فَهِضْه فهذا معناه وقوله فكلَّكم وَرِمَ أنفُه يقول امتلأ من ذلك غَضَبًا وذكر انفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر • ولا يُهَاجُ اذا ما أنفُه وَرِمَا • أى لا يُكَلَّم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كِبْرًا مُتَشَاوِسٌ وثانى عِطْفِه وثانى جِيدِه انما هذا كله من الكِبْرياء قال الله عز وجل ثانى عِطْفِه ليُضِلَّ عن سبيل الله وقال الشَّمَّاخ (يمدح الرَّبِيعَ بن عَلْياء السُّلَمِىَّ)

نُبِّئْتُ أن رُبَيِّعًا أن رَعَى ابِلًا • يُهْدِى الى ثَنَاهُ ثانِىَ الجِيدِ

وقوله أراك بارئًا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ كلاهما يقال فمن قال بَرِئْتُ قال أَبْرَأُ يافتى لا غير ومن قال بَرَأْتُ قال فى المضارع أَبْرَأُ وأَبْرُؤُ يافتى مثل فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ والآية تُقْرَأ على وجهين سَنَفْرُغُ لكم أيها الثَّقَلان وسَنَفْرَغُ والمصدر فيهما البُرْءُ يافتى • ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يُؤْمِن فيها الكافر ويَتَّقِى فيها الفاجر انى استعملتُ عليكم عمر ابن الخطاب فان بَرَّ وعَدَلَ فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبَدَّل فلا علم لى بالغيب والخير أردتُ

عليه بمعروف كفره أو دعاه الى نصر خذله وان حضر مدحه ذمه وان سئل عنه همزه وان كانت عنده شهادة كتمها وان كانت منه اليه زلة عظمها يحب ان يعاد ولا يعود ويرى عليه القعود وان كان المحسود عالما قال مبتدع لرأيه متبع حاطب ليل ومبتغى نيل لا يدرى ماحمل قد ترك العمل فاقبل على الحيل قد أقبل بوجوه الناس اليه وما أحقهم اذا نشالوا عليه فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته وأقل رعيته وأسوء طعمته وان كان المحسود ذا دين قال يتصنع ان يوصى اليه ويحج بشىء عليه ويصوم لتقبل شهادته ويظهر النسك ليودع المال بيته ويقرأ فى المسجد ليزوجه جاره ابنته ويحضر الجنائز لتعرف شهرته ومالقيت حاسدا قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وتخوص عينه واخفاء سلامه والاقبال على غيره والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك وكان عبد الله بن أبى قبل نفاقه يسبح وحده لجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمته

ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون نصب أيّ بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لان حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت عما قبلها كما يمتنع ما بعد الالف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الالف قلت علمت أزيدٌ منطلقٌ أم لا فأيّ بمنزلة زيد الواقع بعد الالف ألا ترى ان معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا الان معناها أهذا أم هذا وقال تعالى فلينظر أيها أزكى طعاما على ما فسرت لك وتقول أعلم أيهم ضرب زيدا وأعلم أيهم ضرب زيدٌ تنصب ايا بضرب لان زيدا فاعل فاعلم هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلام أيهم في الدار وقد عرفت غلام من في الدار وقد علمت غلام من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب * ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال لم أر أقل منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه ثم نزل وانما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قد رويناه هذه الخطبة التي عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء الى أبي موسى الاشعري وهي التي جمع فيها جمل الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها اماما ولا يجد محيصا عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب

وانقياد العشيرة له بالسيادة واذعانهم له بالرياسة وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع لهم لبه وتبين لهم عقله وفقد بينهم جهله ورأوه لذلك أهلا لما أطاق حملا فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ورأى غيره تشمخ بأنفه فهدم اسلامه لحسده وأظهر نفاقه وما صار منافقا حتى صار حسودا ولا صار حسودا حتى صار حقودا فحمق بعد اللب وجهل بعد العقل وتبوأ النار بعد الجنة ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يا رسول الله لا تقتله فانا كنا عقدنا له الحزز قبل قدومك لنتوجه ولو سلم للمخذول قلبه من الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السودد في ارتفاع فوضعه الله لحسده وأظهر نفاقه ولذلك قال القائل

طال على الحاسد أحزانه
فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه
ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة
من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله
تسلم من كثرة هيمانه

ولاسنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال أبو العباس) قوله آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم أسوة بعض والتاسى من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى ٭ على اخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن ٭ أعزى النفس عنه بالتاسى

يذكرنى طلوع الشمس صخرا ٭ وأذكره لكل غروب شمس

تقول أذكره فى أول النهار للغارة وفى آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الاسى بالطف من آل هاشم ٭ تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف فى حيفك يقول فى ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج فى صدرك يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل فى فيه فلا تزال تتردد الى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للعيى لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض ٭ أصلت فهى تحت الكشح داء

وقوله أنيض أى لم تنضج ومن أمثال العرب الحق أبلج والباطل لجلاج أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا وقوله أو ظنينا فى ولاء أو نسب فهو المتهم وأصله مظنون وهى ظننت التى تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا أى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر وأحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية ٭ هجرت ولكن الظنين ظنين

(فصل فى حسد الجيران) وذلك ان الجيران يرحمك الله طلائع عليك وعيونهم نواظر اليك فمتى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت وأعطيت وكسوت وأطعمت وكانوا فى مثل حالك فاتضعوا وسلبوا النعمة وألبستها عظمت عليهم بليتها الحسد وصاروا منه فى تبغيض آخر الابد ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مستور وهو بصنعه محجور لم يأت عليه يوم الا كان مقبورا ولم تأت ليلة الا وكان عن منافعه مقصورا ولم يمس الا وماله مسلوب ودمه مسفوك وعرضه بالضرب منهوك (فصل منه) وأنا أقول حقا ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشحينه وكتمانه حتى يتمرد عليه بظهوره واعلانه فيستعبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الآسر على الأسير وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا وبالدهاء معروفا وبالعقل موسوما وبالمداراة متهوما

وفى بعض المصاحف وماهو على الغيب بظنين وانما قال عمر رضى الله عنه ذلك لما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادّعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره للشهادة موضعا وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وقال الله عز وجل قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين وقال فادّارأتم فيها أى تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال فى سوء الخلق رجل غلق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتّضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أى لم يوجد له تخلّص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله ومن تخلّق للناس يقول أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته وقوله تخلّق يريد أظهر خلقا مثل تجمّل يريد أظهر جمالا وتصنّع وكذلك تجبّر انما تأويله الاظهار أى أظهر جبرية (وان شئت جبروة وان شئت جبروتى ومن كلام العرب على هذا الوزن رهبوتى خير لك من رحموتى أى لأن ترهب خير لك من أن ترحم) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد (الشعر لسالم ابن وابصة الاسدى)

يا أيها المتحلّى غير شيمته * (ومن سجيّته الادغال والملق

دع التخلّق يبعد عنك أوّله) * ان التخلّق يأتى دونه الخلق

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث * الا اخو ثقة فانظر بمن تثق

قال وأنشدتنى أم الهيثم الكلابية

ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال ذو الأصبع العدوانى (ذو الاصبع اسمه حرثان بن الحرث بن محرّث وقيل له ذو الاصبع لان أفعى نهشت اصبعه)

كلّ امرئ راجع يوما لشيمته * وان تمتّع أخلاقا الى حين

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من مكافأة الله وفضله * وكتب عثمان بن عفّان الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما حين أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الامر بى قدره وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولمّا أمزّق

فاظهر بلسانه حسدا كان واضبا عليه أربعين سنة لبنى هاشم فما اتسع قلبه لكتمانه ولا صبر على اكتتامه لما طالت فى قلبه طيلة اظهره واعلنه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على خسفها وقلة اكتراثه والتفاته لاجار المجانيق التى تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها حدثت بذلك عن على بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير قال قدمت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير قال أنت الذى تؤنبنى قال نعم لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره طاو فقال له ابن الزبير لمن قلت ذلك انى لاكتم بغضكم أهل البيت مذ أربعين سنة فحسر ابن عباس عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخل ثم قال لابن الزبير نعم فليبلغ ذاك منك ما عرفتك ولقد أجلت الرأى ظهر البطن وفكرت فى جوابه لابن عباس لن أجد له معنى سوى الحسد فلم أجده وكانت وخزة فى قلبه فلم يبدها وفروع بنى

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز

(فانت والامر الذى قد كيدا) * كالليث تزبى زبية فاصطيدا

وقال الطرماح

ياطيئ السهل والاجبال موعدكم * كم تبتغى الصيد أعلى زبية الاسد

(ويروى فى عريسة الاسد) وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن فالسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج

* فقد علا الماء الزبى فلا غير *

أى قد جل الامر عن أن يغير ويصلح وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الاخلاف منها أطباء يافتى واحدها طبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام فى الحقب قال الشاعر (قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأوله

سليمى تلك فى العير * فنى ان شئت أو سيرى * فلما أن بدا الصبح

بأصوات العصافير * خرجنا نبتغى الصيد * بأمثال اليعافير)

اذا ما حقب جال * شددناه بتصدير

(زجرنا العيس فارتدت * باهداب وتشمير)

وقال أوس بن حجر

وازدحمت حلقتا البطان باقوا * م وطارت نفوسهم جزعا

وتمثله بالبيت يشاكل قول القائل

فان أك مقتولا فكن أنت قاتلى * فبعض منايا القوم أكرم من بعض

* ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبى طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فاحبا الخلوة فقمت فلما أنى على التنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب عليا وعلى يطرق فاقبل عليه عثمان فقال ما بالك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب تأويل ذلك ان قلت اعتديت علىك بمثل ما اعتديت به على فلذ عد عتابى وعقدى ألا أفعل وان كنت عاتبا الا ما تحب * وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له

هاشم حول الحرم باسقة
وعروق دوحاتهم بين
أطباقها راسية ومجاسهم
من أعاليها عامرة
وبحورها باوراق العباد
زاخرة وانجمها بالهدى
زاهرة فلما خلت البطحاء
من صناديدها استقبله
بما اكن فى نفسه والحاسد
لا يغفل عن فرصته الى
أن يأتى الموت على رمته
وما استقبل ابن عباس
بذلك الا لما رأى من تقدمه
على أهل القدم ونظر
اليه وقد أطاف به أهل
الحرم فأوسعهم حكما
وتقبوا منه رأيا وفهما
وسبقهم علما وحلما

(فصل منه) وكيف يصبر
من استكن الحسد فى قلبه
على امامته ولقد كان اخوة
يوسف حلماء وأجلة علماء
ولدهم الانبياء فلم يغفلوا
عما قدح فى قلوبهم من
الحسد ليوسف حتى اعطوا
أباهم المواثيق المؤكدة
والعهود المقبلة والايمان
المغلظة انهم له حافظون
وهو شقيقهم وبضعة منهم
فخالفوا العهود ونقضوا
عليه بالظلم وألقوه فى
غيابة الجب وجاؤا على
قميصه بدم كذب فبظلمهم
يوسف ظلموا أباهم طمعا

حسّان بن حسان فخرج مغضبا يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقي ربوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها وقلبها وقلائدها ورعثها ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر وان قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال يا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها مني أو أشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الانصار) فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال) أبو العباس قوله سيما الخسف قال هكذا حدثوناه وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب ومعنى قوله سيما الخسف تأويله علامة هذا أصل ذا قال الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم

ان يخالوهم وجه أبيهم ويتغردوا بحبه وظنوا ان الايام تسليه وحبه لهم من بعد عمه يلهيه فاسألوا عبرته وأحرقوا قلبه وكيف تقر أعين الحاسدين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ومقابلته اياهم بالعفو والمكافاة بحسن العشرة والمؤاخاة بعد امكانه منهم لما أتوه ممتارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن رفدهم وكرم قراهم فاقروا له لما عرفوه بالاذعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سجدا لما وردوا عليه وفدا فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فاقلل ما استطعت من مخالطته فانه اعون الاشياء على مسالمته وحصن مسرك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة في مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه فان ذلك من حبائل نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يهينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن

وقال أبو عبيدة فى قوله عز و جل مُسَوِّمِينَ قال مُعْلَمِينَ واشتقاقه من السِّيما التى ذكرنا ومن قال مُسَوَّمِينَ فانما أراد مُرْسَلِينَ من الابل السائمة أى المُرْسَلة فى مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون فى قوله تعالى والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ القولين جميعا من العَلامة والارسال وأما قوله عز وجل حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ فلم يقولوا فيه الا قولا واحدا قالوا مُعْلَمَةً وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيما قصر و يقال فى هذا المعنى سِيماء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عَنْقاء الفَزارِىُّ فى مُمَيْلَة الفَزارِىّ)

غلامٌ رَمَاه اللهُ بالحُسْنِ يافِعاً * لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

(كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى جَبِينِهِ * وفى أنْفِهِ الشِّعْرَى وفى جِيدِهِ القَمَرْ)

وقوله وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان من أخذ حَسَّانا من الحُسْنِ صَرَفَهُ لان وزنه فَعَّالٌ فالنون منه فى موضع الدال من حَمَّادٍ ومن أخذه من الحَسِّ لم يَصْرِفْهُ لانه حينئذ فَعْلان فلا ينصرف فى المعرفة و ينصرف فى النكرة لانه ليست له فَعْلَى فهو بمنزلة سَعْدان وسِرْحان وقوله ودُيِّثَ بالصَّغار تأويله ذُلِّلَ يقال للبعير اذا ذَلَّلْتَه الرِّياضَةُ بَعِيرٌ مُدَيَّثٌ أى مذلل وقوله فى عُقْرِ دارهم أى فى أصل دارهم والعُقْرُ الاصل ومن ثَمَّ قيل لفلان عَقارٌ أى أصل مال و يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مَنْ باعَ دارا أو عَقارا فلم يَرُدَّ ثَمَنَه فى مثله فذلك مال قَنٌ أَلَّا يُبارَكَ له فيه وقوله قَنٌ يريد خَلِيقٌ و يقال أيضا قَمِنٌ وقَمِينٌ (قال أبو الحسن من قال قَنٌ لم يُثَنِّ ولم يَجْمَعْ ومن قال قَمِنٌ وقَمِينٌ ثَنَّى وجَمَعَ) و يقال للرجل اذا اتخذ ضَيْعَةً أو دارا قد أَثَّلَ فلانٌ أى اتخذ أصل مال وقوله وتوا كلتم انما هو مشتق من وَكَلْتُ الامرَ اليه و وَكَلْتُه انت الىّ أى لم يتولّه واحدٌ منا دون صاحبه ولكن أحالَ به كلُّ واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحُطَيْئَة

فَلا يَا قَصَرْتَ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِحَسْرَةٍ * أَمُونٍ اذا وَاكَلْتَهَا لا تُوَاكِلُ

وقوله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا اليه و يقال فى المَثَل لا تَجْعَلْ حاجتى منك بِظَهْرٍ أى لا تَطْرَحْها غير ناظر اليها وقوله حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ يقول صُبَّتْ يقال شَنَنْتُ الماءَ على رأسه أى صَبَبْتُه وشَنَنْتُ الشراب فى الاناء أى صَبَبْتُه ومن كلام العرب فلما لَقِىَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ أى صَبَّهُ عليه صَبًّا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور من

خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو آلح فى حسدك من الذباب وأسرع فى تمزيقك من السيل الى الحدور وما أحب أن تكون عن حاسدك غبيا وعن وهمك بما فى ضميره نسيا الا أن تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولأخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهبا أو تكون بك لجاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أبادك غرضا وقد قيل على وجه العوض الحرة تجوع ولا تأكل بثديها وربما كان الحسد للمصطنع اليه المعروف أكفر له وأشد احتقادا منه وأكثر تصغيرا له من أعدائه

(فصل منه) ومتى رأيت حاسدا يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا أو أفصح لك بالخير فى غيبته عنك أو قصر من غيبته لك فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفعل القطم والسيل العرم وان ملك قتل وسبى وان ملك عصى و بغى حياتك موته وموتك

من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفي هذه القبيلة يقول القائل

الأهل أتاها على نأيها * بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس * فردكم فارس واحد (هو ربيعة بن مكدم)

فليت لنا بارتباط الخيو * ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعني الخلاخيل واحدها حجل ومن هذا قيل للدابة محجل ويقال للقيد حجل لانه يقع في ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحلها حتى يحفظ القرآن فلما هاجى جريرا البعيث هجا الفرزدق جريرا معونة للبعيث وذبا عن عشيرته فقال جرير

ولما اتقى القين العراقي باسته * فرغت الى العبد المقيد في الحجل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيث وسماه القين لانه من رهط الفرزدق) ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنعمد (ثم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون فرغ يفرغ فروغا) وقوله ورعثهما الواحدة رعثة وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهي الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أي لم ينل أحد منهم بان يرزأ في بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أي ذو مال ويكون موفورا في بدنه اذا ذكرما أصيب به غيره في بدنه قال حاتم الطائي

وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أمسى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش * بردا الخيل دامية الكلوم

وقوله مات من دون هذا أسفا يقول تحسرا فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم والأسيف يكون الاجير ويكون الأسير فقد قيل في بيت الأعشى

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما * يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور انه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد جرحها الغل والقول الاول هو المجتمع عليه ويقال في معنى أسيف عسيف أيضا وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه

عرسه وسروره يصدق عليه كل شاهد زور ويكذب كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضه ولا يبغض الا من يحبه عدوك بطانة وصديقك علانية وقلت اندر بما غلطت في أمره لما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبه فطنا نهابا ولم تدع في عيب من ظهر لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالجهر عن الرفع والاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكني أخاف عليه أن قلبه لصديقه غير مستقيم وان ضمير قلبه غير سليم وان رفعت القذى عن لحيته وسويت عليه ثوبه فوق مركبه وقبلت صبيه بحضرته ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته واغتفرت له الزلة واستحسنت كل ما يقبح من جهته وصدقته على كذبه وأعنته على فجرته فما

فنكل عنه وامتنع من المضي فيه وقوله قلتم هذا أو ان قر وصر فالصر شدة البرد قال الله عز وجل كمثل ريح فيها صر وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر الا في ضرب منه يقال له المتقارب فانه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا * ص فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجاز وا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض وقوله و ياطغام الأحلام فجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال

(اذا ما كان مثلهم رجالا) * فما فضل اللبيب على الطغام

وقوله و ياعقول ربات الحجال ينسبهم الى ضعف النساء وهو السائر في كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين

(باب)

قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الايماء الى الشئ فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لحنة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأنه في صنيعة * الى ماله لا تأنه بشفيع

وكذلك قول عنترة

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق

هذا الغباء كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبته نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد أتطلب ويحك أثرا بعد عين أو عطرا بعد عروس أو تريد أن تجتني عنبا من شوك أو تلتمس حلب لبن من جمل انك اذا أعيا من باقل وأحمق من الضبع وأغفل من هرم ان كنت تجهل بعد ما أعلمناك وتعوج بعد ما قومناك وتبلد بعد ما ثقفناك وتضل اذ هديناك وتنسى اذ ذكرناك فأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ وعمي عن المنافع فختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فنعوذ بالله من الخذلان انه لا يأتيك ولكن يتاويك ولا يحاكيك ولكن يوازيك أحسن ما تكون عنده حالا أعظم ما يكون ضلالا وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهدا وأبعد ما يكون فاذا كان الأمر على هذا فمجاورة الموتى ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومصر

ضَرَبَتْ عليكَ العَنْكَبُوتُ بنَسْجِهَا * وقَضَى عليكَ بهِ الكتابُ المُنْزَلُ

فتأويل هذا ان بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ومن كلامه المستحسن قوله لجرير

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جاعلةٌ لَكُمْ * أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دارِمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قوله

وما مِثْلُهُ فِي النَّاسِ الَّا مُمَلَّكًا * أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقارِبُهْ

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثله في الناس الا مملكا يعني بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تَصَرَّمَ مِنِّي وُدُّ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ * وما كادَ مِنِّي وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوارِصُ تأتيني ويَحْتَقِرونَها * وقد يَمْلَأُ القَطْرُ الاناءَ فَيَفْعَمُ

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوادِ كأنه * لَيْلٌ يَصِيحُ بِجانِبَيْهِ نَهارُ

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

تَهَشَّمْتُمُ شُخْطِي فَغَيَّرَ بَحْتُكُمْ * نُخَيْلَةَ نَفْسٍ كانَ نُحْتاضَمِيرُها

ولَنْ يُلْبِثَ التَّحْشِينَ نَفْسًا كَرِيمَةً * عَرِيكَتُها أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُها

وما النَّفْسُ الَّا نُطْفَةٌ بِقَرارَةٍ * اذا لَمْ تُكَدَّرْ كانَ صَفْوًا غَدِيرُها

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضا

المصران وأكل القردان
أهون من معاشرته
والاتصال بحبله والغل
نتيج الحسد ورضيعه
وغصن من أغصانه
وعون من أعوانه وشعبة
من شعبه وفعل من
أفعاله كما انه ليس فرع
الا له أصل ولا مولود
الا له مولد ولا نبات الا من
أرض ولا رضيع الا من
مرضع وان تغير اسمه فانه
صفة من صفاته ونبت من
نباته ونعت من نعوته
ورأيت الله جل جلاله
ذكر الجنة فحلاها في كتابه
بأحسن حلية وزينها
بأحسن زينة وجعلها
دار أوليائه ومحل أنبيائه
ففيها ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فذكر في كتابه
ما من به عليهم من
السرور والكرامة عند
ما دخلوها وبوأهالهم
فقال ان المتقين في جنات
وعيون ادخلوها بسلام
آمنين ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين لا يمسهم
فيها نصب وما هم منها
بمخرجين فما أنزلهم دار
كرامته الا بعد ما نزع الغل
والحسد من قلوبهم فتهنوا

بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر فى مقابلة الوجوه لسلامة صدورهم ونزع الغل عن قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة وتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب وأعقبوا منها الخروج لانه عز وجل فضل بينهم فى المنازل ورفع درجات بعضهم فوق بعض فى الكرامات وسنى العطيات فلما نزع الغل والحسد من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهدا أنه أفضلهم منزلة وأكرمهم درجة وأوسعهم دارا بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره فقرت عينه وطاب أكله ولو كان غير ذلك لصاروا الى التبغيض فى النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب وحدثت فيهم العيوب والذنوب وما أرى السلامة الا فى قطع الحاسد ولا السرور الا فى افتقاد وجهه ولا الراحة الا فى صرم مداراته ولا الريح الا فى

بَنِى دَارِمٍ اِنْ يَفْنَ عُمْرِى فَقَدْ مَضَى ۞ حَيَاتِى لَكُمْ مِنِّى ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا ۞ وَاِنْ عُدْتُمْ أَثْنَيْتُ وَالعَوْدُ أَحْمَدُ

ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبى حية النميرى

رَمَتْنِى وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِى وَبَيْنَهَا ۞ عَشِيَّةَ أَرَامِ الكِنَاسِ رَمِيمُ

(قيل فى ستر الله الاسلام وقيل فيه انه الشيب وقيل ما حرم الله عليهما)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِى رَمَيْتُهَا ۞ وَلَكِنَّ عَهْدِى بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

(يَرَى النَّاسُ أَنِّى قَدْ سَلَوْتُ وَاِنَّنِى ۞ لَمَرْمَى أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمُ)

يقول رمتنى بطرفها وأصابتنى بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن قد تطاول عهدى بالشباب فهذا كلام واضح (قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله بن شبيب وروى ۞ عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الكِنَاسِ رَمِيمُ ۞ وزاد فيه

رَمِيمُ التِى قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا ۞ ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ

الكناس والمكنس الموضع الذى تأوى اليه الظباء وجمع الكناس كُنُسٌ وجمع المكنس مَكَانِس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهى البالية وكذلك الرِّمَّةُ والرُّمَّةُ القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يَرْجِعُ) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظما أو وزنا ان كان فى شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان فى كلام منثور كنحو ما تسمعه فى كثير من كلام العامة مثل قولهم ألست تسمع أفهمت أين أنت وما أشبه هذا وربما تشاغل العيى بفتل اصبعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء فى شعره

مَلِىءُ بُهْرٍ وَالتِفَاتٍ وَسُعْلَهْ ۞ وَمَسْحَةٍ عُثْنُونِهِ وَفَتْلِ الاصَابِعْ

وقال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ۞ لَمَّا رَأَى وَقْعَ الأَسَلْ ۞ وَيْلُمِّهِ اِذَا ارْتَجَلْ ۞ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ

(وقال رجل يصف رجلا من اياد بالعى وكان أبوه خطيبا وخاله)

جَمَعَتْ صُنُوفَ العِىِّ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ۞ وَكُنْتَ مَلِيئًا بِالبَلَاغَةِ مِنْ كَتَبْ

أبوك مُعَمٌّ فى الكلام ومُخَوَّلٌ * وخالك وثّابُ الجرائم فى الخُطَبْ)

ومما يشاكل هذا المعنى ويجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسرى فانه كان متقدما فى الخطابة ومتناهيا فى البلاغة فخرج عليه المغيرةُ بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلا فعطّعطُوا به فقال خالد أطعمونى ماء وهو على المنبر فعُيّر بذلك فكتب به هشامٌ اليه فى رسالة يُوَبّخُه فيها وسنذكرها فى موضعها ان شاء الله وعَيّرَه يحيى بن نوفل فقال

لأعلاج ثمانية وعبد * لئيم الأصل فى عدد يسير

هتفت بكل صوتك أطعمونى * شرابا ثم بُلْتَ على السرير

فهذا عارضٌ وقال آخر يُعيّره

بَلَّ المنابرَ من خوف ومن وَهَل * واستطعم الماء لما جدَّ فى الهرب

وألحنُ الناس كلِّ الناس قاطبةً * وكان يُولَعُ بالتشديق فى الخُطَب

* ومما يُستحسَنُ لفظه ويُستغرَبُ معناه ويُحمَدُ اختصاره قولُ أعرابى من بنى كلاب

فمن يدُلُّ لم يَغرَضْ فانى وناقتى * بحجرٍ الى أهل الحمى غرضان

(هوى ناقتى خلفى وقدّامى الهوى * وانى واياها لمختلفان)

تحنُّ فتُبدى ما بها من صبابة * وأُخفى الذى لولا الأسى لقضانى

(أنشد صاعدٌ بعدهما زيادةً فيهما

فيا كبدينا أجملا قد وجدتما * بأهل الحمى ما لم يجد كبدان

اذا كبدانا خافتا وشدّتا * وعاجلَ بين ظلتا تجبان)

يريد لقضى علىّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أى من قومه وقال الشاعر (هو أعشى طَرُود واسمه أباس ابن عامر)

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمرتَ به * فقد تركتُك ذا مال وذا نشب

أى أمرتُك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

ترك مكافأته فاذا فعلت ذلك فكل هنيا مريا وعش فى السرور مليا ونحن نسأل الله الجليل أن يصفى كدر صدرنا ويجنبنا واياك سوء الألفة والاتفاق ويحسن توفيقك وتسديدك والسلام

(فصل من صدر كتابه فى المعلمين) أعانك الله على سورة الغضب وعصمك من ثورة الهوى وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح فى قلبك ايثار الاناة فقد استعملت فى المعلمين نوك السفهاء وخطل الجهلاء ومفاحشة الايذاء ومجانبة سبل الحكماء وتهكم المقتدرين وامن المغترين ومن تعرض للعداوة وجدها حاضرة ولا حاجة بك الى تكلف ما كفيت (فصل منه) ولولا الكتاب لاختلت اخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين وانما اللسان للشاهد لك والعلم للغائب عنك وللماضى قبلك والغابر بعدك فصار نفعه أعم والدواوين اليه افقر والملك المقيم بالواسطة لا يدرك مصالح أطرافه

وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته الا بالكتاب ولولا الكتاب لما تم تدبير ولا استقامت الأمور وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصابه ويقوم على أساسه فى الكتاب والحساب وليس علينا لأحد فى ذلك من المنة بعد الله الذى اخترع ذلك لنا ودلنا عليه وأخذ بنواصينا اليه ما للمعلمين الذين سخرهم لنا ووصل حاجتهم الى ما فى أيدينا وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاججتهم وغشت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحديقهم ولم ترث للمعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه والمعلمون اشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت ان النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب (فصل منه)

ومِنَّا الذى اختير الرجال سماحة • وجودا اذا هب الرياح الزعازع

أى من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا أى ما أذوق فيهن وقال الشاعر

ويوما شهدناه سليما وعامرا • قليلا سوى الطعن النهال نوافله

(قال أبو الحسن قوله لم يغرض أى لم يشتق يقال غرضت الى لقائك وحننت الى لقائك وعطشت الى لقائك وجعت الى لقائك أى اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى وأنشدنا عنه

من ذا رسول ناصح فمبلغ • عنى عليبة غير قول الكاذب

أنى غرضت الى تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن وأما قوله لقضانى فانما يريد لقضى على الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت فى النية وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالشئ المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر فى اللفظ ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل فى نفسه وليس فيه دليل على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيدا قد علم بذكرك زيدا أن حرف الجر محذوف من الاول فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا • كلامكم على اذا حرام

ورواية بعضهم له أتمضون الديار فليسا بشئ لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير • مررتم بالديار ولم تعوجوا • فهذا يدلك على ان الرواية مغيرة فاما قولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا وقول الراجز

قد صبحت صبحها السلام • بكبد خالطها سنام • فى ساعة يحبها الطعام

يريد فى ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاول معناه ما أذوق فيهن فليس هذا عندى من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا فى الحذف فقط وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولا على

السَّعَة كقولهم يَوْم الجمعة سِرْتُه ومكانُكم فُقْتُه وشَهْر رمضان صُمْتُه فهذا يُشَبِّه فى السَّعَة بقولك زيدٌ ضربتُه وما أشبهه فهذا بيِّن) قال أبو العباس ومما يُستحسَن ويُستجاد قول أعرابى من بنى سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم وكان مُمْلِكًا فنزل به أضياف فقام الى الرَّحَى فطحن لهم فَمَرَّت به زوجتُه فى نِسْوَة فقالت لهن أهذا بَعْلِى فأُعْلِم بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبى مُحَلِّم له يعنى السَّعْدىَّ)

تَقُول وصَكَّتْ صَدْرَها بيمينها ٭ أبَعْلِى هذا بالرَّحَى المُتَقاعِسُ

فقُلْتُ لها لا تَعْجَبِى وتَبَيَّنِى ٭ بَلَانِى اذا التَفَّتْ على الفَوارِسُ

ألَسْتُ أرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ٭ وفيه سِنانٌ ذو غِرارَيْنِ يابِسُ

اذا هابَ أقْوامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَها ٭ يَهابُ حَيَاهُ الأُسْدُ المُداعِسُ

لَعَمْرُ أبِيكِ الخَيْرِ انِّى لَخادِمٌ ٭ لِضَيْفِى وانِّى ان رَكِبْتُ لَفارِسُ

قوله المُتَقاعِس انما هو الذى يُخْرِج صَدْره ويُدْخِل ظَهْره ويقال عِزَّة قَعْسَاء وانما هذا مَثَل أى لا تَضَع ظَهْرَها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذى يتقاعَس بالرحى لم يجز لان قوله بالرحى من صلة الذى والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمَن جَعَل آخر الاسم قبل أوله ولكنه جَعَل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لَكَ التى تقع بعد قولك سَقْيًا بمنزلة بدٍّ التى تقع بعد مَرْحَبًا فان قَدَّمْتَها قبل سَقْيًا ومَرْحَبًا فذلك جيِّد بالِغ تقول بدٍّ مرحبا وأهلا وتقول لك حَمْدًا ولزيد سَقْيًا فأما قول الله عز وجل وأنا على ذلكم من الشَّاهِدِين وكذلك وقاسَمَهُما انِّى لَكُما لَمِن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون وأنا ناصحٌ لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيرا لشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا براد به التبيين فلا يدخل فى الصلة ويكون على مذهب المازنى وقال أبو العباس وهو الذى أختار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذى ألا ترى أنك تقول نِعْمَ القائم زيدٌ ولا يجوز نِعْمَ الذى قام زيد وانما هو بمنزلة قولك نِعْمَ الرجلُ زيدٌ وهذا الذى شرحناه متصلٌ فى هذا الباب كلِّه مُطَّرِدٌ على القياس وقوله ٭ ألستُ أرُدُّ القِرْنَ يركب رَدْعَهُ ٭ فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتَدَعَ السهم اذا رجع النَّصْل متأخرا فى السِّخْ ويقال ركب البعيرُ رَدْعَه اذا سقط فدخلت عُنُقُه فى جوفه فالكلام مُشْتَقٌّ بعضُه من بعض ومُبَيِّنٌ بعضُه بعضًا

واجمعوا على انهم لم يجدوا كلمة أقل حرفا ولا أكثر ريعا ولا أعم نفعا ولا أحث على بيان ولا ادعى الى تبين ولا اهجى لمن ترك التفهم وقصر فى الافهام من قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه قيمة كل امرئ ما يحسن وقد أحسن من قال مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها وكرهت الحكماء الرؤساء اصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا والاستنباط هو الذى يفضى بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى ادام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ وان كان الحفظ أشرف منزلة منه ومتى أهمل النظر لم تسرع اليه المعانى ومتى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه وقل مكثها فى صدره وطبيعة الحفظ غير طبيعة

فيقال من هذا فى المثل ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتدع عنها أى رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح والاصل ماذكرت لك أولا ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدابة وعلى الجبل أى فوق كل واحد منهما ثم تقول فلانٌ عليه دينٌ ثقيلا وكذلك ركبه دينٌ وانما تريد أن الدين علاه وقهره وكذلك فلان على الكوفة اذا كان والياً عليها وكذلك علا فلانٌ القوم اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جُعل فى هذا الموضع وقوله • وفيه سنانٌ ذو غرارين يابس • فالغرار ههنا الحدُّ والغرار مواضع قال أبو العباس وحدثنى الرياشى فى اسناده قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعى أخطأ الأعور قال ولم يعلم الحاكى عنه أن الراعى كان أعور الا من هذا الخبر فى قوله

فصادف سهمه أحجار قفٍ • كسرن العير منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحد وذهب جبر الى أنه المثال وقد يكون المثال وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معانى يقال بنوا بيوتهم على غرار واحد أى على مثال واحد كما قال عمرو بن أحمر الباهلى

وضعن وكلهن على غرار • هجان اللون قد وسقت جنينا

(الرواية عن أبى العباس وضعن بفتح الضاد والواو والصحيح وُضعن بضم الواو وكسر الضاد) ويقال لسوق نادرة وغرارٌ أى نفاقٌ وكسادٌ فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار فى هذا المعنى الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غارا الطائر فرخه لانه انما يعطيه شيأ بعد شئ وكذلك غارت الناقة فى الحلب ويقال من هذا ما نمت الا غرارا قال الشاعر

ما أذوق النوم الا غرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله • يهاب حياه الالد المداعس • فأصل الحُميا انما هى صدمة الشئ يقال فلان حامى الحُميا ويقال صدمته حميا الكأس يراد بذلك سورتها وقوله الالد فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدُّ أى لا ينثنى عن خصمه قال الله عز وجل وتُنذر به قوما لدّا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزما وجودا • وخصما ألدّ ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يُغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه اذا علق خصما لم يتخلص منه وجعل السعدىُّ الالدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك

فيقال من هذا فى المثل ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتدع عنها أى رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح والاصل ماذكرت لك أولا ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدابة وعلى الجبل أى فوق كل واحد منهما ثم تقول فلانٌ عليه دينٌ ثقيلا وكذلك ركبه دينٌ وانما تريد أن الدين علاه وقهره وكذلك فلان على الكوفة اذا كان والياً عليها وكذلك علا فلانٌ القوم اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جُعل فى هذا الموضع وقوله • وفيه سنانٌ ذو غرارين يابس • فالغرار ههنا الحدُّ والغرار مواضع قال أبو العباس وحدثنى الرياشى فى اسناده قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعى أخطأ الأعور قال ولم يعلم الحاكى عنه أن الراعى كان أعور الا من هذا الخبر فى قوله

فصادف سهمه أحجار قفٍ • كسرن العير منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحد وذهب جبر الى أنه المثال وقد يكون المثال وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معانى يقال بنوا بيوتهم على غرار واحد أى على مثال واحد كما قال عمرو بن أحمر الباهلى

وضعن وكلهن على غرار • هجان اللون قد وسقت جنينا

(الرواية عن أبى العباس وضعن بفتح الضاد والواو والصحيح وُضعن بضم الواو وكسر الضاد) ويقال لسوق نادرة وغرارٌ أى نفاقٌ وكسادٌ فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار فى هذا المعنى الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غارا الطائر فرخه لانه انما يعطيه شيأ بعد شئ وكذلك غارت الناقة فى الحلب ويقال من هذا ما نمت الا غرارا قال الشاعر

ما أذوق النوم الا غرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله • يهاب حياه الالد المداعس • فأصل الحُميا انما هى صدمة الشئ يقال فلان حامى الحُميا ويقال صدمته حميا الكأس يراد بذلك سورتها وقوله الالد فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدُّ أى لا ينثنى عن خصمه قال الله عز وجل وتُنذر به قوما لدّا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزما وجودا • وخصما ألدّ ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يُغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه اذا علق خصما لم يتخلص منه وجعل السعدىُّ الالدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك

الاستنباط والفطان يعالجان به ويستعينان متفق عليه الا وهو فراغ القلب للشئ والشهوة له وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة ولصاحب الحفظ سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت فأما الموضع فاهما يختاران اذا أرادا ذلك الفرق دون الشغل واما الساعات فالاسحار دون سائر الأوقات لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال وتعقب تمام الراحة والحمام لان للحمام مقدارا هو المصلحة كما ان للكد مقدارا هو المصلحة (فصل منه) ويستدل أيضا بوصايا الملوك للمؤدبين فى ابنائهم وفى تقويم احداثهم على انهم قد قلدوهم أمورهم وضميرهم بلوغ التمام فى تأديبهم وما قلدوهم ذلك الا بعد ان ارتفع اليهم فى فى الخنوحالهم فى الأدب وبعد ان كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص وأنت حفظك الله لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب

والمداعس

والمداعس المطاعن يقال دعسه بالرمح اذا طعنه قال عمير بن الحباب السلمي

أنا عمير وأبو المغلس * وبالقناة مازني مدعس

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي * أبعلي هذا بالرحى المتقاعس * بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقديره ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يردان يعمل المتقاعس في قوله بالرحى لانه في الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فأما قول الله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذلك وأنا على ذلكم من الشاهدين فانه يكون على التبيين الذي قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما اني ناصح لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازني وجعله الالف واللام للعهد مثلهما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضي عندي لانك اذا قلت نعم القائم زيد فجعلت الالف واللام كالالف واللام الداخلتين على عالم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل في باب الاسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخرا الا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذي ذكرنا واذا كان في التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لا وجه له وأما انشاده * لا أذوق النوم الا غرارا * فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادي وذكر أنه كان يستحسنها وهي لاعرابي قال

مالعيني كحلت بالسهاد * ولجنبي نابيا عن وسادي

لا أذوق النوم الا غرارا * مثل حسو الطير ماء الثماد

أبتغي اصلاح سعدى بجهدي * وهي تسعى جهدها في فسادي

فتتاركنا على غير شئ * ربما أفسد طول التمادي

وأما انشاده * وضعن وكلهن على غرار * فان البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي) قال

والخطاطين لو جدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكماء والولاة من المناكير والدهاة ومن الحماة والكفاة ومن القادة والذادة ومن الرؤساء والسادة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والأدباء ومن اصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع اصناف البلاغة ومن الفرسان واصحاب الطعان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح ظريف ومن شاب عفيف ولا تعجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى العذر فانك ان كنت تعمدت تذممت وان كنت جهلت تعلمت وما أظن من احسن بدء الظن الا وقد خالف الحزم (فصل منه) قال المعلم وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة المعلمين كمعلمي الكتاب والحساب والفرائض والقرآن والنحو والعروض والاشعار والاخبار والآثار ووجدنا

أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طُغَيم بن أبي الطَّحْماء الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدي بن زيد العبادي قال

كأن لم يكن يوم بزورة صالح * وبالقصر ظل دائم وصديق
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها * شراب من البرقتين عتيق
معي كل فضفاض القميص كأنه * اذا ما سرت فيه المدام فنيق
بنو السمط والحداء كل سميدع * له في العروق الصالحات عروق
واني وان كانوا نصارى أحبهم * ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعر أبو محلم ثم أنشدنيه رجل نصراني يكنى أبا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا به وذكر أنه يذكر طغيما وهو يتردد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحداء قال أذكره وانا صغير جدا والسلطان بطلبه لقوله

* له في العروق الصالحات عروق * يقول اتقول هذا القوم من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه فوفضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

يجرون الذيول وقد تمشت * جميا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما اراد معنى الخيلاء وقال الشاعر

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا أرخي من المرح الازارا

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي جمعة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار والحديث يعرض لما يجري في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال ابو العباس روي لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشد ابراهيم قول الشاعر

اذا أنت فينا لم تنهك عاصية * واذا أجرائيكم سادرا رسنى

فقام ذلك الرجل (هو ابن ابي عتيق) فرمى بشق ردائه واقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام ما بدا فقال اني كنت سمعت هذا الشعر

الأوائل كانوا يتخذون لابنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة والرمي في التنبوك والمجثمة والطير الخاطف ورمي البنجكاز والبنادق وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم واللحون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في اصناف المزامير ويأمرون بتعليم ابناء الرعية الفلاحة والتجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وانواع الحياكة نعم حتى علموا البلابل واصناف الطير الالحان وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسعل وغراب البين ويعلمون الابل والخيل والبغال والحمير والفيلة اصناف المشي واجناس الخطو ويعلمون الشواهين والصقور والبوازين

فاستحسنته

فاستحسنته فما ليث إلا أسمعه الا جررت ردائى كما ترى كما سحب هذا الرجل رسنه وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفحل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشامة قال ذو الرمة

وقرّبن بالزرق الجمائل بعدما * تقوّب عن غربان أورا كها الخطر

ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخبس بن أرطاة الاعرجى والاعرج الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجل من بنى حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء (قال أبو الحسن أنشدنه عن الرياشى نقعاء وسألت رجلا من أهل اليمامة فصيحا من بنى حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه الا بقعاء بالباء)

عرضت نصيحة منى ليحيى * فقال غششتنى والنصح مرّ

وما بى أن أكون أعيب يحيى * ويحيى طاهر الاخلاق برّ

ولكن قد أتانى أن يحيى * يقال عليه فى بقعاء شرّ

فقلت له تجنّب كل شئ * يعاب عليه ان الحرّ حرّ

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر انما تأويله أن الحر على الاخلاق التى عهدت فى الاحرار ومثل ذلك * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس الناس أى الناس كما كنت تعهدهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليه كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله

تجنب كل شئ * يعاب عليه ان الحرّ حرّ

• ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربيه من المعانى بين الناس قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المرّى من مرة غطفان وكلاهما من مرة غطفان يقوله فى فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميادة

أمرتك يا رياح بأمر حزم * فقلت هشيمة من أهل نجد

والفهود والكلاب وعناق الارض الصيد ويعلمون الدواب الطعن والبغاث الهمز حتى يروضوا الهملاج والعناق بالتخليع وغير التخليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع ووجدنا الاشياء كلها معلمين وانما قيل للانسان العالم الصغير سليل العالم الكبير لان فى الانسان من جميع طبائع الحيوان اشكالا من ختل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاة وهذا كثير وهذا بابه ولانه يحكى كل صوت بفيه ويصور كل صورة بيده ثم فضله الله تعالى بالمنطق والروية وامكان التصرف وعلى انا لا نعلم ان لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الاحداث المنطق المنثور كالكلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات فى جميع العلامات بين الموزون من القصائد والارجاز من المزدوج والاسماع مع الكتاب والحساب

نَهَيْتُدَّ عن رجال من قُرَيْش * على مَحْبوكة الأَصْلاب جُرْدِ

ووَجَدَا ما وَجَدْتُ على رياحٍ * وما أَغْنَيْتُ شيأً غيرَ وَجْدِي

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضَعْفَةٌ وأصل الهشيم النَّبْتُ اذا وَلَّى وجَفَّ وتكسر فَذَرَتْهُ الرياحُ يميناً وشمالا قال الله تعالى فأصبح هشيماً تذروه الرياح والنَّجْدُ أعالى الأرض وقوله على مَحْبوكة الأَصْلاب جُرْدٍ فالمَحْبوك الذى فيه طَرائق واحدها حِبَاكٌ والجماعة حُبُكٌ يقال لطرائق الماء حُبُكٌ وكذلك الطرائق التى على جَنَاح الطائر من ذلك قول الله تبارك وتعالى والسَّماء ذات الحُبُكِ

(قال أبو الحسن ابن مِيَّادَة اسمه الرَّمَّاح وأمه مِيَّادَة وأبوه أَبْرَد وكان عاقّاً بأمه ولها يقول

اعْزُزْ عَلَيَّ مِيَادَ للقَوافي * واسْمَعِيهِنَّ ولا تُخَافِي

سَتَجِدِينَ ابْنَكِ ذا قِذَافِ

وأصل الأَعْزَازِ التَّجَمُّعُ والتَّقَبُّضُ يقول استَعِدِّي لها وتَهَيَّئِي وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له

ونَوَاعِمٍ قد قُلْنَ يوم تَرَحُّلِي * قَوْلَ الجُدُودِ هُنَّ كالمُرَّاحِ

يا لَيْتَنَا من غَبْرِ أمرٍ فادِحٍ * طَلَعَتْ علينا العِيسُ بالرَّمَّاحِ

فى أبيات له يعنى نَفْسه قال أبو الحسن وتمام الابيات

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِي مُتَعَصِّبًا * بالخَزِّ فوقَ جُلالَةٍ سِرْدَاحِ

فيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ طَفْلَةٌ * بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ

رَيَّشْنَ حين أَرَدْنَ أن يَرْمِينَنِي * نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقِدَاحِ

ونَظَرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأَعْيُنٍ * مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ)

قال أبو العباس ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْراً ثم نعود الى المُقَطَّعات ان شاء الله

يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا مَعْشَرَ قريشٍ كنا نَعُدُّ الجودَ والحِلْمَ السُّؤْدَدَ ونَعُدُّ العَفَافَ واصْطِلاحَ المالِ المُرُوءَةَ قال الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ كثرةُ التَّخَلُّفِ تُذْهِبُ الهَيْبَةَ وكثرةُ المَزْحِ تُذْهِبُ المُرُوءَةَ ومن لَزِمَ شيأً عُرِفَ به وقيل لعبد الملك بن مَرْوَانَ ما المُرُوءَةُ فقال مُوَالاةُ الأَكْفَاءِ ومُدَاجَاةُ الأعداءِ وتأويل المُدَاجَاةِ المُدَارَاةُ أى لا تُظْهِرْ لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدُّجَى وهو ما أَلْبَسَ الليلُ من ظُلْمَتِه وقيل لمعاوية ما المُرُوءَةُ فقال احتمالُ الجَرِيرَةِ واصْلاحُ أمرِ العَشِيرَةِ فقيل له وما النُّبْلُ فقال الحِلْمُ عند الغضب والعَفْوُ عند القُدْرَة وكان أبو سُفْيَانَ اذا نَزَلَ به جارٌ

وما شاكل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم واسم المؤدب من الأدب وقد علمنا ان العلم هو الأصل والأدب هو الفرع والأدب اما خلق واما رواية وقد اطلقوا له اسم المؤدب على العموم والعلم اصل لكل خير وبه ينفصل الكريم من اللؤم والحلال من الحرام والفضل من الموازنة بين افضل الخيرين والمقابلة بين انقص الشرين فلم يعرضوا لأحد من هذه الأصناف الذى اتخذ الناس لها المعلمين من جميع انواع الحق والباطل والسرف والاقتصاد والجد والهزل الا هؤلاء الذين لا يعلمون الا الكتاب والحساب والشعر والنحو والفرائض والعروض وما بالسماء من نجوم الاهتداء والانواء والسعود واسماء الأيام والشهور والمناقلات ويمنعهم العرامة ويأخذهم بالصلاة فى الجماعة ويدرسهم القرآن ويهذبون السنتهم برواية القصيد والأرجاز ويعاقب على

قال له ياهذا انك قد اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يدى فاحتكم على حكم الصبى على أهله وذلك أن الصبى قد يطلب مالا يوجد الا بعيدا ويطلب مالا يكون ألبتة قال الشاعر (هو الأعرج المعنى)

ولا تحكما حكم الصبى فانه ٭ كثير على ظهر الطريق مجاهله

ويروى أن معاوية بن أبى سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر انى لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع فى استخراجها الا بما سمعت فقال له الأحنف ياهذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربى (الشاعر الرماح بن ميادة)

يقولون أبناء البعير وماله ٭ سنام ولا فى ذروة المجد غارب

أرادت وذاكم من سفاهة رأيها ٭ لأهجوها لما هجتنى محارب

معاذ الهى انى بعشيرتى ٭ ونفسى عن ذاك المقام لراغب

وقال أبو الطمحان القينى (اسمه حنظلة بن الشرقى والطمحان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا موضع القيد من البعير)

وانى من القوم الذين هم هم ٭ اذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب ٭ بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ٭ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ومازال منهم حيث كانوا مسود ٭ تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

انى وجدك من قوم اذا طلبوا ٭ بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا

التهاون ويضرب على الفرار ويأخذهم بالمناقلة والمناقلة أسباب المنافسة لحقير بخلاف هذه السيرة وبضد هذه المعاملة

(فصل منه) وقد ذهب قوم الى أن الأدب خرق وطلبه شؤم وأنشد قول الشاعر

ما ازددت فى أدبى حرفا أسر به
الا تزيدت حرفا تحته شوم

ان المقدم فى حذق بصنعته
انى توجه فيها فهو محروم

ولم نر شاعرا نال بشعره الرغائب ولا أديبا بلغ بأدبه المراتب ذكر يمن الأدب ولا بركة قول الشعر فانما حرم الواحد منهم والرجل الشاذ ذكر خرق الأدب وشؤم الشعر وان كان عدد من نال الرغائب أكثر من عدد من اخفق ومهما عيرنا من كان فى هذه الصنعة فانا غير عارين لابى يعقوب الخزيمى لانه نال بالشعر وأدرك بالأدب وليس الذى يحمل أكثر الناس على هذا القول الا وجدان المعانى والالفاظ فانهم يكرهون ان يضيعوا بابا من اظهار الظرف وفضل الشأن وهم عليه قادرون

لاتحسبوا هجم أبياتي علانية * ولا استلاب سلاحي ذاهبا لعبا
تبقى المعابر بعد القوم باقية * ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وقال آخر

ليسوا لعمر وغير تأثيب نسبة * ولكن عمرا غيبته المقابر
اذا عيروا قالوا مقادير قدرت * وما العار الا ما تجر المقادر

وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاك كان عليك عونا * أتاك القوم بالعجب العجيب
فلا تخنع اليه ولا ترده * ورام برأسه عرض الجبوب
فما الشافة من غير ذنب * اذا ولى صديقك من طبيب

قوله ورام برأسه عرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بنى على عيني وقلبي مكانه * ثوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فما الشافة يقول لبغض يقال شنفت الرجل أشنفه شافة وشأفا مثل شعفا وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما رأتني أم عمرو صدفت * ومنعتني خيرها وشنفت

وقال آخر

ولم تداو غلة القلب الشنف * وقال نبهان بن عكي العبشمي

يقر بعيني أن أرى من مكانه * ذرا عقدات الأبرق المتقاود
وأن أرد الماء الذي شربت به * سليمى وقد مل السرى كل واجد
وألصق أحشائي ببرد ترابه * وان كان مخلوطا بسم الأساود

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شئ أعلاه فذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان في ذروة قومه اذا كان في الموضع الرفيع منهم وأما قول لبيد

مد من يجلو بأطراف الذرا * دنس الأسوق عن عضب أفل

فانما يقول هذا رجل يعرقب الابل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الاسوق وقوله عضب أي قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عقدة والجمع عقد وأعقاد أيضا وعقدات

(فصل) وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكل وكذلك الغافل والغافل والاحمق والاحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة قال الله تبارك وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لان الناس عن الناس أفهم واليهم اسكن فمما اعان الله تعالى به الصبيان ان قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين وسمع الحجاج وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال مجنونة أو ترقص صبيا ألا ترى ان أبلغ الناس لسانا وأجودهم بيانا وأدقهم فطنة وأبعدهم روية لو ناطق طفلا أو ناغى صبيا لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدا من ان ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة والالفاظ الكريمة وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقين في الصناعات

(فصل في رياضة الصبي) واما النحو فلا تشغل قلبه منه الا بقدر ما يؤديه الى

قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازني يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها * رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم وهي نازحة * بقلة الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن اذا ضافت مجحفة * وقيند الموت بالآباء والولد

وقوله الابرق فالأبرق حجارة يخلطها رمل وطين يقال لتلك برقة وأبرق وبرقاء يافتى كما يقال الأمعز والمعزاء وهي الأرض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الأبطح والبطحاء وهو ما انبطح من الأرض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قدته أي جررته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائي يضرب هذا مثلا

ان الكريم من تلفت حوله * وان اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله ولو كان مخلوطا بسم الاساود يريد جمع أسود سالخ وجمعه على أساود لانه يجرى مجرى الاسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول أحمدو أحامدو أسلم وأسالم فان كان نعتا فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود اذا عنيت به الحية وأدهم اذا عنيت به القيد وأبطح اذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق اذا عنيت به المكان مضارعة للاسماء لأنها تدل على ذات الشئ وان كانت في الأصل نعتا تقول في جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود فان أردت نعتا محضا تبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله * لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

وقال الأشهب بن رميلة (قال أبو الحسن رميلة اسم أمه)

أسود شرى لاقت أسود خفية * تساقوا على حرديماء الأساود

قوله على حرد يقول على قصد فأما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر ان أنشده وشئ ان وصفه ومازاد على ذلك فهو مشغلة عما هو اولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبر ولمصالح العباد والبلاد والعلم وبالاركان والقطب الذي تدور عليه الرحا ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه وعويص النحو لا يجرى في المعاملات ولا يضطر اليه شئ فمن الرأى ان يعتمد به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة وعليه في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين وأنا أقول ان البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوفي فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ

(قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطريا) وقالوا على حرد أي على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت درها (قال أبو الحسن رواية أبي العباس يقر بعيني يريد يقر عيني ثم أتى بالباء توكيدا وقال لنا هكذا سمعته ويقال أقر الله عينه يقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الأصمعي قرت عينه من القر وهو البرد أي جمدت فلم تدمع وهو بخلاف سخنت عينه وأجود مما روي عندي يقر بعيني وهو الاصل والباء في موضعها غير مؤكدة وقال أبو العباس الذي رويت وقد مل السري كل واحد وهو المنفرد في السير المتوحد به وروي غيره كل واجد أي عاشق وروي أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم) قال أبو العباس وقال القتال الكلابي واسمه عبيد بن المضرحي

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي * اذا ترامى بنو الامران بالعار
لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة * لواضح الخد يحمي حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها * تحت الهجاجة ضرب غير عوار
يا ليتني والمنى ليست بنافعة * لمالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الاعناق لم يجدوا * ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترامى بنو الامران بالعار فالامران جمع امة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شيء من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان اقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم امران كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم في الجميع آم فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعل ثم قالوا امران كما قالوا في المذكر الذي هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا في فعل الساكن العين تقول كلب وكلاب وكعب وكعاب كما تقول في المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير ذلك من غير المعتل ورل وورلان وبرق وبرقان وخرب وخربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد أمران فقد غلط لانه يحتج بقولهم حمل

في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لان في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجا بلاغا وليس كذلك حال الحساب ثم خذ بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذرة التكلف واستكراه العبارة فان أكرم ذلك كله ما كان افهاما للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصورا على معناه لا مقصرا به عنه ولا فاضلا عليه فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المنعقد مغرقا في الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد ان يتبين له القول ومازال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل ان يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر

وحُمْلانٌ وفَلَقٌ وفُلْقانٌ وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أُخْوان فالى هذا ذهبوا والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة وقوله لا أرضع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رَضِعَ يَرْضَعُ وأهل الحجاز يقولون رَضَعَ يَرْضِعُ وينشدون بيت عبد الله بن هَمّام السَّلُولي على وجهين وهو

اذا نَصَبُوا للقَوْلِ قالوا فأحْسَنُوا ٭ ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفِعْلُ

وذَمُّوا لنا الدُّنيا وهُمْ يَرْضَعونها ٭ أفاوِيقَ حتّى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

وبعضهم يقول يَرْضَعُونها وقوله لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة يقول انما تُرْضِعُني أمّي وليست غير كريمة كما قال الاعشى

ياخيرَ من يَرْكَبُ المَطِيَّ ولا ٭ يَشْرَبُ كأْسا بكَفِّ من بَخِلا

يقول انما تَشْرَبُ بكفك ولَسْتَ ببخيل ومثل هذا قول التميمي لنَجْدَةَ بن عامر الحَنَفي الخارجي

مَتَى تَلْقَ الحَرِيشَ حَرِيشَ سَعْدٍ ٭ وعَبّادا يَقُودُ الدّارِعِينا

تَبَيَّنْ أنَّ أُمَّكَ لم تَوَرَّكْ ٭ ولم تُرْضِعْ أميرَ المُؤْمِنينا

وقوله واضحة أي خالصة في نَسَبِها وليست بأَمَة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجَدِّ والمعنى قريب وقوله يَحْمِي حَوْزَةَ الجارِ أي ما يَحُوزُهُ يقال فلان مانع لِحَوْزَتِه أي لما صار في حيّزه ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال للدَّرْدأرْبَعُ ليست لحَيٍّ بَذْلُ ما مَلَكَتْ أيديهم ومَنْعُ حَوْزَتِهم وحَمْيُ عِمارَةٍ لا يحتاجون الى غيرهم وشُجْعانٌ لا يَجْبُنُونَ وقوله لمالك أو لحِصْنٍ أو لسَيّار فهؤلاء بيت فَزارَةَ وبُيُوتاتُ العَرَبِ في الجاهلية ثلاثة فبيتُ تَمِيمٍ بنو عبد الله بن دارم ومَرْكَزُهُ بنو زُرارَةَ وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزارَةَ ومَرْكَزُهُ بنو بَدْرٍ وبيت بَكْرِ بن وائل بنو شَيْبان ومَرْكَزُهُ بنو ذي الجَدَّيْنِ وقوله طوالُ أنْضِيَةِ الأعْناقِ فالنَّضِيُّ مَرْكَبُ النَّصْلِ في السَّهْمِ وضَرَبَهُ مَثَلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطِئِينَ على صُدُورِ نِعالِهِمْ ٭ يَمْشُونَ في الدَّفِّيِّ والأبْرادِ

يريد السُّودَدَ والنِّعْمَةَ ولم يَخُصَّ الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر (هو الشَّمَرْدَلُ ابن شُرَيْكٍ اليَرْبوعيّ عن ابن قُتَيْبَةَ)

يُشَبِّهُونَ مُلُوكا في تَجَلَّتِهِمْ ٭ وطُولِ أنْضِيَةِ الأعْناقِ واللِّمَمِ

اليه المعنى جرا ويلزقه به الزاقا حتى كان الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الا به والآفة الكبرى ان يكون رديء الطبع بطيء اللفظ كليل الحد شديد العجب ويكون مع ذلك حريصا على أن يعد في البلغاء شديد الكلف بانتحال اسم الادب فاذا كان كذلك خفي عليه فرق ما بين اجابة الالفاظ واستكراهه لها وبالجملة ان لكل معنى شريف أو وضيع هزلا أو جدا وحزم أو اضاعه ضرب من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذي لا ينبغي ان يجاوزه أو يقصر دونه ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران هاهنا في وزن الربح هناك لان من كانت غايته انتزاع الالفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى أن يستعملها قبل وقتها ويضعها في غير مكانها

اذا بدا المسد ينتدى فى مغارقهم * راحوا كانهم مرضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يروى يشبهون قريشا فى تجلتهم) وقوله بأزفار فالزفر الحمل ويضرب مثلا للرجل فيقال انه لزفر أى حمال للاثقال ويقال أتى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

أخو رغائب يعطيها ويسئلها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريد بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الاسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل وقال رجل من بنى عبس (قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد)

لاتشتمنى يا ابن ورد فانني * تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوب وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل وواقد أويصل وأويقد لابد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو وان شئت وقوله تعالى ما ووري عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو وقولى اذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يافتى ودلو كمازى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولترون الجحيم ومن همز من هذا شيأ فقد أخطأ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر * مادام يملكها على حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها * مادام يسلك فى البطون طعام

ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال صاحبه ولم ذاك قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وانما هى رياضة وسياحة والرفيق مصلح والآخر مفسد ولابد من هذا ان طبيعة متناسبة وسماع الالفاظ ضار ونافع فالوجه النافع ان يدور فى مسامعه ويغيب فى قلبه ويخيم فى صدره فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت وكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة لانها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقرا ذلم يكن القصد الى شئ بعينه والاعتماد عليه دون غيره وبين الشئ اذا عشش فى الصدر ثم باض ثم فرخ ثم نهض وبين ان يكون الخاطر مختارا واللفظ اعتسافا واغتصابا فرق بين ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكال وعلى السرقة والاحتيال لم ينل طائلا وشق عليه النزوع واستولى عليه الهوان

إنَّ الذين يَسُوغُ فى أعناقهم • زادِيَ مِنْ عليهم لِلتَّمَامُ

لَعَنَ الالهُ ثَعْلَةَ بْنَ مُسافرٍ • لَعْنًا يُشَنُّ عليه مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جدا قوله يسوغ فى أعناقهم يريد حلوقهم لان العُنُق يحيط بالحَلْق ويُشْبِهُ هذا فى الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِيّ

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإخوتِهِمْ • مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بالدَّمِ الوادِى

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّهَا • ما كانَ خاطَ عليهم كُلُّ زَرَّادِ

لان الخياطة تَضُمُّ خَرْقَ القَمِيصِ والسَّرْدِ يَضُمُّ حَلَقَ الدِّرْعِ فَضَرَبَهُ مَثَلًا فَجَعَلَهُ خِياطَةً (قال أبو الحسن رَوَى أبو العباس • وطعام عمر ان بن أوفى مثلها • ردالهاء والالف على الالبان وهذا لا نظر فيه ورَوَى أيضا مثلُه لان الالبان تجرى مَجْرَى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الالبان جمعا فتذكره لتذكير الجمع ورُوِىَ أيضا • ما دام يَسْلَكُ فى الحُلُوقِ طعام • ورَوَى الفَرَّاءُ فى هذا الشِّعْرِ • ان الذين يَسُوغُ فى أحلاقهم • وانما كان ينبغى أن يكون فى أحْلُقِهِمْ كقولك فَلْسٌ وأفْلُسٌ وما أشبهه ولكنه شَبَّهَ باب فَعْلٍ بباب فَعَلٍ كما قالوا زَنْدٌ وأزْنادٌ وفَرْخٌ وأفْراخٌ قال الحُطَيْئَةُ لعُمَرَ رحمه الله تعالى

ماذا تَقُولُ لأفْراخٍ بِذِى مَرَخٍ • حُمْرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ففعلوا هذا تشبيها بباب فَعَلٍ كما شَبَّهُوا فَعَلًا بفَعْلٍ فى الجمع فقالوا أجْبُلٌ وأجْبُلٌ وزَمَنٌ وأزْمُنٌ كما قال

انِّى لأَكْنِى بأجْبالٍ عن اجْبُلِها • وباسْمِ أوْدِيَةٍ حُبًّا لِوادِيها

فأتَى به على الأصل وتشبيها بغيره على ما أخبرتُكَ وقال ذو الرُّمَّة

أمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلامٌ عليكُما • هَلِ الأزْمُنُ اللَّاتِى مَضَيْنَ رَواجِعُ

والباب أزمان كما قال رُؤْبَةُ

أزْمانَ لا أدرِى وان سَأَلْتَ • ما فَرْقُ بَيْنَ جُمْعَةٍ وسَبْتِ

ورَوَى أبو العباس البيتَ الاخير مُقَوًّى وجَعَلَهُ نَكِرَةً وهو قوله من قُدَّامِ كما تقول جئتُكَ من قَبْلِ ومن بَعْدِ ومن عَلِ وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الأمرُ من قَبْلِ ومن بَعْدِ كما تقول أوَّلًا وآخِرًا ورواه الفراء من قُدَّامُ وجعله معرفة وأجراه مُجْرَى الغايات نحو قَبْلُ وبَعْدُ كما قال طَرَفَةُ بن العَبْدِ

ثم تَفْرِى اللُّجُمَ مِنْ تَعْدائِها • فَهِىَ مِنْ تَحْتُ مُشِيحاتُ الحُزُمْ

واستهلكه سوء العادة والوجه الضار ان يحفظ ألفاظا باعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد ان يعد لتلك الالفاظ قسمها من المعانى فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا سروقا ولا يكون الا مستكرها لالفاظه متكلفا لمعانيه مضطرب التأليف منقطع النظام فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعانى استخفوا عقله وبهرجوا عمله ثم اعلم أن الاستكراه فى كل شئ سمج وحيث ما وقع فهو مذموم وهو فى الطرف أسمج وفى البلاغة أقبح وما أحسن حاله ما دامت الالفاظ مسموعة من فمه مسرودة فى نفسه ولم تكن مخلدة فى كتبه وخير الكتب ماذا اعدت النظر فيه زادك فى حسنه وأوقفك على حده

(فصل فى ذم اللواط)

والذى يدل على أن هذه الشهوة معيبة فى نفسها قبيحة فى عينها ان الله تعالى وعز لم يعوض فى الاخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه فى الدنيا شهوة

وكما قال عتى بن مالك العقيلي أنشده الفراء أيضا

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالألف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بني اذ خرج من الباب ويروى لعنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أي يصب الا أن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لا غير وقالوا اشننت عليه الغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فان فينا * قناسلبا وأفراسا حسانا

وكنا اذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كون حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال * وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا * اذا مالم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الامصار وتقول العرب فلان بادو فلان حاضر وفي الحديث ولا يبيعن حاضر لبادو تأويل ذلك أن البادي يقدم وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهي عن تلقي الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعي

أقوم يبيعون العير تجرا * أحب البك أم حي حلال

(باب)

قيل لمعاوية ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى

الغلمان كما يسقى في الاخرة الخمر من تركه له في الدنيا ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون كانه تبارك وتعالى قال لا سكر فيها ولا خمار وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المعكوس ومن المبدل المقلوب لان الله جل ذكره انما خلق الذكر للانثى وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشركة وعلل المشاكلة وجعل الذكر طبقا للانثى وجعل الانثى سكنا للرجل فقلب هؤلاء الامر وعكسوه واستقبلوا من اختار الله لهم بالرد والزهد فيه

(فصل) ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم

بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أى عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفى فلان وكف فلان ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح فى أكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم فقوله أكفاؤهم انما هو جمع كفء يافتى فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفئا لدارم * بلى ولابيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه وقال كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيأ ثم يأتى مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعنى سهيلا من النجوم والركن اليمانى وصمصامة عمرو بن معدى كرب ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معدى كرب قال فأى سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال معاوية بن أبى سفيان للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وابنة فرزطة فى بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أخرج اليهم فأسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد وكان معاوية يقول انى لا أحمل السيف على من لا سيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى المقذع الذى فيه اقذاع وهو السبئ من القول

والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ووثق الواثق واذا أردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظار فاعتبر ذلك بان تنظر فى آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ردئ المدخل فى مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شئ الا بعد به فيه كالذى اعترى الخليل بن أحمد بعد احسانه فى النحو والعروض ان ادعى العلم بالكلام وباوزان الاغانى فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد الا بخذلان الله تعالى فلا حرمنا الله تعالى عصمته ولا ابتلانا بخذلانه

(فصل) وهذان

(باب)

قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بنى سعد يرثى رجلا

ومختضر المنافع أريحيّ * نبيل فى معاوزة طوال
عزيز عزّة فى غير فحش * ذليل للذليل من الموالى
جعلت وساده احدى يديه * وتحت جمائه خشبات ضال
ورثت سلاحه وورثت ذودا * وحزنا دائما أخرى الليالى

قوله أريحى هو الذى يرتاح للمعروف أى يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أى خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التى يتبذل فيها الرجل وهى دون الثياب التى يتجمل بها واحدها معوز قال الشمّاخ فى نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت * حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله فى معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول فى جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجوارية الا أن أكثر الاعجمى يختص بالهاء وهو فى العربى جيد وفى الاعجمى أكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والمسامعة والمناذرة والاحامرة وقالوا السبابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله تحت جمائه يعنى شخصه والضال السدر البرى وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبرى قال ذو الرمة

(قطعت اذا تجوبت العواطى * ضروب السدر) عبريا وضالا

وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل وأكثر ما يستعمل ذلك فى الاناث ويجوز فى السائر ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال

* وحزنا دائما أخرى الليالى * كما قال الأول وغبط بميراث ورثه من أحد أهله

يقول جزء ولم يقتل جلادا * أنى ترزأت ناعما جذلا
ان كنت أزننتنى بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا
أغبط أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

الشاعر ان جاهليان بعيدان من التوليد وبنجوة من التكليف (فصل) ومن خصال العبادة وان كانت كلها راجحة فليس فيها شئ أرد فى عاجل ولا أفضل فى آجل من حسن الظن بالله تعالى وعز ثم اعلم أن أعقل الناس السلطان ومن احتاج الى معاملته وعلى قدر الحاجة اليه ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة وما أقرب فضل الراعى على الرعية من فضل السائس على الدابة ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا المسيم لوثب السباع على السوام ودعنى من تدريس كتب أبى حنيفة ودعنى من قولهم اصرفه الى الصيارفة فان صناعة الصرف تجمع مع الكتاب والحساب المعرفة باصناف الأموال ولا تجد بدا من حملة السلطان ودعنى من قول من يقول قد كانت قريش تجارا فان هذا باب لا ينقاس ولا يطرد ومن قاس تجار الكرج وباعته وتجار

قوله

قوله ولم يقل جلال أى صغيرا والجلل يكون للصغير ويكون للكبير من ذلك قوله

• كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهَ جَلَلْ • أى صغير وقال لبيد فى الكبير

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي • وَمِنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ

وقوله شصائصا يعنى حقيرة دميمة وزعم التوزى أن النبل من الاضداد يكون للجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة وقوله أزننتنى أى قرفتنى ونسبتنى اليه يقال فلان يُزَنُّ بكذا وكذا أى يُسَمَّى به ويُنْسَبُ اليه قال امرؤ القيس بن حُجْر

كَذَبْتَ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ • وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِي

وفى معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يَفْرَحُ الوَارِثُ بِالمَالِ إِذَا • وَرِثَ المَالَ وَيَبْكِي إِنْ غَضِبْ

ومثله قول نعامة الغزارى • يا حبذا التراث لولا الذلة • وقال جميل بن معمر

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ • يَدٌ وَمُمِرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ • وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أَيْمَا خِطَامُهَا • قَتُونٌ وَأَيْمَا عُودُهَا فَعَتِيقُ

بِأَوْشَكَ قَتْلًا مُنْذُ يَوْمَ رَمَيْتَنِي • نَوَافِذَ لَمْ تَعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقُ

كَأَنْ لَمْ تُحَارِبْ يَا بُثَيْنَ لِوَانُهَا • تَكَشَّفُ غُمَّاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

قوله ما صائب يريد قاصدا يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى أو كصيب من السماء وقد قالوا النازل والقصد أحكم كما قال بشر بن أبى خازم الأسدى

تُؤَمِّلُ أَنْ أَؤُوبَ لَهَا بِغُنْمٍ • وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صَابَا

(صدر البيت عن أبى الحسن) وقوله ومُمِرُّ العقدتين يعنى وترا والمُمِرُّ الشديد الفتل وقوله من خوافى النسر حُمٌّ نظائر يريد ريش السهم والحُمُّ السُّود وذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر فى مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذى يُختار وهو الذى يقال له اللُّؤام وانما أُخذ من قولهم مُلْتَئِمٌ وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه يقال له اللُّغَاب وقوله كنصل الزاعبى شبّه نصل السهم

الاهواز والبصرة على تجار قريش فقد أخطأ مواضع القياس وجهل اقدار العلل قريش قوم لم يزل الله تعالى يقلبهم فى الأرحام البريئة من الآفات وينقلهم من الاصلاب السليمة من العاهات ويبقيهم لكل جسيم ويربيهم لكل عظيم ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه فى التجارة لعرف اختلاف السبل وتفاوت ما بين الطرق ولو كانت علتهم فى ذلك كعلة تجارة الابلة ومحتكرى أهل الحيرة لشملت دقة التجارة فى اغراضهم ولنهد سخف الريح من مروآتهم ولصغر ذلك من اقدارهم فى صدور العرب ولوضع من علوهم عند أهل الشرف وكيف وقد ارتحلت اليهم الشعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء فاسنوا لهم العطية ولم يقصروا عن غاية فسقوا الحجيج وأقاموا القرى لزوار الله تعالى وهم بواد غير ذى زرع فلولا انه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول

بِنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِيِّ وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الاسنة هذا قول قوم وأما الاصمعي فكان يقول الزاعبي هو الذي اذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه يقال مر يزعب بحمله اذا مر به مرا سهلا وقوله فتيق يعني حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله انه يفتق ما عمد به له وفعيل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول فاما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زوراء يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على نبعة يعني قوسا وأكرم القسي ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت ابن أبي ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت ٭ فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

وهذا يقع وانما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها ويحمد منها أن تترك ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

فظعها حولين ماء لحائها ٭ وينظر منها أيها هو غامز

مظعها شربها (قوله فظعها حولين أي تركها في الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء يقال تمظع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان) وقوله بأوشد قتلا منك يقول بأسرع يقال أمر وشيد أي سريع ويقال يوشد فلان أن يفعل كذا وكذا أي يقارب ذاك ويوشد يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (هو أمية بن أبي الصلت)

يوشد من فر من منيته ٭ في بعض غراته يوافقها
من لم يمت عبطة يمت هرما ٭ للموت كأس فالمرء ذائقها

(قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس في الحياة وان ٭ عاشت قليلا فالموت لاحقها

ومن المجد ما يخرج فيه العيون لما أصلح طبائعهم الشئ الذي يفسد جميع الأمة ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث غيرهم من الضيق ولو كانت سبلهم عند الملوك اذا وفدوا عليهم أو ورد وا بلادهم بالتجارات سبل غيرهم من التجار لما أوجههم وقربوهم ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخاص واذا كانت قريش حساتنسك في دينها وتناله في عبادتها وكان ما نعالهم من الغارات والسباء ومن وطء النساء من جهة المغنم ولذلك لم يئدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السباء ولا زوجوا أحدا من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم ولذلك لما صاروا الى بناء الكعبة لم يخرجوا في بنائها من أموالهم الا مواريث آبائهم ونسائهم خوفا من أن يخالطه شئ من حرام اذ كانت أرباح التجارات مخوفا عليها ذلك فلما كانوا بواد غير ذي زرع ويحتاجون الى الأقوات

وأيقنت أنها تعودكما • كان براها بالامس خالقها)

قوله عبطة أى شابا يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطرى من كل شئ وقوله نوافذ لم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية منه فكشفه فى أبيات مختارة وهى (اسم أبى حية الهيثم بن الربيع)

وان دما لو تعلمين جنيته • على الحى جانى مثله غير سالم
أما انه لو كان غيرك أرقلت • اليه القنا بالراعفات اللهاذم
ولكن لعمر الله ما طل مسلما • كغر الثنايا واضحات الملاغم
اذا هن ساقطن الحديث كأنه • سقاط حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم نجد • دماما ترا الا جوى فى الحيازم

(الكاف فى قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الاعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس وانك لم يفخر عليك كفاخر • ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قال أبو الحسن وأول هذه الابيات المختارة أنشدناه غيره

خبرك الواشون أن لن أحبكم • بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذى تعلمينه • شفاء لنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع تميمة • بنا وبكم أف لاهل النمائم

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك وقوله ولكن لعمر الله ما طل مسلما يقول ما طل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز • بغير عقل ودم مطلول • وحدثنى التوزى قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده ان طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قوله ثمن شكرها فانما يعنى الرضاع والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أى تسعى فى بطلان حقها وقوله تضهلها أى تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بئر ضهول اذا كان ماؤها يخرج من جرابها شيأ بعد شئ وجرابها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعضم جمتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الفرزدق

واقامة القرى لم يجدوا بدا من أن يتكلفوا ما يعيشهم ويصلح شأنهم فأخذوا الايلاف ورحلوا الى الملوك بالتجارات فهذا هو السبب فانظركم بين علتهم وعلة غيرهم فيسرك بعد هذا ان يتحول ابنك فى مسلاخ صالح الذر اليرى أو فى طباع ابن آدم وفى عقل بن سامرى فان زعموا ان أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا ان كل مسافر بعرض مكروه وقد قال بعض الحكماء المسافر ومتاعه على قلة الا من حفظ الله تعالى يعنى على هلاك وراكب البحر أشد خطرا ومشترى طعام الاهواز أشد تهورا ورافع الشراع بعرض هلكة والمتعرض للام والمعرض نفسه للسباع أقل شفقة وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض وأولى بالخوف والمنهوم بالطعام الردئ والمدمن للشراب أشبه باصحاب التغرير والمتبارى فى ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الازمان قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الايام

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ ● عِلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاغِمِ

يقول عَلِمَ أَرْبَابُ الْمَاءِ لِمَنْ هِيَ فَسَقَاهَا مَا سَمِعُوهُ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِهَا بِالْعِزِّ لَهُمْ وَمَنَعَتِهِمْ وَلَمْ تَحْتَجْ أَنْ تَكُونَ بِهَا سِمَةٌ وَالْعِلَاطُ وَسْمٌ فِي الْعُنُقِ وَالْخِبَاطُ فِي الْوَجْهِ

(باب)

قال بعض الحكماء مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا وَكَانَ يُقَالُ مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ أَرْغَمَ حَاسِدَهُ وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أُسِرَّ اليك شيأ فقال عبد الملك لاصحابه اذا شتم فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحدا فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال عمر بن العاصى لدهقان نهر تيرى بم يُنْبَلُ الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله وبقيامه بأمر أهله فانه لا يُنْبَلُ مَنْ يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قليل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وكان شعبة ابن الحجاج أو سماك بن حرب (قال أبو الحسن هو سماك بلاشك) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقال أردشير من لم يكن عقله أغلب خلاله الخير عليه كان حتفه فى أغلب خلاله الخير عليه وقال محمد بن على بن

وهذا كله أحق بالاهتمام وان كنت الى الاشفاق تذهب والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه وكيف دار الأمر فان التاجر قد استشعر الذل وتغشى ثوب المذلة وصاحب السلطان قد تجاوز حد العز والهيبة وانما عيبه شكر السلطان وافراط التعظيم قد استبطن بالعز وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كل مضر واصلاح كل فاسد واقامة كل معوج وعمارة كل خرب ولا أعلم فى الأرض أعم افلاسا ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولا من يسر الى عسر ولا رأينا الحوائج الى أحد أهدى منها الى أموال الصيارفة فكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر والنكبات فيهم أقل وبعد هذا فانى أرى ان لا تستكرهه فتبغض اليه الأدب ولا تهمله فيعتاد اللهو على انى لا أعلم فى جميع الارض شيأ أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء والفراغ الغاضل

عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعلمه فضل على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضل على علمه وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى مل مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير ولا خطأ فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد عرفه وفطن به

(باب)

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان وجاور فى طيئ وهو خائف

جزى الله خيرا طيئا من عشيرة * ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطونى بالنفوس ودافعوا * ورائى بركن ذى منا كب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك ان يصب * نفدك وان تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيئ

كأن الجار فى شمجى بن جرم * له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويذب عنه * ويحمى سربه أنف غضوب
ألفت مساكن الجبلين انى * رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيئ والغوث قبيلة من طيئ) وأنشد فى عبد الوهاب بن جنبة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر * سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها الساري

(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة اخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا فكان يأتى فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يا دار بين كليات وأظفار * والحمتين سقاك الله من دار

عن الجهاد فى دراسة العلم ممن كان فارغا من أشغال الرجال ومطالب ذوى الهمم واحتل فى أن تكون أحب اليه من أمه ولا تستطيع أن يمحض المقة ويصفى لك المودة مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حال العارف بفضل فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان وبذل المال ولهذا مقدار من حازه أفرط والافراط سرف ومن قصر عنه فرط والمفرط مضياع ولا تستكثرن هذا كله فان بعض النعمة فيه تأتى على أضعاف النعامة والذى تحاول من اصلاح أمر من تؤمل فيه أن يقوم فى أهلك مقامك واصلاح ما خلفت كقيامك لحقيق بالحيطة عليه وباعطائه المجهود من نفسك وقال زكريا عليه السلام رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فعلم الله تبارك وتعالى فوهب له غلاما وقال الله عز وجل وليس الذكر كالأنثى اعلم انه اعطاك ولدا غيرة عين العدو وقرة عين

عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ * مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ
عَنَّا غَنِيتَ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلٍ * وَالعَهْدُ مِنْذُ قَدِيمٍ مُنْذُ أَعْصَارِ

أراد أنّى فقلب الهمز عينا

وَقَدْ نَرَى بِدَلِ الأَيَّامُ جَامِعَةً * بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ
فِيهِنَّ عَنْمَةُ لَا يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا * وَلَا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ
أَذَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نَائِلَهَا * قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِي
بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُغْنِي شَبِيبَتَهُ * يَبْكِي عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ * أُولُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ
هَيْنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ * سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ المَجْدُ مُتَّلِدًا * وَلَا يُعَدُّ ثَنَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَظْعَنُونَ عَلَى العَمْيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا * وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْثَارِ
وَإِنْ تَلَيَّنْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا * كَشَفْتَ أَدْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ
إِنْ يُسْتَمَلُوا العُرْفَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا * فَالجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ * مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي)

قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بني ضبة فأغير عليهم فاستغاثوا بجيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببني مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم فركبوا فردوها عليهم فقال المكعبر الضبي في ذلك (اسمه حريث بن عفوظ)

أَبْلِغْ طَرِيقًا حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى * فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ * يُلَهَّى بِهِ المَحْرُوبُ وَهُوَ عَنَاءُ
وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ * كَمَا فِي بُطُونِ الحَامِلَاتِ رَجَاءُ
أُخَيْرٌ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ * وَلَوْ شِئْتُ قَالَ المُخْبِرُونَ أَسَاؤُا
فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ أُسْرَةِ مَالِكٍ * وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ * وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الوُجُوهَ لِقَاءُ

الصديق الولى فاحمد الله وأخلص له فى الدعاء وأكثر من الخيران شاء الله تعالى (فصل من كتاب التربيع والتدوير) فانظر فى مسالمة النفوس مع تقارب منازلها ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل ولم كانت الكثرة علة للتخاذل والقلة سببا للتناصر وما فرق ما بين المجازاة والتحاسد وبين المنافسة والتغالب فانك متى عرفت ذلك استرحت منا ورجونا ان نستريح منك وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف يعرف الحدود من لم يسمع الفصول بل كيف يعرف الحجة من الشبهة والعذر من الحيلة والواجب من الممكن والعقل من الموسوم والمحال من الصحيح والاسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم ومايعلم باللفظ دون الاشارة مما لا يعلم الا بالاشارة دون اللفظ ومايعلم معتمدا ولا

لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا * وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ

قوله حيث شَطَّتْ بها النَّوَى معنى شَطَّتْ تَبَاعَدَتْ يقال أَشَطَّ فلانٌ فى الحُكْمِ اذا عَدَلَ عنه متباعدا قال الله تعالى فاحْكُمْ بيننا بالحَقِّ ولا تُشْطِطْ وقال الأحوص

أَلَا يَا لَقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي * وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي

وَيَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَلَّا أُحِبُّهُ * وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ

والنَّوَى البُعْدُ ويقال شَطَّتْ بهم نِيَّةٌ قَذَفٌ أى رِحْلَةٌ بَعِيدَةٌ قال الشاعر

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ * وليس بمأخوذ من نأيت فى اللفظ ولكنه مثله فى المعنى وقوله

* فليس لدهر الطالبين فناء * يقول الطالب فى اثر طَلِبَتِهِ أبدا ويُرْوَى أن رجلا من قُرَيْشٍ بَعَثَ الى رجل منهم وكان أَخَذَ له غلاما يا هذا ان الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الحَرَبِ فاما رَدَدْتَهُ واما عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات ومن أمثال العرب لا ينام الآمِنُ أَثَأَرَ ويقال لِمَنْ أَدْرَكَ ثَأْرًا نَبِيلًا أَصَابَ ثَأْرًا مُنِيمًا وأنشد

تَقُولُ لِي ابْنَةُ البَكْرِيِّ عَمْرٍو * لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ المُنِيمِ

وقوله وانِّي لأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ * كَمَا فِي بُطُونِ الحَامِلَاتِ رَجَاءُ

يقول هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لا يُعْلَمُ ما فى بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه وانما يَتَهَكَّمُ بهم وهو يَعْلَمُ أن سَعْيَهُمْ غير كائن ألا تراه يقول

أُخَيْرَ مَنْ لاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ * وَلَوْ شِئْتُ قَالَ المُخْبِرُونَ أَسَاؤُا

وقوله كأن دنانيرا على قَسَمَاتِهِمْ زعم أبو عبيدة أن القَسَمَاتِ مَجَارِي الدُّمُوعِ واحدتها قَسَمَةٌ وقال الأصمعى القَسَمَاتُ أعالى الوجه ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا وقول أبو عبيدة مَشْرُوحٌ ويقال من هذا رجل قَسِيمٌ ورجل مُقَسَّمٌ ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ قال الشاعر

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ * كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو الى وَارِقِ السَّلَمْ

قوله تعطو أى تتناول يقال عَطَا يَعْطُو اذا تَنَاوَلَ وأَعْطَيْتُهُ أَنَا أى ناولته قال امرؤ القَيْسِ

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ * أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ

والسَّلَمُ شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يَحْتَطِبُوهُ شَدُّوهُ ثم قطعوه فمن ذلك قول الحَجَّاجِ

يعلم مكيفا ولا يعلم معتقدا وما المستغلق الذى يجوز ان يفارقه استغلاقه والمستبهم الذى لا يفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزرابة والرغبة عنها قد طلبها بفضل طلبه لنفسه وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وسنعرفك من جملة ما ذكرنا بابا بابا أنت اليه أحوج وهو علينا أرد

(فصل) وما فى الارض قرار أثبت ودليل أوضح وشاهد أصدق من شاهدى عليك على ما ادعيت لنفسك من الرفعة مع ما ظهر من حسدك لأصل الصنعة وهل يكون كذلك الا فاسد الحس ظاهر العناد او جاهل بالمحال وبعد فانت أبقاك الله فى يدك قياس لا يكسر وجوار لا يقطع ولك حد

والله لا حزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل قال وحدثني التوزي عن أبي زيد قال سمعت العرب تنشد هذا البيت فتنصب الظبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظبية وهذا شرط أن وكأن اذا خففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وهذا الكتاب قد شرحناه في الكتاب المقتضب في باب أن وان بجميع علله ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها منقلة لانها تعمل لشبهها بالفعل فاذا خففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يك زيد منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فيصير التقدير كأن ظبية تعطو الى وارق السلم هذه المرأة وحذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال كأن ظبية جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تزيدها في قولك لما أن جاء زيد كلمته ووالله أن لو جئتني لاعطيتك وقوله * لهم أذرع بادنوا شرها * فكل شيء كان على فعال من المؤنث فجمعه أفعل وكذلك فعال تقول ذراع وأذرع وذراع وأذرع لانهما مؤنثتان ومن أنث اللسان قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة وشمال وأشمل كما قال (هو أبو النجم العجلي) * يأتي لها من أيمن وأشمل * فأما المذكر فعلى أفعلة في أدنى العدد وفعل في الكثير يقال حمار وأحمرة وحمر وفراش وأفرشة وفرش والنواشر ما يظهر من العروق في ظهر الذراع مما يلي المعصم وذلك الموضع يقال له أسلة الذراع قال زهير

ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجع وشم في نواشر معصم

وقوله * وبعض الرجال في الحروب غثاء * فالغثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما وينتهي في اليبس فيسود فيقال له غثاء وهشيم ودندن وثن على قدر اختلاف أجناسه ويقال له الدارين قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا (هو ابن ميادة وقبله)

سحائب لا من صيف ذي صواعق * ولا محرفات ماؤهن جهيم

اذا ما هبطن الارض قدمات عودها * بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز * تكفي الفصيل أكلة من ثين * وقد يقال للشيء الذي لا خير فيه هذا غثاء أي قد صار كذلك الذي وصفناه ويضرب هذا مثلا للكلام الذي لا وجه له وقال رجل أحسبه تميما (هو الفرزدق)

لو لم يفارقني عطية لم أهن * ولم أعط أعدائي الذي كنت أمنع

لا يفل وغرب لا يثنى وهو قياس الذي اليه تنسب ومذهب الذي اليه تذهب أو تقول وما على أن يراني الناس عريضا واكون في حكمهم غليظا وأنا عبد الله تعالى طويل جميل وفي الحقيقة مقدود رشيق وقد علموا حفظك الله ان لك مع طول البال راكبا الظهر جالسا ولكن بينهم فيد اذا قت اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن غريب ما أعطيت ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقدودا أوسع الجفرة غيرك ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك فانت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب فيا شعرا جمع الاعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول بل ما بهمك من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم والراسخون في العلم والناطقون بالفهم يعلمون ان استفاضة عرضك قد ادخلت الميم في ارتفاع سمكك وان ماذهب منك عرضا قد استغرق ماذهب منك طولا وان اختلفوا

شُجاعٌ اذا لاقى وراعٍ اذا رمى * وهادٍ اذا ما أظلم الليلُ مصدعُ

سأبكيكَ حتى تنفدَ العينُ ماءها * ويشفى مِنّى الدمعُ ما أتوجّعُ

أحسنُ الانشادين عندى لم أهنْ بأخذه من وهن بهن لأنه اذا قال لم أهنْ فهو من الهوان ومن قال لم أهنْ فانما هو من الضعف وهو أشبه بقوله * ولم أُعطِ أعدائى الذى كنت أمنع * والآخر غير بعيد يقول لم أهنْ على أعدائى واذا قال لم أهنْ فالأصل لم أوهنْ ولكن الواو اذا كانت فى موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يفعِلُ فالواو محذوفة وانما تحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا يختلف الباب وهى التاء من قولك تفعلُ اذا عنيت مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تعدُ وهى تعدُ والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا أعدُ والنون اذا أخبرت عن نفسك ومعك غيرك نحو نحن نعدُ فان قال قائل انما هذا لان الفعل المتعدى تحذف منه الواو فان كان غير متعدٍ ثبتت فقد قال أقبح قول لأن التعدى أو غير التعدى لا يُحدثُ فى أنفس الأفعال شيأ ولو كان كما يقول لأثبتّ الواو فى وهن يهن لانك لا تقول وهنتُ زيدا وكذلك ورم يرم ووكف البيت يكف وونم الذباب ينم وهذا أكثر من أن يُحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وحل يوحل ووجل يوجل ووجع الرجل يوجع وقد يجوز يجع ويَاجع ويَجع لمن ذكره اذا جرى ذكر هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يطأ ويسع حذفت منهما الواو ومثلهما ثبتت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فعل يفعل مثل ولى يلى وورم يرم ففتحته الهمزة والعين والاصل الكسر فانما حذفت الواو مما يلزم فى الأصل ألا ترى أنك تقول ولغ السبع يلغ فهذا فعل يفعل والأصل يفعِل ولكن فتحته العين لان حروف الحلق تفتح ما كان على يفعِل ويفعُل ولولا ذلك لم تقع فعل يفعل وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهن يفتحن اذا كن فى موضع العين واللام فأما العين فنحو سأل يسأل وذهب يذهب وأما اللام فمثل قرأ يقرأ وصنع يصنع وسائر هذا الباب على ما وصفت لك وقوله

* وهادٍ اذا ما أظلم الليلُ مصدعُ * فتأويل مصدع أى ماضٍ فى الأمر قال الله عز وجل فاصدع بما تؤمر ويقال أحزم الناس من اذا وضح له الأمر صدع به وقال أعرابى يمدح سوّار بن عبد الله القاضى وسوّار أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم

فى طولك لقد اختلفوا
فى عرضك وان كانوا قد
سلموا لك بالزعم شطرا فقد
حصلت ما سلموا وأنت
على دعواك فيما لم يسلموا
ولعمرى ان العيون
لتخطئ وان الحواس
لتكذب وما الحكم القاطع
الا للذهن وما الاستبانة
الصحيحة الا للعقل اذ كان
زماما على الاعضاء وعيارا
على الحواس ومما يثبت
أيضا ان ظاهر عرضك
مانع من ادراك حقيقة
طولك قول أبى رواد
الايادى فى أبله
سمنت فاستحش أكرعها
لا الذى فى ولا السنام سنام
ولو لم يك فيك من العجب
الا انك أول من عوده الله
تعالى بالصد على خطاء
الحس وبالشكر على
صواب الذهن لقد كنت
فى طولك غاية للعالمين وفى
عرضك منارا للضالين وقد
تكلم المربوع مثلى من
الطويل مثل عمرو ومن
القصير مثل عمرو واذا زعم
انه أفرط فى الرشاقة
ونسب الى القضافة لان
افراط عرضه غمز
الاعتدال من طوله
وكلاهما يحتاج الى

وأوقف عند الأمر مالم يضح له * وأمضى اذا ما شد من كان ماضيا

فاستجمع فى هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة رو تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم وانما يكون هذا بعد التوقف والتبين فقد قال الشعبى أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد ومثل قوله * ويشفى منى الدمع ما أتوجع * قول الفرزدق

ألم تر انى يوم جو سويقة * بكيت فنادتنى هنيدة مالياً

فقلت لها ان البكاء لراحة * به يشتفى من ظن أن لا تلاقيا

(قال أبو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يستحسن

فعيدك كما الله الذى أنت أهله * ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

حبيب دعا والرمل بينى وبينه * فأسمعنى سقيا لذلك داعيا

يقال فعيدك الله وقعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمم بن نويرة وهو من بنى يربوع

فعيدك ألا تسمعينى ملامة * ولا تنكئى قرح الفؤاد فيجمعا

ويروى فقعدك ألا تسمعينى والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن عياش نزلت بى مصيبة أوجعتنى فذكرت قول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجى البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت وقال نضلة السلمى فى يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس

ألم تسل الفوارس يوم غول * بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر * وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشباة الفرس الجموح

فأطلق غل صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصالتة عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجاد يقال أشاح يشيح اذا حمل وأنشدنى التوزى قال

الاعتذار ويفتقر الى الاعتدال والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزاؤه فى الحقيقة كما اعتدلت فى المنظر فقد استغنى بعدل الحقيقة عن الاعتذار وبحكم الظاهر عن الاعتدال وقد سمعنا من يذم الطوال كما سمعنا من يزرى على القصار ولم يسمع أحد ذم مربوعا ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولا شد فيه ومن يذمه الا من ذم الاعتدال ومن يزرى عليه الا من أزرى على الاقتصاد ومن يعيب الصواب الظاهر الا المعاند ومن يمارى فى العيان الا الجاهل بل من يزرى على أحد بتفاقم التركيب وبسوء التنضيد مع قول الله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وبعد فاى قد أردى وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقصد أو طول مجاوز للقصد ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه خرج الجسم من التقدير وجاوز التعديل فاذا خرج

انشدنى

أنشدنى أبو زيد (وهو لابى العيال الهذلى) مُشيحٌ فوقَ شيحانٍ • يَشُدُّ كأنَّهُ كَلِبُ

قال شيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى شَيْحان بفتح الشين وحقه على رواية أبى زيد أن لا ينصرف لانه فعلان فالالف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وانما اضطُرَّ فصرفه) وقال ابن الاطنابة واسمه عمرو

واجشامى على المكروه نفسى • وضربى هامة البطل المشيح

ويقال فى هذا المعنى رجل شيحٌ كما يقال ناقة نقضٌ اذا كانت هزيلا قال أبو ذؤيب

• وشايحت قبل اليوم انّ شيحُ • وقوله بالسيف صلتا يقول منتضى ورجل صلتُ الجبين اذا كان نقيّه وقوله كما عضّ الشبابُ يدحدّ اللجام وشبا كل شئ حدّه • وقوله وأردى أى أهلك يقال ردى يردى اذا هلك والردى الهلاك قال الله عز وجل وما يغنى عنه ماله اذا تردّى قيل فيه قولان احدهما اذا تردّى فى النار والآخر اذا مات وهو تفعّل من الردى وقوله

• ولم يخشوا مصالته عليهم • فهى مفعلة من صال يصول ويقال صال البعير اذا عضّ وقيل للمغيرة بن شعبة انّ بوّابك يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم وقوله • وتحت الرغوة اللبن الصريح • يقول اذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة فى أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصريح اذا كشفتها أى انهم رأونى فازدرونى لدمامتى فلما كشفوا عنى وجدوا غير ما رأوا والصريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربى صريحٌ أى خالص ومولى صريحٌ ومن أمثال العرب انه ليسرّ حسوا فى ارتغاء ومعنى ذلك أنه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك وانما يحسو من تحتها يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك وانما يجتر النفع الى نفسه وقال أعرابى خُبِّرتُ أنه من بنى سعد وقد تمثّل بهذا الشعر الخنوت وهو توبة بن مضرّس احد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم فى خلاف الدمامة

ولمّا التقى الصفّان واختلف القنا • نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبيّن لى أنّ القماءة ذلّةٌ • وأنّ أشدّاء الرجال طوالها

دعوا يا لسعد وانتمينا لطيئ • أسود الشرى اقدامها وزوالها

قوله نهالا يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تثن وذلك أن الناهل الذى يشرب أول شربة فاذا شرب

من التقدير تفاسدوا واذا تفاسدوا جاز التعديل تباين ولو جاز هذا الوصف من حسن النعت هذا كان لابراهيم بن السندى ما ليس لأحمد ابن عبد الوهاب وهذا كله بعد ان صدقوك على ما ادعيت لطولك فى الحقيقة واحتجت لعرضك فى الحكومة كما اندبا عمالك لما تيقنه العيان واستشهادك لما تذكره الاذهان معترض للصدق من المتكرم ومتحكك بالحلم من المتغافل وأى صامت لا ينطقه هذا المذهب وأى ناطق لا يغويه هذا القول واذا كان هذا قضاء العزم المتسلم فاظنك بعادة المتكلف فأنشدك الله ان تغرى بك السفهاء وتنقص عزائم الحكماء وما أدرى حفظك الله بأى الامرين أنت أعظم اثما وفى أيهما أنت أفحش ظلما أبتعرضك للعوام أو بافسادك حكم الخواص وبعد فما يحوجك الى هذا ومايدعوك اليه واشباهك من القصار كثير ومن ينصرك منهم غير ذليل

ثانية فهو عالٌ يقال سقاه علًا بعد نهل وعللًا بعد نهل وفي المثل سئمته سوم عالة اذا عرضت عليه عرضًا يستحيي من أن يقبل معه والعالة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعزيرًا قال

• وأسباب المنايا نهلها • أي أول ما يقع منها يكون سببا لما بعده وأنشد في غير واحد

• وأن أشد اء الرجال طيالها • وليس هذا بجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو في الواحد فأما في مثل طوال فانما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو في الواحد وأنشد في مسعود بن بشر المازني

لهم أوجه بيض حسان وأذرع • طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا في النحو ما وصفت لك والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكره منهم الا محتج عن نفسه ولا يمدح به غيره قال عنترة

بطل كأن ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشارك في الرحم وقال جرير

تعالوا فقاتونا ففي الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الاكارم

فاني لا أرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا • لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى بيانا • وجسما من بني عبد المدان

ويقال ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثني التوزي قال طاف علي بن عبد الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه علي بن عبد الله في عظم الاجسام في العليين يعني علي بن أمير المؤمنين المهدي المنسوب الى أمه ريطة وعلي بن سليمان بن علي ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا

(فصل) وقلت ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول حيث يقول وجنة عرضها كعرض السماء والأرض فهذا برهان الواضح ولو لم يكن فيه من الرضا والتسليم ومن القناعة والاخلاص الا انك ترى ما عند الله تعالى خير لك مما عند الناس وان الطول الخفي أحب اليك من الطول الظاهر لكن في ذلك ما يقضي لك بالانصاف ويحكم لك بالتوفيق وانا أبقاك الله أعشق انصافك كما تعشق المرأة الحسناء واتعلم خضوعك للحق كما اتعلم التفقه في الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وانك يقنعك سماع رجال منصفين وما أظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاختيار بالاضطرار واليقين بالشك واليقظة بالحلم الا بالذي خصصت به من ايثار الحق والهمته من فضيلة الانصاف حتى صرت احوج ما تكون الى الانكار اذ عن ما تكون

مشى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال فى الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيس فى القصر وقد قيل فى خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل واستغنى عن الاعادة وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال كان أعرابى يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها ايماء عائب له بالقصر فأنشأ يقول

يا جعفر يا جعفر يا جعفر • ان آلك ربعة فأنت أقصر

أو آلك ذا شيب فأنت أكبر • غرك سربال عليك أحمر

ومقنع من الحرير أصفر • وتحت ذاك سوأة لو تذكر

(قال أبو الحسن أنشدنى أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذى فيه قوله

• ولما التقى الصفان واختلف القنا • بتمامه وهو شعر مختار لرجل من طيئ ويدل على ذلك ما تسمعه فى الشعر وهو قوله

جمعنا لهم من حى غوث ومالك • كتائب بردى المقرفين نكالها

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى • وقد جاوزت حى جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حوشف رجلة • تتاح لحبات القلوب نبالها

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم • بنو ناتق كانت كثيرا عيالها

فلما أتينا السفح من بطن حائل • بحيث تناصى طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيئ • كأسد الشرى اقدامها ونزالها

فلما التقينا بين السيف فيهم • لسائلة عنا حفى سؤالها

ولما عصينا بالرماح تقلعت • صدور القنا منهم وعلت نهالها

ولما تدانوا بالسيوف تقطعت • وسائل كانت قبل سلما حبالها

فولوا وأطراف الرماح عليهم • قوادم مربوعاتها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتب القوم اذا تضاموا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بغلة مكتوبة اذا شد حياؤها وضم وبردى

بالاقرار وأشد ما تكون الى الحيلة فقرا أشد ما تكون للحجة طلبا غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجاش رابط ونية جسور وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرق توقفت غير منخوب ولا متشعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب يفصل الحد ويصيب المفصل ويقرب البعيد ويظهر الخفى ويميز الملتبس ويلخص المشكل ويعطى المعنى حقه من اللفظ كما يعطى اللفظ حظه من المعنى ويحب المعنى اذا كان حيا يلوح وظاهرا يصيح ويبغضه مستهلكا بالتعقيد ومستورا بالتغريب وتزعم ان شر الالفاظ ما أغرق المعانى وأخفاها واسرها وعماها وان راقت سمع الغمر واستمالت قلب المريض أعجب الالفاظ عندك مارق وعذب وخف وسهل وكان

موقوفا على معناه
ومقصورا عليه دون
ماسواه لافاضل ولامقصر
ولامشترك ولا مغلق
وقد جمع خصماؤك
البلاغة واستوفى خلال
المعرفة فاذا كان الكلام
على هذه الصفة وألف
على هذه الشريطة لم يكن
اللفظ أسرع الى السمع
من المعنى الى القلب وصار
السامع كالقائل والمتعلم
كالمعلم وخفت المؤونة
واستغنى عن الفكرة
وماتت الشبهة وظهرت
الحجة واستبدلوا بالخلاف
وفاقا وبالمجاذبة موادعة
ورهبوا بالعلم وتقنعوا
ببرد اليقين واطمأنوا
بثلج الصدور وبان
المنصف من المعاند وتميز
الناقص من الوافر وذل
الخطل وعز المحصل
وبدت عورة المبطل
وظهرت براءة المحق وقلت
والناس وان قالوا فى
الحسن كانه طاقة ريحان
أوخوط آس وكانه قضيب
خيزران وكانه غصن بان
وكأنه رمح رديني وكأنه
صحيفة يمان وكأنه سيف
هندواني وكأنه جان
وكأنه جدل عيان فقد
قالوا كأنه المشترى وكأن

يُهْلِكُ يقال رَدِيَ الرجلُ اذا هَلَكَ والرَّدَى الهَلاكُ والارداءُ الاهلاكُ والمُقْرِفون الذين دخلوا فى
الفَسادِ والعَيْبِ وهو فى الأصل الهُجْنة يقال فرس مُقْرِفٌ اذا كان هَجِينًا ثم يُشاعُ فى الفساد
والعَجزُ مؤخَّرُ العَسكرِ ههنا وهو مستعار والحَزْنُ ماخَشُنَ من الأرض وغَلُظَ واللِّوَى مُسْتَدَقُّ
الرَّمْلة حيث ينقطع يقال ألْوَيتُم فانزلوا أى صِرتُم الى آخر الرملة وهو اللوى وجديس قبيلة معرفة
فلذلك لم يَصْرِفها والرِّعالُ الجماعاتُ المتفرقة واحدها رِعْلَةٌ والخَرْشَفُ نبت يكثر فى البادية وانما
شَبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة والرَّجْلَةُ الرَّجّالةُ وتُتاحُ تُقَدَّرُ يقال أتاحَ اللهُ له كذا وكذا أى قَدَّرَ له والنِّبالُ
جمع نَبْلٍ والناتِقُ الوَلُودُ فاذا أسرفت فى ذلك وكثر ولدها جِدًّا قيل مِنتاقٌ والسَّفْحُ أصل الجبل
من الوادى وحائل موضع وتَناصَى تقابَلَ وتقرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح
يقال تَناصَى الرجلان نِصالُهما وتَناصَيا اذا اقتتلا فأخَذَ كلُّ واحد منهما بناصية صاحبه والطَّلْحُ
والسَّيالُ ضربان من الشجر معروفان وانتمى ونمى انتسبَ والشَّرَى موضع كثير السباع وانما يريد
كاقدام أُسْدِ الشَّرَى اقدامُهاثم حَذَفَ لعلم السامع وعَصَيْنا جعلنا الرماح كالعصيّ والعَلَلُ الشُّرْبُ
الثانى والنَّهَلُ الأول يريد انّا أعَدْناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على
الاصل كما قال * يَخْرُجْنَ من أجوازِ لَيْلٍ غاضِ * أى مُغْضٍ فجاء به على الأصل وهو كثير
والمَرْبوعاتُ المُعْتَدِلةُ التى لم تَبْلُغْ أن تكون رُمّاحًا وهو رَفْعٌ كأنه قيل له ماهى فقال هى مربوعاتها
وطوالُها ولو خَفَضَ وجعله بدل البعض من الكل لكان حَسَنًا وكان يكون مُقْوٍ ولكن هكذا
أنشدناه مرفوعا على التقدير الذى ذكرناه)

﴿باب﴾

قال أبو العباس حُدِّثْتُ أن صَبْرَةَ بنَ شَيْمانَ الحُدّانِيَّ دخل على معاوية والوُفودُ عنده فتكلَّموا
فأكثروا فقام صَبْرَةُ فقال يا أميرَ المؤمنين انّا حَيٌّ فعالٌ ولَسْنا بحَيِّ مَقالٍ ونحن بأدْنَى فعالنا عند
أحسن مقالهم فقال صَدَقْتَ وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه ولّى يزيدَ بن أبى سفيان رُبُعًا من
أرباع الشام فرقى المِنبرَ فتكلَّم فارْتَجَّ عليه فاستأنف فارْتَجَّ عليه فقطع الخطبة فقال سيَجْعَلُ اللهُ
بعد عُسْرٍ يُسْرًا وبعد عِيٍّ بيانًا وأنتم الى أمير فعّالٍ أحْوَجُ منكم الى أمير قوّالٍ فبلغ كلامُه عمرو بن

العاصى فقال هُنَّ مُخْرِجاتى من الشام استحسانا لكلامه وقال عثمان بن عفّان رضى الله عنه لعامر بن عبد قيس العنبرى ورآه ظاهر الأعرابيّة يا أعرابىّ أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أين كان ربُّنا قبل أن يخلُقَ السموات والارض فقال علىّ أين سؤالٌ عن مكان وكان الله ولا مكان وحُدِّثتُ أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام فنظرا الى الحسن البصرى فقال أحدهما لصاحبه مِلْ بنا الى هذا الذى كأنّ سَمْتَه سَمْتُ المسيح فعدلا اليه فألفياه مُفْتَرِشا بذَفَنِه ظاهرَ كفّه وهو يقول يا عَجَبا لقوم قد أُمِروا بالزاد وأُوذِنوا بالرحيل وأقام أوّلهم على آخرهم فليت شِعْرِى ما الذى ينتظرون ونَظَرَ الحسنُ الى الناس فى مُصَلَّى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال الحسن ان الله جَعَلَ الصوم مِضْمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسَبَقَ أقوامٌ ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا ولعَمْرِى لو كُشِفَ الغطاء لَشُغِلَ مُحْسِنٌ باحسانه ومُسِىءٌ باساءته عن تجديد ثوب أو ترْطيل شَعَرٍ قوله ترطيل شعرا نماهو تليين الشَّعَرِ بالدُّهْنِ وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لِينٌ وتوضيع رجل رَطْلٌ والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقال له رِطْلٌ بكسر الراء وكان الحسن يقول اجْعَلِ الدنيا كالقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها قوله القنطرة يعنى هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس والعرب تُسَمِّى كلّ أزَجٍ قنطرةً قال طَرَفَةُ بن العَبْد

كقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أقْسَمَ رَبُّها * لَتُكْتَنِفَنْ حتى تُشادَ بِقَرْمَدِ

قوله حتى تشاد يقول تُطْلَى وكلُّ شىءٍ طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جِيَّارٍ وهو الكِلْسُ فهو الشِّيدُ يقال دارٌ مُشَيَّدَةٌ وقَصْرٌ مَشِيدٌ قال الله عز وجل ولو كنتم فى بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ وقال الشَّمَّاخُ

لا تَحْسِبَنِّى وان كُنْتُ امْرَأً غُمُرًا * كَحَيَّةِ الماءِ بَيْنَ الطِّينِ والشِّيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العبادىّ شاده مَرْمَرًا وجَلَّلَهُ كِلْـ * ـسًا فللطَّيْرِ فى ذُراه وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ المَطْلِىُّ أيضا فان ثَمَّ قال حتى تُشاد بقَرْمَدٍ فى معنى حتى تُطْلَى ومن ذلك قول النابغة

* رابى المَجَسَّةِ بالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ * وقال الحسن تَلْقَى أحدَهُم أبيضَ بضّا يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ويَضْرِبُ أصْدَرَيْهِ يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عَرَفْناكَ فَمَقْتُ الله ومَقْتُ الصالحون قوله أبيض بضا فالبضُّ الرقيقُ اللون الذى يُؤْثِرُ فيه كلُّ شىءٍ وفى الحديث ان معاوية قَدِمَ على عمر بن الخَطّاب رضى الله عنه من الشام وهو أبضُّ الناس فضَرَبَ عمرُ بيده على عَضُدِه فأقْلَعَ عن

وجهه دينارا هرقلىّ وما هو الا البحر وما هو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنه دارة القمر وكأنه الزهرة وكأنه درة وكأنه غمامة وكأنه مهاة وقد نراهم وصفوا المستدير والعريض باكثر مما وصفوا القضيب الطويل وقلت ووجدنا الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل وكذلك الورق والحب والثمر والشجر وقلت والريح وان طالت فان التدوير عليها أغلب لان التدوير قائم فيها موصلا ومفصلا والطول لا يوجد فيها الا موصلا وكذلك الانسان وجميع الحيوان وقلت ولا يوجد التربيع الا فى المصنوع دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ما خلى رسوم طبيعته على ان كل مرتفع ففى جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطول فى حصته ومن العجب انك تزعم انك طويل فى الحقيقة

مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالي

منعمة بيضاء لو دب محول * على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يملخ في الباطل ملخا يقول يمر مرا سريعا يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وازدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وازدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

أحولي تنفض استك مذرويها * لتقتلني فها أنا ذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت في التثنيه مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول في ملهى ملهيان وهو من لهوت وفي مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعلة ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا ادخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا الانقلاب في المضارع نحو يغزي ويستغزي ويغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحوهما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما في الاصل رجى يرجى وغازى يغازي ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك أن التاء انما تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما أعلمتك وثبات الواو دليل على أن أحدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله

(باب)

قال أبو العباس قال يزيد بن الصعق العقيلي وكان يسرق الابل ثم تاب وقتل في سبيل الله

ألا قل لارباب المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وان امرأ ينجو من النار بعدما * تزود من أعمالها لسعيد

وفي هذا الشعر اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت * حميدا فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لارباب المخائض فان الناقة اذا لقحت قيل لها خلفة وللجميع المخاض وهذا جمع على غير واحده انما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كقولك في رسالة رسائل وكما

تقول

ثم تحج للعرض والاستدارة وقد اضربت عما عند الله صفحا ولهجت بما عند الناس فاما حور العين فقد انفردت بحسنه وذهبت ببهجته وملحه الا ما أبان الله تعالى به من المشاكلة فانها لا تكون في اللئام ولا تفارق الكرام وأما سواد الناظر وحسن المحاجر وهدب الاشفار ورقة حواشي الأجفان فعلى أصل عنصرك وجائز اعراقك واما ادراكك الشخص البعيد وقراءتك الكتاب الدقيق ونقش الخاتم قبل الطابع وفهم المشكل قبل التأمل مع وهن الكبرة وتقادم الميلاد ومع تخون الأيام وتنقص الازمان فمن توتيا الهند ولترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استقبال الحضرة فانت يا عم حين تصلح ما أفسده الدهر وترجع ما أخذته الايام كما قال الشاعر

عجوز ترجى ان تكون فتية * وقد يبس الجنبان واخضر وب الظهر

تقول فى قوم أقوام فتجمع الاسم الذى هو للجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أى اسرحوا ابلكم والهمل ما كان غير محظور وهو السدى ويروى فى مثل قوله

• اذا المنايا أخطأنك وصادفت • جميلا • عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحنفية)

أنه كان يقول اذا مات له جار أو حميم أولى لى كدت والله أكون السواد المختترم وقال ابن حبناء التميمى

أعوذ بالله من حال تزين لى • لوم العشيرة أو تدنى من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره • ولا أكسر فى ابن العم أظفارى

ان يحجب الله أبصارا أراقبها • فقد يرى الله حال المدلج السارى

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (وهو عقيل ابن علفة)

ولست بصادر من بيت جارى • كفعل العير غمره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لانه انما يقال تغمر الشارب اذا لم يروى ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقوله ولا أكسر فى ابن العم أظفارى يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملؤ قراه وهرته كلابهم • وجرحوه بأنياب وأضراس

وقوله فقد يرى الله حال المدلج السارى فالمدلج الذى يسير من أول الليل يقال أدلجت أى سرت من أول الليل وادلجت أى سرت فى السحر قال زهير

بكرن بكورا وادلجن بسحرة • وسارى

لا يكون الا سير الليل قال الله عز وجل فأسر بأهلك من قولك أسريت وهى اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن قال الله عز وجل والليل اذا يسرى فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يسرى كما قال (هو لبيد بن ربيعة)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم • وما كان وقافا بغير معصر

والمعصر الملجأ والسارى انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض ومن أسرى يقال للفاعل مسر كما تقول أعطى فهو معط كما قال الأخطل

تازعتهم طيب الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

والدجاج ههنا الديوك يريد وقت السحر لانه يقال للديك هذا دجاجة فان أردت الانثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر ولهذا باب يذكر فيه ان شاء الله قال جرير

تدس الى العطار سلعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
وكيف يطمع فى نزوعك عن اللجاج وقد سقيته قبل المجاج وكيف أرجو اقرارك جهرا وقد أتيته سرا وكيف تجود به صحيحا مطمعا وقد بخلت به مريضا مؤيسا وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتخاشنه وتنافره وتراهنه لا تفعل ذلك الا فى المحافل العظام وبحضرة كبار الحكام ثم تستغرب ضحكا من طمعه فيك وتعجب الناس من محاولته لك واشهدك بعد هذا انك تخاشن عمرا الجاحظ وتغافله ثم تطارقه وتطاوله وتتغنى مع مخارق وتتكر فضل زرزب وتستجهل النظام وتستغبى قيس بن زهير وتستخف الاحنف بن قيس وتبارز على بن أبى طالب ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المرة ومن حد الفقد الى حدود الموتى

لما ذكرت بالديرين أرقني * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الابيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الاعرابي وهي لاحد ابني حبناء أحسبه صخرا وهما من بني تميم وكانا من الازارقة قال

انى هزئت من ام الغمر اذ هزئت * بشيب رأسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره * ولا سعادته يوما باكثار

يقتره الهاء تعود على الاقتار

ان الشقي الذي في النار منزله * والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي * لوم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر آخرة * وسوف ينبئني الجبار اخباري

ثم يتفقان بعد في الرواية وكان ربما أنشدنا * انى هزئت من ام الغمر) * قال أبو العباس وقال اعرابي من بني الحرث بن كعب

رميت لسلمى بوضيم وانني * قديما لابي الضيم وابن اباة
فقد وقفتني بين شد وشبهة * وما كنت وقافا على الشبهات
فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها * عدمتك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيب حال بابك دونه * تقطع نفسي دونه حسرات
ووالله لولا أن يساء لرعتها * بما ليس بالمأمون من فتكاتي

قوله رميت لسلمى بوضيم فانما هذا مثل وأصله أن الناقة اذا ألقت سقبها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا ولطخوه بشئ من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك ريحا ويقال للخرقة التي تجعل في أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد ريحا وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه فان درت عليه قيل ناقة درور ترأمه تشمه ويقال في هذا المعنى ناقة طؤور فينتفع بلبنها ويقال ناقة رائم ورؤوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوها فان رميت ولم تدر عليه فتلك العلوق ولا خير عندها وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى على فعلى (الشعر لافنون التغلبي)

هذا وليس لك مساعد ولا معك شاهد واحد ولا رأيت أحدا اتفق في الحكم عليك أو ينتظر تحقيق دعواك ولا رأيت منكرا يخليك من التأنيب ولا مؤنبا يخليك من الوعيد ولا موعدا يخليك من الايقاع ولا موقعا يرثى لك ولا شافعا يشفع فيك ياعم لم تحملنا على الصدق ولم تجر عنا مرارة الحق ولم تعرضنا لاداء الواجب ولم تستكثر من الشهود عليك ولم تحمل الاخوان على خلاف محبتهم فيك اجعل بدل ما تجني على نفسك ان تجني على عدوك وبدل ما يضطر الناس ان يصدقوا فيك ان تضطرهم الى ان يمسكوا عنك ولا بد يرحمك الله تعالى لمن فاته الطول من ان يلقى بيده انما يقول خلاف ما يجده في نفسه فوالله انك لجيد الهمامة وفي ذلك خلف لحسن القمامة وانك لحسن الخط وذلك عوض من حسن اللفظ وانا انجد مقالا وانك لتعد

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم * أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به * رئمان أنف اذا ما ضن باللبن

فقوله رئمت لسلمى بوضيم أى ألفت لها على الضيم ويقال فلان رؤوم للضيم اذا كان ذليلا راضيا بالخسف وقال اعرابى أحسبه تميميا

وداهية داهى بها القوم مفلق * شديد بعوران الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها * رميت بأخرى يستدير أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما * تساقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلقنى فهما ولم تلق حجتى * ملجلجة أبنى لها من يقيمها

قوله وداهية يعنى حجة داهى بها القوم مفلق يريد عجيبة والفلق اسم من أسماء الدواهى ويقال فلق فى هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشهور كثير فى الكلام ومنه قول خلف الاحمر * موت الامام فلقة من الفلق * وأنشدنى منشد

(اذا عرضت داوية مدلهمة) * وغرد حاديها عملن بنا فلقا

بفتح الفاء وقوله شديد بعوران الكلام العوراء هى القبيحة قال حاتم بن عبد الله الطائى

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر * وذى أود قومته فتقوما

وأزومها امساكها يقال أزم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيتيه وفى الحديث ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أحد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لانزعها فاقسم على أبو عبيدة فازم بها أبو عبيدة بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فاقسم على أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل فى الاولى وكان مشفقا من تحريكها لئلا يؤذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم وقوله فازم بها يقال أزم يأزم وأزم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدى (وهو المثقب)

يصيخ للنبأة أسماعه * اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمة

خصالا فقل معروفا نانا
من اعوانك واقتصدفانا
من انصارك وهات فانك
لو أسرفت لقلنا قد
اقتصدت ولو حرت لقلنا
قد اهتديت ولكنك تجئ
بشئ تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا
لو غششناك لساعدناك
ولو نافقناك لاغرينا
(فصل) وقد كنت أطال
الله بقاءك فى الطول
زاهدا وعن القصر راغبا
وكنت أمدح المربوع
وأحمد الاعتدال ولا والله
ن ايقوم خير الاعتدال
بشر قصر العمر ولا جمال
المربوع بما يفوت من
منفعة العلم فاما اليوم
فيا ليتنى كنت أقصر منك
واضوى وأقل منك واقى
وليس دعائى لك بطول
البقاء للزيادة لكن على
جهة التعبد والاستكانة
فاذا سمعتنى أقول أطال
الله بقاءك فهذا المعنى أريد
واذا رأيتنى أقول لا أخلى
الله مكانك فالى هذا المعنى
اذهب وقد زعموا جعلت

وقد توجس ركزا مقفر ندس • بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

وقوله حتى اذا ماوعيتها يقول جمعتها في سمعي يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع في الوعاء قال الله عز وجل وجمع فأوعى وقال الشاعر (عبيد بن الأبرص)

الخير يبقى وان طال الزمان به • والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت باخرى يستدير أميمها يريد يستدير من الدوار ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوامة وفي الحديث كره البول في الماء الدائم لانه كالمستدير في موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض • على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم • رأوا أخرى تحرق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأمومها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال للشجة التي قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى تلك فالشجة آمة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة في قعرها لجف • فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

المغاريد صغار من الكمأة وقوله في قعرها لجف أي تقلع يقال تلجفت البئر اذا انقلع طيها من أسفلها ولجف القوم مكيالهم اذا وسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كانهم سكارى لما نالهم من تلك الحجة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدن وقوله ما يبل يقال بل وابل من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفؤل كما يقال للمهلكة مفازة وللغراب الأعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلقني فهة يقول ضعيفا يقال فه فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفهه اذا كان عاجزا وقوله ملجلجة وهو ان يرددها في فيه وقد مضى تفسيره وقال رجل يكنى أبا مخزوم من بني نهشل بن دارم (هو بشامة بن حزن النهشلي عن أبي رياش)

انا بني نهشل لا ندعى لاب • عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة • تلق السوابق منا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبدا • الا افتلينا غلاما سيدا فينا

فداك ان كلما طال عمره من الحيوان زائد في شدة الاركان وفي طول العمر وصحة الابدان كالورشان والضباب وحمر الوحش وكلحم النسر لمن أكله ولحم الحية لمن استحله فان كان هذا حقا وكان نافعا وكنت له مستعملا وفيه متقدما وتراه رأيا أخذنا منه بنصيب وتعلقنا منه بسبب وفيك أمران غريبان وشاهدان بديعان جواز الكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة اياك وجوهرك فلكي وتركيبك أرضي فتملك طول البقاء ومعك دليل الفناء وأنت علة للتضاد وسبب للتنافي وما طبعك بخلق لا تضره الاحالة ولا يفسده التناقض

(فصل) جعلت فداك قد شاهدت الأنس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة وممزوجة واغفالا موسومة وسالمة ومدخولة فما تخفى

انّى لمَنْ معشرٍ افنى أوائلَهُمْ • قيلُ الكُماةِ الا أينَ المحامونا

لو كانَ فى الألفِ منّا واحدٌ فدعوا • مَنْ فارسٌ خالَهُمْ اياهُ يعنونا

ولا تراهُمْ وان جلّتْ رزيّتُهُمْ • مع البُكاءِ على مَنْ مات يبكونا

انّا لنرخصُ يومَ الرّوعِ أنفسَنا • ولو نُسامُ بها فى الأمنِ أغلينا

اذا الكُماةُ تنحّوْا ان ينالَهُمُ • حدُّ الظُبات وصلْناها بأيدينا

فرضٌ على مُكثرينا فيلُ بذلِهمُ • والجودُ والبذلُ فى طبعِ المُقلّينا

انّى ومَنْ كابى يحيى وعترتَه • لانخفرُ الّا لنا أمّنْ يُوازينا

قوله انا بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ومن قال انّا بنو نهشل فقد خبّرك وجعل بنو خبران ومن قال بنى فانما جعل الخبران تبتدر غاية يوم المكرمة تلق السوابق منا والمصلينا ونصب بنى على فعل مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله

• نحنُ بنى ضبّةَ أصحابُ الجَمَلْ • أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان من يختصّ بهذا فقال أعنى بنى ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمّالةَ الحطبِ أرادوا مرأته فى جيدها حبلٌ من مسد ثم عرفها بحمّالة الحطب وقوله عز وجل والمُقيمين الصّلاةَ بعد قوله لكن الرّاسخون فى العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ فى التعريف وسنشرحه على حقيقة الشرح فى موضعه ان شاء الله وأكثر العرب ينشدُ (هو لعمرو بن الأهتم المنقرى)

انّا بنى منقرٍ قومٌ ذوو حسَبٍ • فينا سَراةُ بنى سعدٍ ونادِيها

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسنَ الخالقين وقوله يشرينا يريد يبيعنا يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشَرَوْهُ بثمنٍ بخسٍ دراهمَ معدودةٍ وقال ابن مُفرّغ الحميرى

شَرَيْتُ بُرْدًا ولو لا ما تكنّفنى • من الحوادثِ ما فارقتُه أبدا

(يا بُرْدُ ما مسّنا دهرٌ أضرّ بنا • من قبلِ هذا ولا بعناله ولدا)

ويكون شَرَيْتُ فى معنى اشتريتُ وهو من الاضداد وأنشدنى التوّزى

اشرُوا لها خاتنًا وابغُوا لختنتها • مواسيًا أربعا فيهنّ تذكيرُ

(كان ابن جابر يروى لختنتها ويقول الختنُ العقلُ) وقوله تلق السوابق منا والمصلينا فالمصلّى

علمك الحجة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذافيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت العلل وهى تولد والاسباب وهى تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقة من التمويه (فصل) انا جعلت فداءك كما انك لم تكن فكنت فكذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت فى الدهر الطويل فكذا تنقص فى الدهر الطويل وكل طويل فهو قصير وكل متناه فهو قليل فاياك ان تظن انك قديم فتكفر واياك ان تنكر انك

الذى فى اثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر

تركت الرمح يعمل فى صلاه * كان سنانه خرطوم نسر

وقوله الا فتلينا غلاما سيدا فينا مأخوذ من قولهم فلوت الفلو يا فتى اذا أخذته عن أمه قال الاعشى

مولع لاعة الفؤاد الى جحـ ـش فلاه عنها فبئس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمحان القينى * اذا مات منهم سيد قام صاحبه * وقوله

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا من فتى خلت أننى * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول متمم بن نويرة اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظبات فالظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة النصل وجمعه ظبات

وأراد بالظبة ههنا موضع المضرب من السيف وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى

كعب الانصارى نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله انا لنرخص يوم الروع أنفسنا أخذه من قول الهمدانى وهو الاجدع أبو مسروق ابن الاجدع

الفقيه لقد علمت نسوان همدان اننى * لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى واننى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

ومن القتال الكلابى حيث يقول

أنا ابن الاكرمين بنى قشير * وأخوالى الكرام بنو كلاب

نعرض للطعان اذا التقينا * وجوها لا تعرض للسباب

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف وقال الحسن نعم الله أكثر من ان تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر من ان يسلم منها الا ما عفا الله عنه

وقال

محدث فقد شرك فان للشيطان فى مثل اطماعا لا يصيبها فى سواك ويجد فيك غليلا لا يجدها فى غيرك

(فصل) وقد علمت ان الخبر اذا صح أصله وكان للناس علة فى نشره كان فى الدلالة على الحق كالعيان وفى الشفاء كالسماع على ان الخبر لا يعرف به تكييف الامور ولكن تعرف به جمل الاشياء الا خبرك فانك لا تحتاج الى اشارة ولا الى علة ولا الى نفس حتى يقوم خبرك فى الشفاء وفى كيفية الشئ مقام العيان وقد كنت أتعجب من عبد الملك وأقول ما يقولون فى رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو قلت كذا كان أفضل أو كنت لم أقل كذا كان أمثل فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من أقصى فكركم فلما رأيته علمت انك عذاب صبه الله تعالى على كل رفيع ورحمة أنشأها الله

وقال عمر بن ذر ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه فقال يا بني انه ما علمينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لا نالا ندري ما قلت ولا ما قيل لك اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقى فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابى عليه له وزدنى من فضلك انى اليك من الراغبين وسئل ما بلغ من بره بك فقال ما مشى معى بنهار قط الا قدمنى ولا بليل الا تقدمنى ولا رقى سطحا وأنا تحته وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما اعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التى وارتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب ودخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى فقال يا أبت هذا عمر بن يزيد الأسيدى ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كاند والله يا بنى بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك والحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الى من سمعى وبصرى ومن مالى وولدى ومن أهلى وعشيرتى افتراه يخذلنى فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدى شريفا حدثنى التوزى عن أبى عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدى ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزارى ورجل أهل الكوفة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال أجل لولا حب فى بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتنى بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل بمالك على هشام أقبل على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد أما انى ما تمنيت ان تكون أمى ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده أبا أمه وجعل عمر والسياط تأخذه ينادى يا هشاماه فى ذلك يقول الفرزدق

ألم يك مقتل العبدى ظلما * أباحفص من الكبر العظام

فتبل جماعة فى غير حق * يقطع وهو يدعو يا هشام

والتقى الحسن والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد قال

لكل وضيع فخبرنى ما جوى
بينك وبين هرمس فى
طبيعة الفلك وعن سماعك
من افلاطون وما دار
بينك وبين ارسطاطاليس
وأى نوع اعتقدت وأى
شئ اخترت فقد أبت
نفسى غيرك وأبت ان
تنشنى الا بخبرك ولولا انى
كلف برواية الأقاويل
ومغرم بمعرفة الاختلاف
وانى أستجيز مسألتك
عن كل شئ وابتذالك فى
كل امر لما سمعت من أحد
سواك وما انقطعت الى
أحد غيرك اعلم جعلت
فداك انى لم أرد بمزاحك
الا ان أضحك سنك ولا
كانت غايتى فيه الا أنفق
عندك وقد كنت خفت
ان لا أكون وقعت على
حدة وأشفقت من المجاوزة
لقدره والمزاح باب ليس
المخوف فيه التقصير ولا
يكون الخطأ فيه من جهة
النقصان وهو باب متى
فتحه فاتح وطرق له مطرق
ولم يملك من سده الذى

وما يقولون قال يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة وخمس نجائب لا يدركن يعنى الصلوات الخمس فيزعم بعض التميمية انه رئى فى النوم فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لى فقيل له بأى شئ فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناده ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول ايه فداء لكم أبى وأمى كذا والله كان آباؤكم (قال أبو الحسن انما هو فداء لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مد لكنه قصر الممدود على هذه الرواية) قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسى فقال له مهما فعلت فقنط الناس فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال انى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقعا صالحا يوم القيامة يقال قنط يقنط وقنط يقنط وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نقم ينقم ونقم ينقم والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلما

ألم ترنى عاهدت ربى وانى ٭ لبين رتاج قائما ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ٭ ولا خارجا من فى زور كلام

وفى هذا الشعر

أطعنك يا ابليس تسعين حجة ٭ فلما انقضى عمرى وتم تمامى

رجعت الى ربى وأيقنت أننى ٭ ملاق لايام المنون حمامى

قوله لبين رتاج فالرتاج غلق الباب ويقال باب مرتج أى مغلق ويقال ارتج على فلان أى أغلق عليه الكلام وقول العامة ارتج عليه ليس بشئ الا ان التوزى حدثنى عن أبى عبيدة قال يقال ارتج عليه ومعناه وقع فى رجة أى فى اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر أراد لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فى زور كلام لانه على ذا اقسم والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل يقال ماء غور أى غائر كما قال الله عز وجل ان أصبح ماؤكم غورا ويقال رجل عدل أى عادل ويوم غم أى غام وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قم قائما فيوضع فى موضع قولك قم قياما وجاء من المصدر على لفظ فاعل حروف منها فلج فالجا وعوفى عافية وأحرف سوى ذلك يسيرة وجاء على

يملك من فقه ولم يخرج بقدر ما كان قدم من نفسه لانه باب أصل بنائه على الخطأ ولا يخالطه من الاخلاق الا ما سخف ومن شأنه التزيد وان يكون صاحبه قليل التحفظ ولم نر شيأ أبعد من شر ولا أبعد له صحبة ولا أشد خلافا ولا أكثر له خلطة من الجد والمزاح والمناظرة فان كنت لم أقصر عن الغاية ولم أتجاوز حد النهاية فيما أعرف من يمن مكالمتك وبركة مكاتبتك ومن حسن تقويتك وجودة تثقيفك وان كنت أخطأت الطريق وجاوزت المقدار فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا انكارا لحقك ولكن حدود الاشياء اذا خفيت ومقاديرها اذا أشكلت ولم يكن مع الناظر فيها مثل تمامك ولا مع المتكلف بها مثل كمالك دخل عليه من الخلل بقدر عجزه وسلم منه بقدر نفاذه نعم ولو كان من

مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره ودخول المفعول على المصدر يقال رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الامير أى مضروب وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا أشتم حال فاراد ما هدت ربى فى هذه الحال وانا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه

أخاف وراء القبرين لم يعافنى ٭ أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا قادنى يوم القيامة قائد ٭ عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ٭ الى النار مغلول القلادة موثقا

اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم ٭ يذوبون من حر الحميم تمزقا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شقفل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف عليك أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن أن النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا قال فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما ٭ غدت منى مطلقة نوار

(وكنت كفاقئ عينيه عمدا ٭ فأصبح لا يضىء له النهار

وما فارقتها شبعا ولكن ٭ رأيت الزهد يأخذ ما أعار

وكانت جنتى فخرجت منها ٭ كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت يدى ونفسى ٭ لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعى ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

(باب)

قال لقيط بن زرارة ٭ شربت الخمر حتى خلت أنى ٭ أبو قابوس أو عبد المدان

العلماء الموصوفين ومن الادباء المذكورين والمزاح جعلت فداك باب نكد وجنس خدع يتكل المرء فى اساءته الى جليسه واستماعه لصديقه على ان يقول مزحت وعلى ان يقول عند المحاكمة عبثت وعلى ان يقول من يغضب من المزاح الاكراخلق ومن يرغب عن المفاكهة الاضيق العطن وبعد فتى أعدت النفس عذرا كانت الى القبيح أسرع ومتى لم تجده كانت عنه أبطأ ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعى الخطأ اليه ان كثيرا ممن تمازحه يضحك وان كنت قد أغضبته ولا يقطع مزاحك وان كنت قد أوجعته فان حقد ففى الحقد الداء وان عجل فذلك البلاء فان قلت فما أدخلك فى شئ هذه سبيله وهكذا جوهره وطريقه قلت لانى حين أمنت عقاب

أُمَشِّي فى بنى عُدَس بن زَيْد ٭ رَخِىَّ البال مُنْطَلِقَ اللسان

وحدثنى أبو عثمان المازنى قال أُسِرَ رجل يوم الحسين بن على رضى الله عنه فأُتِىَ به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أُرَجِّلُ جُمَّتِى وأَجُرُّ ذَيْلِى ٭ وتَحْمِلُ شِكَّتِى أُفُقٌ كُمَيْتُ

أُمَشِّى فى سَراة بنى غُطَيْف ٭ اذا ماسامنى ضَيْمٌ أَبَيْتُ

قال بَلَى فأَمَرَ به فقُتِلَ قال أبو العباس ونُمِىَ الى أن معاوية ولَّى كثير بن شهاب المَذْحِجِىَّ خُرَاسَانَ فاختان مالا كثيرا ثم هَرَبَ فاستترَ عند هانئ بن عُرْوَةَ المُرادِى فبلغ ذلك معاوية فنَذَرَ دم هانئ فخرج هانئ فكان فى جِوَارِ معاوية ثم حَضَرَ مجلسَهُ ومعاوية لا يَعْرِفُهُ فلما انْهَضَ الناس ثَبَتَ مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هانئ بن عُرْوَةَ فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقولُ فيه أبوك أُرَجِّلُ جُمَّتِى الشَّعْرَ فقال له هانئ أنا اليوم أعَزُّ منى ذلك اليوم فقال له بِمَ ذاكَ فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندى فى عَسْكَرِكَ يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انْظُرْ الى ما اختانه فَخُذْ منه بَعْضَا وسُغْهُ بَعْضَا وقال أعرابى

ولقد شَرِبْتُ الرَّاحَ حتى خِلْتُنِى ٭ لَمَّا خَرَجْتُ أَجُرُّ فَضْلَ المِئْزَرِ

قابوسَ أو عَمْرَو بن هِنْدٍ مائلاً ٭ يُجْبَى له مادونَ دارةِ قَيْصَرِ

وقال آخر شَرِبْنَا من الدَّادِىِّ حتى كأَنَّنَا ٭ مُلُوكٌ لَهُمْ بَرُّ العِراقَيْنِ والبَحْرُ

فَلَمَّا انْجَلَتْ شَمْسُ النَّهارِ رَأَيْتُنَا ٭ تَوَلَّى الغِنَى عَنَّا وعَادَ لَنَا الفَقْرُ

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحَكَم

وكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الاناءِ وبَيْنَهَا ٭ قَذَى العَيْنِ قَدْ نازَعْتُ أُمَّ أَبَانِ

تَرَى شارِبَيْهَا حِينَ يَعْتَوِرانِهَا ٭ يَمِيلانِ أَحْيَانًا ويَعْتَدِلانِ

فَأَظْنُنُ ذا الواشِى بأَرْوَعَ ماجِدٍ ٭ وبَدَّاءَ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيانِ

وقال آخر دَعَتْنِى أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو ولم أَكُنْ ٭ أَخَاهَا ولم أَرْضَعْ لَهَا بِلَبَانِ

دَعَتْنِى أَخَاهَا بَعْدَ ما كان بَيْنَنَا ٭ من الأَمْرِ مالا يَفْعَلُ الأَخَوانِ

وقال آخر (أنشده أبو على لام ضَيْغَمِ البَلَوِيَّة

فَبِتْنَا فَوَيْقَ الحَىِّ لا نَحْنُ مِنْهُمُ ٭ ولا نَحْنُ بالأَعْداءِ مُخْتَلِطَانِ

الاساءة ووثقت بثواب الاحسان وعلمت انك لانقتص الاعلى العهد ولا تقرب الاعلى القصد ترى الأمن سائقا والأمل قائدا وأى عمل أرد وأى متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والامن والمثوبة ولو كان هذا ذنبا كنت شريكى فيه ولو كان تقصيرا لكنت سببى اليه لان دوام التغافل شبيه بالاهمال وترك التعريف يورث الاغفال والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة ويذهبان بالتحفظ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان ابن عفان عمر كان خيرا لى منك رهبنى فانقانى وأعطانى فاغنانى فان كنت اجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا به وان كنت أخطأت فلم أخطأ عليك الا لك لان حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب فى قلة التحفظ وداعية الى ترك التجوز

وباتَ يقينا ساقطَ الطَّلِّ والنَّدى • من اللَّيلِ بُردا يمنةٌ عطرانِ

نُعَدِّي بذِكراهُ فى ذاتِ بيننا • اذا كانَ قلبانا بنا يَردانِ

(قال أبو الحسن وزادنى فيه غيرُ أبى العباس

ونَصدُرُ عن زِيِّ العَفافِ وربَّما • نَقَعْنا غليلَ النَّفسِ بالرَّشَفانِ)

قال أبو العباس نُعَدِّى أى نَصرِفُ الشرَّ بذِكرِ الله يقال فَعَدِّ عما تَرَى أى فانصرِفْ عنه الى غيرِه ويقال لا يَعْدُونَّكَ هذا الحديثُ أى لا يتجاوزَنَّكَ الى غيرِك قال أبو العباس وقال رجل من قُرَيشٍ

مَن تَقرَعِ الكأسُ اللَّئيمةُ سِنَّهُ • فلابُدَّ يوماً أن يُسِىءَ ويَجهَلا

ولم أرَ مَطلوباً أخَسَّ غنيمةً • وأوضَعَ للاشرافِ منها وأخمَلا

وأجدرَ أن تَلقَى كريماً يَذُمُّها • ويَشرَبُها حتَّى يَخِرَّ مُجَدَّلا

فواللهِ ما أدرِى أخَبَّلُ أصابَهُم • أمِ العَيشُ فيهالم يُلاقُوهُ أشكَلا

وقال آخر اذا صَدَمَتنِى الكأسُ أبدَتْ محاسِنِى • ولم يَخشَ ندمانى أذاتِى ولا بُخلِى

ولَستُ بفحَّاشٍ عليه وان أسَا • وما شَكَلٌ من آذَى نَدامايَ من شَكلِى

وقال آخر كُلُوا هَنِيأً وما شَرِبتُ مَرِيأً • ثُمَّ قُمْ صاغِراً فغيرُ كَرِيمِ

لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيـ • ـنِ اذا ما انتَشَى لعِرسِ النَّديمِ

الايماضُ تَغَمُّضُ البَرقِ ولَمحُهُ يقال أومَضَتِ المرأةُ اذا ابتَسَمَتْ وانما ذلك تشبيهٌ للَمعِ ثَنايا بها بتَبَسُّمِ البرقِ فاراد انه فَتَحَ عَينَهُ ثم غَمَّضَها بغَمزٍ وقال حسَّان بن ثابت

كأنَّ سَبِيئَةً من بيتِ رَأسٍ • يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

اذا ما الاشرباتُ ذُكِرنَ يوماً • فهُنَّ لطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ

نُوَلِّيها المَلامَةَ ان أَلَمْنا • اذا ما كانَ مَغْثٌ أو لِحاءُ

ونَشرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكا • وأُسْدا ما يُنَهنِهُنا اللِّقاءُ

المَغثُ المُماغَثَةُ باليدِ واللِّحاءُ المُلاحاةُ باللسانِ يقول يَعتَذِرُ المُسِىءُ بأن يقول كنتُ سَكرانَ فيُعذَرُ وقوله كأنَّ سَبِيئَةً يقال سَبأتُها اذا اشتريتَها سِباءً يعنى الخمرَ والسابِئُ الخَمَّارُ وقوله من بيتِ رأسٍ يعنى موضعا كما يقال حارِثُ الجَولانِ

وبعد فمن وهب الكبير فكيف يعف عند الصغير ومن لم يزل يعفو عن العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدرى هو الذى عظم ذنبى لكان عظم قدرى هو الذى شفع لى ولو استحققت عقابك باقدامى عليك مع خوفى لك لاستوجبت عفوك عن اقدامى عليك بحسن ظنى بك على انى متى أوجبت لك العفو أوجبت لك الفضل ومتى أضفت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف ولا أعلم حال الفضل الا أشرف من حال العدل والحال التى توجب لك الشكر الا ارفع من الحال التى توجب لك الصبر وان كنت لا تهب عقابى لحرمتى فهبه لأيادٍ لك عندى فان النعمة تشفع فى النعمة فان لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحب الاحدوثة وعد الى حسن

(باب)

قال أبو العباس قال الأحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السهيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء وقال الاحنف ثلاث في ما أقولهن الا ليعتبر معتبر ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء مالم أدع اليه يعني السلطان ولا حملت حبوتي الى ما يقوم اليه الناس تكسير الحاء ونضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر أنشد لي عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزبير وأنت عاقد حبوة ٭ فبحا لحبوتك التي لم تحلل

ويقال في جمع حبوة حبا وحبا مقصوران وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيآت وأقبح السيآت في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيآت في آثار السيآت والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السودد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسود الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن في حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسود أقوام وليسوا بسادة ٭ بل السيد المعروف سلم بن نوفل

قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيظي الانصاري بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكني رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت في نائبتهم وحملت عن سفيههم وشددت على يدي حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فانا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل مني وكان سبب ارتفاع عرابة انه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة قال قدمت لأمتار منها فلا له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو ٭ الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتني وحملت رحلي ٭ عرابة فاشرقي بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا ٭ الى ربع الزهان ولا الثمين

العادة وان لم تفعل ذلك لحسن العادة فأت ما أنت أهله واعلم اني واياك متى تحاكمنا الى كرمك قضى لي عليك ومتى ارتفعنا الى عدلك حسن العفو عني عندك وفصل ما بيننا وبينك وفرق ما بين اقدارنا وقدرك انا نسيئ وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوم ونجهل وتعلم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف واذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه من التعرض وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن السلم وصار التعرض لعفوك بالامن باطلا والتعرض لعقابك بالخوف حقا ورغبت عن النبل والبها وعن السودد والسنا وصرت كمن يشفي غيظا أو يداوي حقدا ويظهر القدرة أو يحب ان يذكر بالصولة ولم

قوله

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعانى معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه وقد أحسن كل الاحسان فى قوله

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

يقول لست احتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقى بدم الوتين وقال كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها وقال لا نذر فى معصية ولا نذر للانسان فى غير ملكه ومما يعب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الانصارى لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة

اذا بلغتنى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلى ورائى

الحساء جمع حسى وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حسى وأحساء وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلى ورائى مجزوم لانه دعاء فقوله لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيدا لا يغفر الله له فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الامر والنهى كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ فى قوله

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليه جازر

الوصل المفصل بما عليه من اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجذل فى معنى واحد

(باب)

قال أبو العباس أنشدنى التوزى لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجفرة

نحن ضربنا الازد بالعراق * والحى من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق * بلا معونات ولا ارزاق

نجدهم أبقاك الله يحمدون القدرة الا عند استعمالها فى الخير ويذمون العجز الا لما يفوت به من اتيان الجميل وانى لك بالعقاب وأنت خير كلك ومن أين اعتراك المنع وأنت انهجت الجود لاهله وهل عند الامانى طبعك وكيف لك بخلاف عادتك فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح ولم تكدها بالمنافسة ومذهبها السماحة سبحان من جعل أخلاقك وفق اعراقك وفعلك وفق عملك ومن جعل ظنك أكثر من يقينك وفراستك أقوى من عيانك وعفوك أرجح من جهدك وبداهتك أجود من تفكرك وفعلك ارفع من وصفك وغيبتك أهيب من حضور الشاكة وعينك أشد من عقاب الظلمة وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتجافى عن عذاب المصر وتتغافل

الأبقايا كرم الأعراق * لشدة الخشية والاشفاق

* من المخازى والحديث الباقى *

الأعراق جمع عرق يقال فلان كريم العرق ولئيم العرق أى الأصل وقال آخر يصف ابنه

أعرف منه قلة النعاس * وخفة فى رأسه من راسى * كيف ترين عنده مراسى

يخاطب أم ابنه فقوله أعرف منه قلة النعاس أى الذكاء والحركة وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده علمهم العوم وهذبهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهذلى

فاتت به حوش الجنان مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وقال الآخر فجاءت به حوش الفؤاد مسهدا * وأفضل أولاد الرجال المسهد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وقال عروة بن الورد العبسى وهو عروة الصعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله * مصافى المشاش آلفا كل مجزر

(يعد الغنى من نفسه كل ليلة * أصاب قراها من صديق ميسر)

ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا * يحث الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحى ما يستعنه * فيضحى طليحا كالبعير المحسر

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه * كضوء سراج القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيح المشهر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه * تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك ان يلق المنية يلقها * حميدا وان يستغن يوما فاجدر

(يريح على الليل أضياف ماجد * كريم ومالى سار حامال مقتر

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلك لانه لم ير واو الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأة الاتراه قال

أقلى على اللوم يا ابنة مالك * ونامى وان لم تشتهى ذاك فاسهرى)

قوله * يحث الحصى عن جنبه المتعفر * يريد المتترب والعفر والعفراء اسمان للتراب من ذلك قولهم عفر الله خده ويقال للظبية عفراء اذا كانت يضرب بياضها الى حمرة وكذلك الكثيب

عن المنادى وتصفح عن المتهاون حتى اذا صرت الى من ذنبه شيات وتوبته اخلاص وهفوته بكر وشفعته الحرمة ومن لا يعرف الشكر الا لك ولا الانعام الا منك ولا العلم الا من تأديبك ولا الاخلاق الا من تقويمك ولا يقصر فى بعض طاعتك الا لما رأى من احتمالك ولا نسى بعض ما يجب لك الا لما داخله من تعظيمك صرت تتعود بالصدوهو دليل كل بلية وتستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكة وقد علمت ان عتابك أشد من الصريمة وان تأنيبك أغلظ من العقوبة وان منعك اذا منعت فى وزن اعطائك اذا اعطيت وان عقابك على حسب ثوابك وان جزعى من حرمانك فى وزن سرورى بفوائدك وان شين غضبك كذم رضاك وان موت ذكرى بانقطاع سببى منك كحياة ذكرى

الاعفر وقوله كالبعير المحسر هو المعيي يقال جمل حسير وناقة حسير قال الله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله • وان بعدوا الا يأمنون اقترابه • على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن فى الاعراب اذا كان الفعل الاول فى المجازاة ماضيا كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالى ولا حرم

فان كان الفعل الاول مجزوما لم يجز رفع الثانى الا ضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندى على ارادة الفاء لعلة تلزمه فى مذهبه نذكرها فى باب المجازاة اذا جرى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرع • انك ان يصرع أخوك تصرع

أراد سيبويه انك تصرع ان يصرع أخوك وهو عندى على قوله ان يصرع أخوك فأنت تصرع يا فتى ونستقصى هذا فى بابه ان شاء الله تعالى وقوله • كيف ترين عنده مراسى • يقول للمرأة عززت على شبهه ويقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لانها تبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت ان تطلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير الهذلى

ممن حملن به وهن عواقد • حبك النطاق فشب غير مهبل

(المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعو عليه بالهبل)

حملت به فى ليلة مزءودة • كرها وعقد نطاقها لم يحلل

مزءودة ذات زؤد وهو الفزع فمن نصب مزءودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى • ونمت وما ليل المطى بنائم

وقال آخر • فنام ليلى وتجلى همى • وهذا الرجز ضد ما قال الآخر فى ولده فانه أقر بان امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهنى عصام • لا خلقى منه ولا قوام • نمت وعرق الخال لا ينام

يقول عززتنى أمه على الشبه فذهبت به الى أخواله وقال آخر

مع اتصال سببى بك ومالى اليوم عمل انا اليه اسكن ولا شفيع أنا به أوثق من شدة جزعى من عتبك وافراط هلعى من خوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومن بالعفو لم يكن لصاحبه منه الا السلامة والنجاة من الهلكة بل تشفع ذلك بالمراتب الرفيعة والعطايا الجزيلة والعز فى العشيرة والهيبة فى الخاصة والعامة مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكرى القد والخرط والطول والعرض وما بيننا وبينك فى ذلك من التنازع والتشاجر والتنافر فان الكلام قد يكون فى لفظ الجد وهو مزاح ولو استعمل الناس الدماثة فى كل حال والجد فى كل مقال وتركوا التسمح والتسهيل وعقدوا فى كل دقيق وجليل لكان الشر صراحا خيرا لهم والباطل .

لقد بعثت صاحبا من العجم • بين ذوى الاحلام والبيض اللمم • كان أبوه غائبا حتى فطم
يقول لم يسق غيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة حتى علمت
ان فارس والروم تفعل ذلك باولادها فلا تضير أولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهى حامل أو ترضع
وهى تغشى ويزعم أهل الطب من العرب والعجم ان ذلك اللبن داء وقالت أم تأبط شرا والله
ما حملته وضعا ولا وضعته يتنا ولا سقيته غيلا ولا ابته مئقا وقال الاصمعى ولا ابته
على مأقة قولها ما حملته وضعا يقال اذا حملت المرأة عند مقبل الحيض حملته وضعا وتضعا واذا
خرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته يتنا قال الشاعر

فجاءت به يتنا يجر مشيمة • تسابق رجلاه هناك الانامل

ويقال للرجل اذا قلب الشئ عن جهته جاء به يتنا قال عيسى بن عمر سألت ذا الرمة عن مسئلة
فقال لى أتعرف اليتن قلت نعم قال فسئلتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الكلام والغيل ما فسرناه
واما قولها ولا ابته مئقا تقول لم ابته مغيظا وذلك ان الحرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته
الى الرضاع ثم تحركه فى مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والكيسة تشبعه وتغنيه فى مهده فيسرى
ذلك الفرح فى بدنه من الشبع كما سرى ذلك الغم والجوع فى بدن الآخر ومن أمثال العرب أنا تئق
وصاحبى متئق فكيف نتفق التئق المملوء غيظا وغضبا والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق

(باب)

قال أبو العباس قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك
عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادف موضعا فهو الذى قصدت
له والا كنت أحق به (قال أبو الحسن الاخفش حدثنا المبرد فى غير الكامل قال قال الحسن والحسين
رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمى ان الله
عودنى أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى) ومن

محضا أرد عليهم ولكن
لكل شئ قدر ولكل حال
شكل فالضحك فى موضعه
كالبكا فى موضعه والتبسم
فى موضعه كالقطوب فى
موضعه وكذلك المنع
والبذل والعقاب والعفو
وجميع القبض والبسط
فان ذممنا المزاح ففيه
لعمرى ما يذم وان حمدناه
ففيه ما يحمد وفصل
ما بينه وبين الجد أن الخطأ
الى المزاح أسرع وحاله
بحال السخف أشبه فاما
أن يذم حتى يكون كالظلم
ويبقى حتى يصير كالغدر
فلا لان المزاح مما يكون
مرة حسنا ومرة قبيحا فاذا
صرنا الى الجد ورغبنا الى
الهزل وتركنا المزاح
وجلسنا للحكم فقد أغناك
الله تعالى عن الحجة كما
سلمك من الشبهة ولم
نكلفك الاحتجاج كما
نرغب بك عن الاعتلال
فاصبحت لا محتجا ولا
محجوجا ولا عقلا ولا

يزيد بن المهلب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانى مائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه اتريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك فقال له ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى ادفعها اليها وزعم الاصمعى ان عنزا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فاذا به فى شملة يخلط بزر العنزل حلوب فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غديتنا قال فاتته بزيت وتمر قال فدعانى فقعدت فأكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجة وثب الى طين ملتى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينى ماء فاتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال يا جارية على بردائى فاتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حللت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله وانصرف وحدثنى أبو عثمان بكر بن محمد المازنى عن أبى عبيدة قال لما أتى زياد بن عمرو المربد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى جعل فى الميمنة بكر بن وائل وفى الميسرة عبد القيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الاحنف فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر الغدانى وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب فى القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف باخى كهمس وهو أحد بنى صريم بن يربوع فجعل فى القلب بحذاء الازد وجعل حارثة بن بدر فى بنى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للاحنف

سيكفيك عبس أخو كهمس ٭ مقارعة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو وعلى رسلها ٭ لكيز بن أفصى وما عددوا

موسوما ولا ملوما ولا معذورا ولا فيك اختلاف ولا بك حاجة الى الائتلاف وليس مع العيان وحشة ولا مع الضرورة وحمة ولا دون اليقين وقفة وهل فيك ريب حتى تعالج بالحجة وهل يرد فضلك حاد حتى تثبت بالصبغة وهل لك خصم فى العلم أو يد فى الفهم أو مجاز فى الحلم أو ضد فى العزم وهل يبلغك الحسد أو تضرك العين أو تسمو اليك المنى أو يطمع فيك طاغ أو يتعاطى شأوك باغ وهل غاية الجميل الا وصفك وهل زين البليغ الا مدحك وهل يامل الشريف الا اصطناعك وهل يفيد الملهوف الا غياثك وهل للطلاب غاية سواك وهل للغوانى مثل غيرك وهل لمادح رجز الا فيك وهل يحدو الحادى الا بك ولولا أن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك وبحصته

ونكفيك بكرا اذا أقبلت ● بضرب يشيب له الأمرد

فلما توافقوا بعث اليهم الاحنف يا معشر الازد ورَبيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالامس وطئتم حريمنا وحرقتم علينا فادفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخيرخلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت فحل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك في الجاهلية وكان الرجل اذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودي عشر ديات فبعث اليه الاحنف سختمار فانصرفوا في يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم انكم خير مونا خلا لا ليس فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دما وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل ولكن الثالثة انما هي حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندي قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد أذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ويغمد السيف ويودي سائر القتلى من الازد وربيعة فتضمن ذلك الاحنف ودفع اياس بن قتادة النجاشي رهينة حتى يؤدي هذا المال فرضي به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال

ومنا الذي أعطى يديه رهينة ● لغازي معد يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهما ● عجاجة موت بالسيوف الصوارم

هنالك لو تبغي كليبا وجدتها ● أذل من القردان تحت المناسم

(قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازي معد) ويقال ان تميما في ذلك الوقت مع بادية وحلفائها من الاساورة والزط والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا ففي ذلك يقول جرير

سائل ذوي يمن ورهط محرق ● والازد اذ ندبوا النوام مسعودا

فاتاهم سبعون ألف مدجج ● مستلئمين بلا مقاو حديدا

قال الاحنف بن قيس فكثرت على الديات فلم أجدها في حاضرة ثم خرجت نحو يبرين فسألت عن

من الصدق وشيمته من الشكر لكان الاطناب عندهم في وصف لغوا ولكان تكلفه فضلا ومن هذا الذي نصفه ان يكون دوند أو يهجى بالتسليم أو نعد اقراره احسانا وخضوعه انصافا وهل تقع الابصار الا عليك وهل تصرف الاشارة الا اليك وأي أمرك ليس بغاية وأي شئ منك ليس في النهاية وهل فيك شئ يفوق شيأ أو يفوقه شئ أو يقال لو لم يكن كذا لكان أو لو كان كذا لكان أنى وأين الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التي لا تستحيل والتمام الذي لا يحل الا فيك أو عندك أولك أو معك لا بل أين الحسن المصمت والجمال المفرد والقد العجيب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل على ظهرها جميل حسيب

المقصود

المقصود هناك فأرشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفي صلوات الله عليه قال فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فاي خير في حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التي لزمتنا للازدور بيعة قال فقال لي أقم فاذا راع قد أراح ألف بعير فقال خذ هاتم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالالف عنه ووالله ما أدري من هو الى الساعة قوله المناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير في مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه والعرب تفعل هذا في الشيئين اذا جريا في باب مجرى واحد قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم ٭ لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لانهما قد اجتمعا في قولك القمران وغلب الاسم المذكر وانما يؤنث في مثل هذا الخفة وقالوا العمران لابي بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يصب لان أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أعطنا سنة العمرين فان قال قائل فلم لم يقولوا أبوي بكر وأبو بكر أفضلهما فلان عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير

وما تغلب ان عدوا مساعيهم ٭ نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ٭ والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه (انما قال هكذا أنشدنيه لان غير التوزي يرويه والطيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الارقط) ٭ قدني من نصر الخبيبين قدي ٭ يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمنازرة فجمعهم على اسم الاب والمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون أن يقولوا قتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن ويروى أن رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به صائح يا خليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بني لهب وهم من بني نصر بن الازد وهم أزجر قوم قال كثير

وعالم أديب الا وظلك أكبر من شخصه وظنك أكثر من علمه واسمك أفضل من معناه وحلمك أثبت من نجواه ولربما رأيت الرجل حسنا جميلا وحلوا مليحا وعتيقا رشيقا وفخيما نبيلا ثم لا يكون موزون الاعضاء ولا معتدل الأجزاء وقد تكون أيضا الاقدار متساوية غير متقاربة ويكون قصدا ومقدارا عدلا وان كانت هناك دقائق خفية لا يراها الغبي ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكي فاما الوزن المتحقق والتعديل الصحيح والتركيب الذي لا يفضحه التفرس ولا يحصره التغيب ولا يتعلل جاذبه ولا تطمعه في التمويه غايته فهو الذي خصصت به دون الأنام ودام لك على الأيام وكذا الحسن اذا كان حرا مرسلا وعتيقا مطلقا لا يتحكم عليه

سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال فلما وقفنا رمى الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبدا فالتفت فاذا بذلك اللهبي بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل

الحول ﴿باب﴾

قال أبو العباس أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد قال أنشدني اعرابي في قصيدة ذي الرمة

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب للاغتراب وقضبة * لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وقال آخر (قال أبو الحسن هو جحدر العكلي وكان لصا)

وقد ماها جني فازددت شوقا * بكاء حمامتين تجاوبان

(وقد ماعن أبي الحسن) تجاوبتا بلحن أعجمي * على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى * وفي الغرب اغتراب غير دان

وأنشدني أبو محلم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت * علي وقالوا قم فانك ظالم

وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي عن أبي زيد الانصاري

ولقد بغيت المال من مبغاته * والمال وجه للفتى معروض

طلب الغنى عن صاحبي ليبتني * ان الفقير الى الغنى بغيض

وقال آخر أنشدنيه التوزي عن أبي زيد

وصاحب نبهته لينهضا * اذا الكرى في عينه تمضمضا

فقام عجلان وما تأرضا * يمسح بالكفين وجها أبيضا

الذهن ولا يديله الزمان ولا يحتاج الى تعليق التمائم ولا الى الصون والكن ولا الى المنقاش والكحل ولو لم يكن لحسن وجهك الا انه قد سهل في العيون تسهيلا وحبب الى القلوب تحبيبا وقرب الى النفوس تقريبا حتى امتزج بالارواح وخالط الدماء وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوهم ولا السرور الشديد ولا الشراب الرقيق لكان له في ذلك المزية الظاهرة والفضيلة البينة ولو لم يكن لك الا اننا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو أحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأبهى من الغيث وأحسن من يوم الحلبة وانا لا نستطيع ان نقول في التفاريق كان عنقه ابريق فضة وكان قدمه لسان حية وكان وجهه ماوية

قوله وما تأرضا أى لم يلزم الارض وأنشدنى التوزى عن أبى زيد الانصارى (قال أبو الحسن هو شبيب ابن البرصاء)

لقد علمت أم الصبيين أننى ... الى الضيف قوام السنات خروج

اذا المرغث العوجاء بات يعزها ... على ضرعها ذو توءمتين لهوج

وانى لأغلى اللحم نيا وانني ... لمن جيد اللحم وهو نضيج

قوله قوام السنات يريد سريع الانتباه والسنة شدة النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وقال ابن الرقاع العاملى

لولا الحياء وان رأسى قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر عاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

معنى رنقت تهيأت يقال رنق النسر اذا مد جناحيه ليطير قال ذو الرمة

(اذا ضربته الريح رنق فوقنا) ... على حد قوسينا كما رنق النسر

وقوله المرغث يعنى التى ترضع ترغث ولدها ويقال لها رغوث قال طرفة

لبيت لنا مكان الملك عمرو ... رغونا حول قبتنا تخور

وقوله يعزها أى يغلبها وقال الله عز وجل وعزنى فى الخطاب يقول غلبنى فى المخاطبة وأصله من قوله كان أعز منى فيها ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب استلب وقال زهير

... وعز تبيداه وكاهله ... يقول كان ذلك أعز ما فيه ويقال لهج الفصيل فهو لهوج اذا لزم الضرع ويقال رجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشده على الضرع أو على أنف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضرحته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار

رعى بارض الوشمى حتى كأنما ... يرى بسفا البهمى أخلة ملهج

البارض أول ما يبدو من النبت والبهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاده هذا المرعى الدن استغشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كأنه مخاول عن البهمى أى يراها كالأخلة وقوله ذو توءمتين فالتومة فى الأصل الحبة ولكنها فى هذا الموضع التى تعلق فى الاذن (وقوله الحبة انما معناه من حبات النظم) وكالبيت الاخير قوله

وكان بطنه قنطية وكان ساقه بردية وكان لسانه ورقة وكان أنفه حد سيف وكان حاجبه خط قلم وكان لونه الذهب وكان عوارضه البرد وكان فاه خاتم وكان جبينه هلال ولهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء ولهو أمضى من السيل وأهدى من النجم لكان فى ذلك البرهان النير والدليل المبين وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية فى كل فضل والمثل فى كل شكل واما قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا ... اذا ما زدته نظرا

وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التغرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وما ندرى أجواهر مقطعاته أكرم فى الجواهر أم تنضيد

وانى لأغلى لحمها وهى حيّة • ويرخص عندى لحمها حين تذبح

بذا فاندبينى وامدحينى فانّنى • فتى تعترية هزّة حين يمدح

(باب)

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أىّ الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مالك من عيشك الا لذّة تزدلف بك الى حمامك وتقرّبك من يومك فأىّة أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمّل أمرك فكأنّك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المختزم أهل الدنيا أهل سفر لا يحلّون عقد رحالهم الا فى غيرها قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقرّبك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفا من الليل انما هى ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجّاج

ناج طواه الأين مما وجفا • طىّ الليالى زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتّى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طىّ الليالى لانه مصدر من قوله طواه الأين وليس بهذا الفعل ولكنّ تقديره طواه الأين طيّا مثل طىّ الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شربا مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسئل القرية نصب لانه كان واسئل أهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد أهل الطريق فحذفت أهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطىّ يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته أسمال برد محبّر • وسائره من أتحمى مشعرعب

ويروى معصّب وانما سماوته عن قولك سماء فاعلم فاذا وقع الاعراب على الهاء أظهرت ما تنبئ به على التأنيث على أصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو تقول

أجزائه فى تنضيد الأجزاء. فان ذلك معنى مسروق منى فى وصفه ومأخوذ من كتبى فى مدحه والجملة التى تنفى الجدال وتقطع القيل والقال انى لم أرك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت أجمل الناس فى عقب رؤيتك الا ذكرت النار ولا تعجب أيها السامع واعلم انى مقصر واذا رأيته علمت انى فيما يجب له مفرط هو رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشؤه محمود غذى فى النعمة وعاش فى الغبطة وأرهفه التأديب ولطفه طول التفكير وخامره الأدب وجرى فيه ماء الحياء فافعاله كاخلاقه وأخلاقه كاعراقه وعادته كطبيعته وآخره كاوله تحكى اختياراته التوفيق ومذاهبه التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التجرد وينبل عن

شقاوة لانها من الشقوة وتقول هذه امرأة سقاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقاء وغزاء يافتى فان أنثت قلت سقاءة وغزاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سماية لانهم يسمون اذا ارتفع وسماء كل شئ سقفه وقوله حتى احقوقفا بريد اعوجاجا وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل اذ أنذر قومه بالاحقاف أى بموضع هو هكذا وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملا لأبى موسى الاشعرى على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أى الهيآت أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتى على رأسى فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيأ وأعود به على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت انى سخت فى الأرض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطعين فيخبز لك قبل اراد تك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضا فسكن من غربه وقال أههنا غرت قلت نعم فقال يا ربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق

الانصاف لا تمتنع عليه معرفة المبهم ولا ينجح باستبانته المشكل ولا يعرف الشد الا فى غيره ولا الفى الاسماء فمن يطمع فى عينك بل من يطمع فى قدرك وكيف وقد أصبحت وما على ظهرها جواد الا تعثر باسمك ولا قينة الا وهى تبغى تمدحك ولا فتاة الا تشكو تباريح حبك ولا محجوبة الا وهى تثقب الخروق لمرك ولا عجوز الا وهى تدعولك ولا غيور الا وقد شفى بك فكم من كبد حرى منجحة ومصدوعة ومعذبة وكم حشا خافق وقلب هائم وكم عين ساهرة وأخرى جامدة وأخرى باكية وكم عبرى مولهة وفتاة معذبة قد أقرح قلبها الحزن وأجد عينها الكمد واستبدلت بالحلى العطلة وبالانس الوحشة وبالتكحيل المرة فاصبحت

وسبائذ وصناب ولكنى رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقرارى وان يستبدل بأصحابى قوله فلمتها على رأسى يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللوثة وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال سئل الأصمعى عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبى حية الشاعر وقيل للاشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بم كنتم تعرفون السودد فى الصبى منكم قال اذا كان ملوث الأزرة طويل الغرلة سائل الغرة كان به لوثة فلسنا نسلد فى سودده وقوله تؤتى باللحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغسانى (هو السمؤل)

اذا ما فاتنى لحم غريض * ضربت ذراع بكرى فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخا وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائذ يريد ما يسبذ من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمى الرقاق السبائذ وأصله ما ذكرنا والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابى اذا كان فى ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفنى معيشة آل زيد * ومن لى بالمرقق والصناب

وقالت لا تضم كضم زيد * وماضمى وليس معى شبابى

فقال الفرزدق يجيبه

فان تفرك علجة آل زيد * يعوزك المرقق والصناب

فقد ما كان عيش أبيد مرا * يعيش بما تعيش به الكلاب

وأما قوله أكسار بعير فان الكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم فمعناه انه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بنى ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بنى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن

والهة مبثوثة وهائمة مجهودة بعد طرف ناصح وسن ضاحك وبعد أن كانت نارا تتوقد وشعلة تتوهج وليس حسنك أبقاك الله الحسن الذى تبقى معه توبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد أو يثبت معه عزم أو يعمل صاحبه للتثبت أو يتسع للخير أو ينهيه زجر أو يفيده خوف هو أبقاك الله شئ ينقص العادة ويفسخ المنة ويجعل عن الروية ويطوح بالعرا وتنسى معه العواقب ولو أدركك عمر ابن الخطاب لصنع بك أحسن مما صنع بنصر بن حجاج ولركبك باعظم مما ركب جعدة السلمى بل لدعاه الشغل بك الى ترك التشاغل بهما والغيظ عليك الى الرحمة لهما فمن كان عيب حسنه الافراط عليه من جهة الزيادة كيف برومه عاقل

وائل قال ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أههنا غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الارض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وأنجد وبيت الاعشى يُنشد على هذا

نَبِّئْ يَرَى مالا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ * لَعَمرِى غارَ فى البلادِ وأنجَدا

وقوله سكن من غربه يقول من حدته وكذلك يقول فى كل شئ فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله خفين مطارقين تأويله مُطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طَرَقْتُ أو أطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ماضوعف قد طُورِقَ قال ذو الرمة (يصف سقرا)

طراقُ الخوافى واقعٌ فوقَ ريعةٍ * ندَى ليلِه فى ريشه يَترقرقُ

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل أتبنون بكل ريع آية تعبثون وهو جمع ريعة وقال النَّمَّاخُ

تَعِنُّ له بمَذْنَبِ كلِّ وادٍ * اذا ما الغيثُ أخضلَ كلَّ ريعِ

قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الأصمعى قال قال عدىُّ بن الفُضَيل خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفره بئرا بالعَذْبة فقال لى وأين العَذْبَةُ فقلت على ليلتين من البصرة فتأسَّف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء فأحفرنى واشترط على أن أوّل شارب ابنُ السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطُب فسمعته وهو يقول يا أيها الناس انكم مَيِّتون ثم انكم مَبْعوثون ثم انكم مُحاسَبون فلعَمْرِى لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُم ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُم أيها الناس انه من يُقَدِّر له رِزْقٌ برأس جبل أو بحَضيض أرض يأته فاتقوا الله وأجملوا فى الطَّلَب قال فأقمتُ عنده شهرا ما بى الا استماع كلامه قوله بحَضيض يعنى المُستَقَرَّ من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حَضيضُ الا بحَضْرة جبل يقال حَضيضُ الجبل ويُطرَح الجبلُ فيُستَغْنَى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس * نَظَرْتُ اليه قائما بالحَضيض *

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تَحمِلْ هَمَّ يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يُعلَم من أجلك يأت فيه رزقك واعلم انك لا تكسب من المال شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه ويروى للنابغة (هذا من شعر أوس بن حَجَر مُثبَتٌ فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى)

ولَستُ بخابِئٍ أبدا طَعاما * حِذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طَعامُ

أو ينتقصه عالم وماندرى فى أى الحالين أنت أجمل وفى أى المنزلتين أنت أكمل اذا فرقناك واذا جمعناك واذا ذكرناك كلك ام اذا تأملنا بعضك فاما كفك فهى التى لم تخلق الا للتقبيل والتوقيع وهى التى يحسن بحسنها كلما اتصل بها ويختال بها كل ماصار فيها كما أصبحنا وماندرى الكأس الذى فى يدك اجمل ام القلم ام الرمح الذى تحمله ام المخصرة ام العنان الذى تمسكه ام السوط الذى تعلقه وكما أصبحنا وما ندرى اى الأمور المتصلة برأسك احسن ام ايها اجمل واشكل اللمة ام محط اللحية ام الاكليل ام العصابة ام العمامة ام القناع ام القلنسوة واما قدمك فهى التى يعلم الجاهل كما يعلم العالم ويعلم البعيد الاقصى كما يعلم القريب الادنى انها لم تخلق الا لمنبر

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها وانما السَّرْبُ بفتح السين المال الراعى) قوله صلى الله عليه وسلم فى سربه يقول فى مسلكه يقال فلان واسع السَّرْبِ وخلىُّ السَّرْبِ يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثلٌ مضروب للصدر والقلب يقال خَلَّ سَرْبَهُ أى طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تنسرب فى الطُّرُقات ويقال سَرِبَ على الابل أى أرسلها شيأ بعد شئ فاذا قلت سِرْبٌ بكسر السين فانما هو قطيعٌ من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نعاجَهُ * عذارَى دوارٍ فى الملاء المذيَّلِ

دوارٌ نسبٌ ينسكون عنده فى الجاهلية ودوَّارٌ ما استدار من الرمل ودوَّارُ سجنُ اليمامة قال بعض اللصوص (واسمه جحدر)

كانت منازلنا التى كنَّا بها * شتَّى فألَّف بيننا دوَّارُ

وقال عمر بن أبى ربيعة

فلم ترعينى مثل سِرْبٍ رأيته * خرجن علينا من زُقاق ابن واقف

وكان الحسن يقول ليس العَجَبُ ممن عَطِبَ كيف عَطِبَ انما العَجَبُ ممَّن نجا كيف نجا وكان الحجَّاج ابن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدعوا هذه الأنفس فانها أسألُ شئ اذا أُعطيت وأمنعُ شئ اذا سُئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فانى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه قوله اقدعوا يقول امنعوا يقال قَدَعْتُهُ عن كذا أى منعته عنه ومنه قول الشمَّاخ

اذا ما استافهنَّ ضربنَ منه * مكانَ الرُّمح من أنف المَقُدوعِ

قوله استافهن يعنى حمارا يستاف أُتُنا يقول يرمحنه اذا اشتمهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف المقدوع يريد بالمقدوع المقدوع وهذا من الاضداد يقال طريق ركوبٌ اذا كان يُركب ورجل ركوبٌ للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رَغُوثٌ اذا كانت تُرضع وحوارٌ رَغُوثٌ اذا كان يُرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حَلُوبٌ اذا كانت تُحلب ورجل حَلُوبٌ اذا كان يَحلُبُ الشاة والمَقْدوعُ ههنا البعير الذى يُقْدَعُ وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيُضرَبُ أنفُهُ بالرُّمح حتى يرجع يقال قَدَعْتُهُ وقَدَعْتُ أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

عظيم اوركاب طرف كريم واما قولك فهو الذى لاندرى اى الذى تتغوه به احسن واى الذى تبدأ به اجمل الحديث ام الشعر ام الاحتجاج ام الأمر والنهى ام التعليم والوصف وعلى اننا لاندرى اى السنتك ابلغ واى بيانك اشفى اقلمك ابلغ ام لفظك ام اشارتك ام عقدك وانت فى ذلك فوقهم والحمد لله وواحدهم واعيذك بالله تعالى وقد علمنا ان القمر وهو الذى تضرب به الامثال ويشبه به اهل الجمال يبدو مع ذلك ضئيلا ويظهر معوجا شعبا وانت أبدا قمر بدر ونجم زهر ثم مع ذلك يحترق فى السرار ويتشاءم به فى المحاق ويكون نحسا كما يكون سعدا ويكون ضرا كما يكون نفعا ويقرض الكتان ويشهب الالوان ويخترفيه اللحم وانت دائم اليمن ظاهر السعادة

خطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ذكر ذلك لورقة بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفعل لا يقدع أنفه وكان الحجاج يقول ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر في معاده لجدير أن تطول حسرته يوم

القيامة

(باب)

قال أبو العباس أنشدني عمارة بن عقيل لنفسه يحض بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على بني نمير بن عامر بن صعصعة وبينهم مطالبات وترات وكانت بنو نمير أعداء عمارة فكان يحض عليهم السلطان ويغري جهم اخوتهم ويحاربهم في عشيرته فقال

رأيناكما يا ابني ربيعة خرتما ... لعض الحروب والعديد كثير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما ... وكذبتما ما كان قال جرير

أصابت نمير منكم فوق قدرها ... فكل نميري بذاك أمير

فان تفخروا بما مضى من قديمكم ... فقد هدمت مدائن وقصور

رمتها مجانيق العدو فقوضت ... مدائن منها كالجبال وسور

وشيدها الأملاك كسرى وهرمز ... وآل هرقل حقبة ونضير

فان تعمروا المجد القديم فلم يزل ... لكم في مضرات الحروب ضرير

خبطتم ليوث الشام حتى تناذرت ... حماكم وحتى لا يهر عقور

فكيف بأكناف الشريف تصيبكم ... ثعالب يحشن الحصى وأبور

قوله فقد هدمت مدائن وقصور مثل يريد أن مجدكم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

لسنا وان كرمت أوائلنا ... يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وكما قال الآخر

الهى بني جشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسئوم

ثابت الكمال شائع النفع تكسو من أعراه وتكن من شعبه وعلى انه محق حسنه المحاق وشانه الكلف وليس بذي توقد واشتعال ولا خالص ولا متلالئ ويعلوه برد ويكسفه ظل ثم لا يعتبر ذلك الا عند كماله وليلة فخره واحتفاله وكثيرا ما يعتريه الصغار من بخار البصار وأذت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر ناري التوقد هوائي الدهر بري اللون روحاني البدن وان احتجوا عليه له بالجزر والمد احتججت عليهم بالحلم والعلم وبان طاعته اختيار وطاعته طبع واضطرار وبان له سيرة قد قصر عليها ومنازل لا يجاوزها ولا يمكنه البدار وليس في قوله فضل للتعرف على ان ضياءه مستعار من الشمس وضياؤك عارية عند جميع الخلق وكم بين

انَّ القَديمَ اذا ما ضاعَ آخِرُهُ • كساعِدَيْهِ فَلَّهُ الايامُ مَخْطومِ

وكما قال عامر بن الطُفَيل العامِرِيّ

انّي وانْ كنتُ ابنَ فارِسِ عامِرٍ • وفي السِّرِ منها والصَريحِ المُهَذَّبِ
فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن وِراثَةٍ • أبَى اللهُ أنْ أسْمو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنَّني أحْمي حِماها وأتَّقي • أذاها وأرْمي مَنْ رماها بِمِقْنَبِ

(قال أبو الحسن أنشدني هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامِرِيّ قال أبو الحسن قال الاصمعي وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُخَبِّرَ الحُسْنِ لشعره وأوّلها

تقولُ ابنةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بَعْدَما • أراكَ صَحيحًا كالسَّليمِ المُعَذَّبِ
فقلتُ لها هَمّي الذي تَعْلَمينَهُ • من الثَأْرِ في حَيَّيْ زُبَيْدٍ وأرْحَبِ
انِ اغْزُ زُبَيْدًا أغْزُ قَوْمًا أعِزَّةً • مُرَكَّبُهُمْ في الحَيِّ خَيْرُ مَرَكَّبِ
وانْ أغْزُ حَيَّيْ خَثْعَمٍ فَدِماؤُهُمْ • شِفاءٌ وخَيْرُ الثَأْرِ لِلْمُتَأَوِّبِ
فما أدْرَكَ الأوْتارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ • بِأجْرَدَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشَذَّبِ
وأسْمَرَ خَطِّيٍّ وأبْيَضَ باتِرٍ • وزَغْفٍ دِلاصٍ كالغَديرِ المُثَوَّبِ
سِلاحُ امْرِئٍ قد يَعْلَمُ النّاسُ أنَّهُ • طَلُوبٌ لِثَأْراتِ الرِّجالِ مُطَلَّبِ

ثم نأتي بانشاد أبي العباس على وجهه الا انه رَوَى مَنْ رماها بِمَنْكِبِ السليم الملدوغ وقيل له سليم تَفَؤُّلًا له بالسلامة وزُبَيْدٌ وأرْحَبُ حَيَّانِ من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد أخطأ والمتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يَؤُوبُ اذا رَجَعَ والتأويب في غير هذا السير في النهار بلا توقف والاوتار الاحقاد واحدها وِتْرٌ وحِقْدٌ والاجرد الفرس المُحَسَّرُ الشعر والاجرد الضامر أيضا والعسيب السَعَفَةُ والمُشَذَّبُ الطويل الذي قد أُخِذَ ما عليه من العُقَدِ والسُلّاءِ والخُوصِ ومنه قيل للطويل المُعَرَّقِ مُشَذَّبٌ وخَطِّيٌّ رمح منسوب الى الخَطِّ وهي جزيرة بالبَحْرَيْنِ يقال انها تُنْبِتُ عَصَى الرِماحِ وقال الأصمعي ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماحٌ وأُرْفِئَتْ بها في بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخَطِّيَّةُ ثم عَمَّ كلَّ رمحٍ هذا النَسَبُ الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوب الذي تُصَفِّقُهُ

المعبر والمستعبر والمتبين والمتحير وبين العالم ومالا خير فيه يعيره نسيم الهوى طيبا وتراب الارض عبقا ان هبت فللرشاقة والملح وان تمكنت فالرهبانية والاخلاص وان تورنت فثهلان ذو الهضبان ما يتخلخل وطباعك جعلت فداك طباع الخمر الا انك حلال كالك وجوهرك جوهر الذهب الا انك روح كما أنت وقد حويت خصال الياقوت الا ما زادك الله وأخذت خصال المشترى الا ما فضلك الله به وجمعت خلال الدر الا ما خصصت به دونه فلك من كل شئ صفوته وشرفه ولبابه وبهاؤه وهل يغير الفهد نباح الكلب وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة فاما القول في المزاح فقد بقي أكثره ومضى أقله وقد ذهب الناس في المزاح في مذاهب متضادة وسلكوا

الرياح فيذهب ويجيء وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمي الغدير غديراً لان السيل غادره
أي تركه) قال أبو العباس وقوله لكم في مضرات الحروب ضرير يقال رجل ذو ضرير اذا كان ذا
مشقة على العدو وقال مهلهل بن ربيعة التغلبي

قتيل ما قتيل المرء عمرو ٭ وهمام بن مرة ذو ضرير

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلي
وهو عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبور جمع وبر واذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز
وقد ذكرنا ذلك قبل وقال عمارة أيضا لهم أنشدنيه

ألا لله درّ الحي كعب ٭ ذوي العدد المضاعف والخيول
أما فيهم كريم مثل نصر ٭ يورّع عنهم سنن الفحول
تنوّخهم غيرك كل يوم ٭ كفعل أخي العزازة بالذليل
وليسوا مثل عشيرهم ولكن ٭ يضيع القوم من قبل العقول
فاين فوارس السلمات عنهم ٭ وجعدة والحريش ذوو الفضول
وأين عبادة الخشناء عنهم ٭ اذا ما ضاق مطّلع السبيل

قوله الا لله درّ الحي كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وقوله أما فيهم كريم مثل نصر يعني نصر
ابن شبث أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مثل ضربه فجعلهم
لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل ويورّع يكف ويمنع ويدفع والورع في الدين
انما هو الكف عن أخذ الحرام وجاء في الحديث لا تنظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن
انظروا الى ورعه اذا أشفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسنن القصد ثم أبان ذلك
بقوله تنوخهم غيرك كل يوم يقال سانّ الفحل الناقة فتنوخها وذلك اذا ركبها من غير أن توطّأله
ولكن يعترضها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النتاج وذلك لان الولد يخرج صليبا مذكرا
ويقال لذلك الحمل الذي يقع من التنوخ والاعتراض يعارة وعراض يقال حملته عراضا وحملته
يعارة يا فتى قال الراعي

قلائص لا يلقحن الا يعارة ٭ عراضا ولا يشرين الا غواليا

فيه في طرق مختلفة فزعم
بعضهم ان جميع المزاح
خير من جميع الجد وزعم
آخرون ان الخير والشر
عليهما مقسومان وان
الحمد والذم بينهما نصفان
وسنأتي على جمل هذه
الاقاويل ثم نذكر جملة
ما نقول ان شاء تعالى فاما
المحامي عن الهزل والمفضل
للمزح فانه قال أول ما أذكر
من خصال الهزل ومن
فضائل المزح انه دليل
على حسن الحال وفراغ
البال وان الجد لا يكون
الا من فضل الحاجة
والمزح لا يكون
الا من فضل الغنى وان
النصب جد والمزاح جام
والجد مبغضة والمزح
محبة وصاحب الجد في بلاء
ما كان فيه وصاحب
المزح في رخاء الى أن يخرج
منه والجد مؤلم وربما
عرض لأشد منه
والمزح مله وربما عرض
لا لذ منه فقد شاركه في

وقال الطِرِمَّاحُ

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسٍ سَبَنْدا ... ةٌ أَمَارَتْ بِالبُولِ مَاءَ الكِرَاضِ

نَجَّحَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ ... حِينَ نِيلَتْ بِعَارَةٍ فِي عِرَاضِ

قوله سَبَنْدَاةٌ فهي الجَرِيئَةُ الصَدْرِ يقال للجَرِيءِ الصدرِ سَبَنْتَاةٌ وسَبَنْدَاةٌ وأصل ذلك في النمرِ وزعم الأصمعيُّ ان الكِرَاضَ حَلَقُ الرَحِمِ قال ولم أَسْمَعْهُ الا في هذا الشعر وقوله نَجَّحَتْهُ عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما نحو الذي عَدَّ فلا يخرج الولد الا مُحْكَمًا قال الحُطَيْئَةُ

لَا دَمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَجَّحَتْ ... بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ العِزُّ والمَصادر تقع على فَعَالَةٍ للمبالغة يقال عَزَّ عِزًّا وعَزَازَةً كما يقال الشَرَاسَةُ والصَرَامَةُ قال الله تعالى قال يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وفي موضع آخر ليس بي ضَلَالَةٌ وقوله فَأَيْنَ فَوَارِسُ السَلَمَاتِ يريد بني سَلَمَةَ الخَيْرِ وبني سَلَمَةَ الشر ابْنَيْ قُشَيْرِ بن كعب وجمع لانه يريد الحَيَّ أَجْمَعَ كما تقول المَهَالِبَةُ والمَسَامِعَةُ فتجمعهم على اسم الأب على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ وكذلك المَنَاذِرَةُ وقد مرت الحجة في هذا وجَعْدَةُ بْنُ كَعْبٍ والحَرِيشُ بن كعب وبنو عُبَادَةَ من بني عُقَيْلِ بن كَعْبٍ وقال الخَشْنَاءُ يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء ويروى ان معاوية بن أبي سُفْيَانَ رحمه الله تعالى قال لِدَغْفَلِ بن حَنْظَلَةَ النَسَّابَةِ ما تقول في بني عامر بن صَعْصَعَةَ فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء قال فما تقول في بني تميم قال جَمْرٌ أَخْشَنُ ان صادَمْتَهُ آذَاكَ وان تَرَكْتَهُ تَرَكَكَ قال فما تقول في اليَمَنِ قال سَيِّدٌ وأَنْوَكُ قال أبو العباس وأنشد في عُمَارَةَ لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره ان رجلا من بني تميم يُكْنَى أبا سَعْدٍ كان منقطعا الى أبي نصر بن حُمَيْدٍ الطائي ثم أحد بني نَبْهَانَ وكان أبو نصر والِيًا على العرب وكتب أبو سعد الى عُمَارَةَ يأمره أن يَضَعَ يده في يد أبي نصر فقال عُمَارَةُ

دعاني أبو سَعْدٍ وأَهْدَى نَصِيحَةً ... الَيَّ وممَّا أَنْ تَغُرَّ النَصَائِحُ

(مما يعنى رُبَّمَا)

لَأُجْزِرَ لَحْمَيْ كَلْبَ نَبْهَانَ كالذي ... دعا القَاسِطِيَّ حَتْفُهُ وهو نَازِحُ

أو البُرْجُمِيَّ حين أَهْدَاهُ حَيْنُهُ ... لِنَارٍ عليها مُوقِدَانِ وذَابِحُ

ورَأْيُ أبي سَعْدٍ وان كان حَازِمًا ... بَصِيرًا وان ضاقَتْ عليه المَسَارِحُ

أَعَارَ به مَلْعُونَ نَبْهَانَ سَيْفَهُ ... على قَوْمِهِ والقَوْلُ عافٍ وجَارِحُ

ونَصْرُ الفَتَى في الحَرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ ... على قَوْمِهِ للمَرْءِ ذِي الطَعْمِ فَاضِحُ

التعريض للخير والشر وباينه بتجهيل الخير دون الشر وانما تشاغل الناس ليغزعوا وجدوا ليهزلوا كما تذللوا ليعزوا وكدوا ليستريحوا وان كان المزاح انما صار معيبا والهزل مذموما لأن صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة الحد ومخاطرا بعودة الصديق فالجد داعية الى الافراط كما ان المزاح داعية الى مجاوزة القدر والتجاوز للجد قالع بين الفريقين في جميع النوعين فقد ساواه المزح فيما هو وباينه فيما ليس له وان كان المزح انما صار قبيحا لان الذي يكون بعده جد ولم يصر الجد قبيحا لان الذي يكون بعده مزح فكان الجد في هذا الوزن أقبح وكان الوزن على هذا التقدير أحسن لان ما جعل الشئ قبيحا أقبح من الشئ كما ان ما جعل الشئ حسنا أحسن .

قوله

قوله لا جزر لحمى كلب نبهان أى لا كون جزرة له والجزرة البدنة تنحر يقال أجزرت فلانا وتركت فلانا جزرا قال عنترة العبسى

ان تشتما عرضى فان أبا كما ٭ جزر السباع وكل نسر قشعم

وقوله كالذى دما القاسطى حنفه وهو نازح فهذا رجل من النمر بن قاسط خرج يبتغى قرظا من بعد فنهشته حية فمات فهو أحد القارظين والقارظ الأول من عنزة كان خرج مع ابن عم له فى طلب القرظ فقتله ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلى (الصحيح أن الشعر لابى ذؤيب)

وحتى يؤب القارظان كلاهما ٭ وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله كالذى دما القاسطى حنفه الهاء فى حنفه ترجع على الذى وتقديره كالسبب الذى دما القاسطى حنفه وقوله أو البرجمى فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بنى دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فى حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما تعبث الملوك فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (رمى ناقة بسهم فقتلها والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) ففى ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائى لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى ٭ فى القوم أوفى من زراره

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة ففى ذلك يقول الاعشى

وتكون فى الشرف المؤا ٭ ثى منقرا وبنى زراره

أبناء قوم قتلوا ٭ يوم القصيبة والاواره

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمى محرقا فاخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الاخبار اسمها الحمراء بنت نضلة) ألا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمما ومر وافد البراجم وهو الذى ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فاتى به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار ففى ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو حرقوا ٭ أم أين أسعد فيكم المسترضع

من الشئ فاما الذى عدل بينهما فانه زعم ان المزاح فى موضعه كالجد فى موضعه كما ان المنع فى حقه كالبذل فى حقه قال ولكل شئ موضع وليس شئ يصلح فى كل موضع وقد قسم الله تعالى الخيرة على المعدلة وأجرى جميع الأمور الى غاية المصلحة وقسط جزاء المثوبة على العزيمة وعلى الرخصة وعلى الاعلان والتقية وأمر بالمداراة كما أمر بالمباداة وجوز المعاريض كما أمر بالافصاح وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض وجعل الحمام جماما للقلوب وراحة للابدان وعونا على معاودة الأعمال فصار الاطلاق كالحظر والصبر كالشكر فليس للانسان من الخيرة فى الذكر شئ الاوله فى النسيان مثله ولا فى الفطنة شئ الاوله فى الغفلة مثله

وقال أيضا وأخزاكم عمرو وكما قد خزيتم * وأدرك عمارا شقى البراجم

وقال الطرماح ودارم قد قذفنا منهم مائة * فى حاجم النار اذ ينزون بالجدد

ينزون بالمشتوى منها ويوقدها * عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام يعنى لطمع البرجمى فى الاكل قال يزيد بن عمرو بن الصعق أحد بنى عمرو بن كلاب

ألا أبلغ لديد بنى تميم * بآية ما يحبون الطعاما

وقال آخر (ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لابى مهوش الفقعسى وذكر عبدل أنه لابى الهوس الاسدى)

اذا مامات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بلحم * أو الشئ الملفف فى البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقوله للمرء ذى الطعم يعنى الراجع الى عقل يقال فلان ليس بذى طعم وفلان ليس بذى نزل أى ليس بذى عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نزل اذا لم يكن ذا ربع ومن قال نزل فى هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابى يهجو قوما من طيئ

ولما أن رأيت بنى جوين * جلوسا ليس بينهم جليس

يئست من التى أقبلت أبغى * لديهم انى رجل يؤس

اذا ماقلت أيهم لاى * تشابهت المناكب والرؤس

قوله جلوسا ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم فى أديمهم ومعناه فى مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه يا بنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدى * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

كفى بطلاب المرء مالا ينالهُ * عناء وباليأس المصرح ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود) ومن أحسن المدح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير فى هرم * والسائلون الى أبوابه طرقا

ولا فى السراء شئ الا وله فى الضراء مثله ولو لم يرزق الله تعالى العباد الا بالصواب محضا وبالصدق بحتا وبمر الحق صفحا لهلكت العوام ولم ينقض أمر الخاص ولو ذكر الانسان كلما أتيته لشق ولوجد فى كل شئ مما لا تنكث وقد يكون الذكر الى الهلكة سلما كما يكون النسيان للسلامة سببا وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك يجرى جميع القبض والبسط فهذا وما قبله جمل أقاويل القوم ونحن نعوذ بالله تعالى ان نجعل المزاح فى الجملة كالجد فى الجملة بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير من عامة الهزل والحق ان ينصح عن بعض المزح ويجنح لجمهور الجد وكيف يتم لنا

وقال رُؤْبَةُ (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نُخَيْلَةَ) • انَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضِّغاطا • وقال آخر

يَزْدَحِمُ النّاسُ على بابِهِ • والمَشْرَبُ العَذْبُ كَثيرُ الزِّحامِ

وقال أَشْجَعُ في محمد بن منصور

على بابِ ابنِ مَنْصورٍ • عَلاماتٌ من البَذْلِ

جَماعاتٌ وحَسْبُ البا • بِ بُنْلا كَثْرَةُ الأَهْلِ

وقوله تشابهت المناكب والرؤس انما ضربه مَثَلًا للأخلاق والافعال أي ليس فيهم مُفَضَّلٌ ويقال ان الأَضْبَطَ بن قُرَيْعِ بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَناةَ بن تميم آذَتْهُ عشيرتُهُ من بني سَعْدٍ فخرج عنهم فجَعَلَ لا يُجاوِرُ قومًا الا آذَوْهُ فقال أينما أذهبُ أُلْقَ سَعْدًا أي أَفِرُّ من الأذى الى مثله

(باب)

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخَوْلانيُّ المَساجِدُ مَجالِسُ الكِرام وقيل للأحنف بن قَيْسٍ أحدِ بني مُرَّةَ بن عُبَيْدِ بن الحَرِثِ بن كَعْبِ بن سَعْدٍ أيُّ المجالس أطْيَبُ فقال ما سافر فيه البصر واتَّدَعَ فيه البَدَنُ اتَّدَعَ افتعل من التَّوْديعِ والاصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتَزَرَ يأتزِرُ وهو رجل مُوتَزِرٌ والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب افتَعَلَ تاءً وتُدْغَمُها في التاء من افتَعَلَ فتقول اتَّدَعَ يتَّدِعُ وهو مُتَّدِعٌ ومُتَّزِرٌ ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ ومُتَّئِسٌ من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أُظْهِرَتْ انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ومُوتَئِسٍ ومُوتَئِسٍ وياءين للكسرة والواو قد تُقْلَبُ الى التاء ولا تاء بعدها نحو تُراثٍ من وَرِثْتُ وتُجاهٍ من الوَجْهِ وتُكاءَةٍ وانما ذلك كراهيةَ الضمة في الواو وأقربُ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاءُ فقُلِبَتْ اليها وقد تُقْلَبُ للبدل في غير ضم نحو هذا اتْقَى من هذا وضربته حتى اتْكَأْتُهُ فلما كانت بعدها تاء افتَعَلَ كان الوجه القلبَ ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المُقْتَضَبِ وقيل للمُهَلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ ما خَيْرُ المجالس فقال ما بَعُدَ فيه مدى الطَّرْفِ وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس ويروى عن لُقْمانَ الحكيم أنه قال لابنه يا بُنَيَّ اذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارْمِهِمْ بسَهْمِ الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا في ذكر الله فاجْلِسْ سَهْمَكَ مع سِهامِهِم وان أفاضوا في غيره فخَلِّهِم وانهَضْ قوله فارمهم بسهم الاسلام يعني

جميع المزح مع ما نحن ذاكرون وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ولا يقال كان فيه مزاح ولا يقال مزح وكذلك الائمة ومن تبذل في بعض الحالات من أهل الحلم والوقار وقال عمر رضوان الله تعالى عليه انا اذا خلونا كنا كاحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وكان معه زيادة كلوحة وقطوبة يمازح أهله في الخلا كما يجد في الملا وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائد أيمازح الأمير أهله قال والله ان ترونى الا شيطانا والله لربما أبتغى واني لاقبل رجل احداهن فقد ذكرنا خير العالمين وجملة من خيار المسلمين وجبارا عنيدا وكافرا

السلام وقوله فاجعل سهمك مع سهامهم يعنى ادخل معهم فى أمرهم فضرب به مثلا من دخول الرجل فى قداح الميسر وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه

واذا أتيت جماعة فى مجلس * فاختر مجالسهم ولما تقعد

ودع الغواة الجاهلين وجهلهم * والى الذين يذكرون ندف اعمد

وقال ابن عباس رحمه الله الجليسى على ثلاث أن أرميه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى اليه اذا حدث وكان القعقاع بن شور أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

فحولة السن ان أمرو بخير * وعند السوء مطراق عبوس

وحدثنى التوزى أن رجلا جالس قوما من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور

ومن جهل أبو جهل أخوكم * غزا بدرا بمجمرة وتور

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول أبى جهل بن هشام انتفخ والله سحره ونحره وسيعلم مصفر استه من انتفخ سحره اليوم قال رجل من بنى مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الانصارى ليؤذيه أتعرف الذى يقول

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

فقال الأحوص لا أدرى ولكنى أعرف الذى يقول

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

أبقت رياسته لأسرته * لؤم الفروع ودقة الاصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذى أنشده المخزومى للأخطل وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الانصار فأمر كعب بن جعيل التغلبى بهجائهم فقال له كعب أأهجو الانصار أرادى

لعيناو بعد فن حرم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة وفرع من فروع الطلاقة وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وأمرنا بافشاء السلام والبشر عند الملاقاة وأمرنا بالتوادد والتصافح والتهادى

﴿فصل﴾ قد اعتدنا فى معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزاح ومرة بالنسيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بك والجملة انا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا لكان فى فضلك ما يتغمده وفى كرمك ما يوجب التغافل عنه فكيف وانما سهونا ثم تذكرنا واعتذرنا ثم أطنبنا فان تقبل فحظك أصبت ولنفسك نظرت وان لم تقبل فاجهد جهدك

أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى كان لسانه لسان ثور يعنى الاخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الانصارى على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يا معاوية أترى لؤما فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوى ان لا تعطنا الحق تعترف ٭ لحى الازد مسدولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الاراقم ضلة ٭ فماذا الذى تجدى عليك الاراقم

فمالى ثأر دون قطع لسانه ٭ فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الاحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها مضعة وقالوا فى تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ما عرفت موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك أن يقول الشئ لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب بينها مضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكثره عليه وكان يقال أحيوا المعروف بامانته وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له وقال قيس بن عاصم يا بنى تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

(باب)

قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لسليم بن الاحنف الاسدى ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يخبره قال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم ٭ بسيد أهل الشام قفلوا وترجعوا

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا ٭ وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

اذا النفر السود اليمانون نمنموا ٭ له حوك بردين أجادوا وأوسعوا

ولا أبقى الله عليك ان أبقيت ولا عفى عنك ان عفوت وأقول كما قال أخو بنى منقر

فما بقيا على تركا كمانى ولكن خفقما صدر النبال

والله لئن رميتنى بهيلة لأرمينك بكنانة ولئن نهضت بصالح بن على لأنهض باسماعيل بن على ولئن صلت على بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب ولئن تهت على بمنادمة جعفر الخياط لابهتن عليك بحسبة وهب الدلال وانا أرى لك ان تقبل العافية وترغب الى الله تعالى فى السلامة واحذرا البغى فان مصرعه وخيم واتق الظلم فان مرعاه وبيل واياك ان تتعرض لجرير اذا هجا وللفرزدق اذا فخر ولهرثمة اذا دبر ولقيس بن زهير اذا مكر وللاغلب اذا كر

جَلا المِسْكُ والحَمّامُ والبيضُ كالدُّمَى • وفَرْقُ المَدارِي رأسَهُ فهو أنْزَعُ

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الأسلت)

قد حَصَّتِ البَيْضةُ رأسي فما • أطْعَمُ نَوْماً غيرَ تَهْجاعِ

وحُدِّثْتُ ان كُثَيِّراً كان يقول لَوَدِدْتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ أو العبدَ الاسودَ الى هذين البيتين يعني نُصَيْباً في قوله من النفر البيض الذين اذا انتجَوْا • أقَرَّتْ لِنَجْواهُمْ لُؤَيُّ بنُ غالبِ

يُحَيُّونَ بَسّامينَ طَوْراً وتارةً • يُحَيُّونَ عَبّاسينَ شُوسَ الحَواجِبِ

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعْتَزَوْا • وهاب الرجالُ حَلْقةَ الباب قَعْقَعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدُّ وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله

قَوْمٌ اذا احْتَضَرَ المَلوكَ وُفُودُهُمْ • نَتَفَتْ شَوارِبُهُمْ على الأبْوابِ

وحُدِّثْتُ أن جريرا كان يقول وَدِدْتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتا من شعري يعني قوله نُصَيْب

بَزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل ان يَرْحَلَ الرَّكْبُ • وقُلْ انْ تَمَلَّيْنا فَما مَلَّكِ القَلْبُ

وأما قول نُصَيْب أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَييتُ وان أَمُتْ • أُوَكَّلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِها بَعْدي

فلم تَجِدِ الرُّواةُ ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مَذْهبا حَسَنا وقد ذكر عبد الملك ذلك لجُلَسائه فكلٌّ عابَهُ فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت وان أمت • فَوا حَزَناً مَنْ ذا يَهِيمُ بِها بَعْدي

فقال عبد الملك ما قلت والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنت قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنتُ أقول أهيم بدعد ما حييت فان أمت • فَلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذي خُلَّةٍ بَعْدي

فقالوا أنت والله أشعرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفرزدق في مَوْقفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك أنهما حَضَرا فقال سليمان للفرزدق أنشدني وانما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحاً له فانشده وركْبٍ كأنَّ الريحَ تَطْلُبُ عندهم • لها تِرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ

سَرَوْا يَخْبِطونَ الريحَ وهي تَلُفُّهُمْ • الى شُعَبِ الأكْوارِ ذاتِ الحَقائبِ

ولظاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره وعليك بالجادة ودع البنيات فان ذلك أمثل لك وأنت والله يا أخي تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أظهر منك حربا وألطف كيدا وأكثر علما وأوزن حلما وأخف روحا وأكرم عينا وأقل غشا وأحسن قدا وأبعد غورا وأجل وجها وانصع طرفا وأكثر ملحا وأنطق لسانا وأحسن بيانا وأجهر جهارة وأحسن اشارة وأنت رجل تشذ من العلم وتنتف من الأخبار وتموه نفسك وتعز من قدرك وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتتصبب لحسن اللقا ليس عندك الا ذاك فلم تزاحم البحر بالجداول والاجسام بالاعراض .

اذا آنسوا نارًا يقولون لَيْتَها • وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالبِ

فاعرض سليمان كالمُغْضَبِ فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أُنشِدُكَ في رَوِيِّها ما لعله لا يتَّضِعُ عنها فقال هات فأنشده أقول لِرَكْبٍ صادرين لقيتُهم • قِفُوا خبِّروني عن سليمان انني • لمَعروفه من أهل وَدَّانَ طالبُ

فعاجوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه • ولو سكتوا أثنَتْ عليكَ الحقائبُ

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوَزٌ ومُبتَدَعٌ لم يُسبَقْ اليه على ان الشاعر وهو أخو همدان قد قال في عصره في غير المدح

يَمُرُّون بالدَّهْنا خِفافًا عِيابُهُمْ • ويَخْرُجْنَ من دارين بُجْرَ الحقائبِ

على حين أَلْهَى الناسَ جُلُّ أمورِهِمْ • فَنَدْلًا زُرَيْقُ المالِ نَدْلَ الثعالبِ

وليس شعرُ نُصَيْبٍ هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر وانما يُفاضَلُ بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تَرَاه قال هو أشعر أهل جِلْدَتِه فقام الفرزدق وهو يقول وخيرُ الشِّعرِ أشرَفُه رجالًا • وشرُّ الشِّعرِ ما قال العَبيدُ

ثم نرجع الى تفسير الشعر قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعني قوما تجارًا وقد قالوا انما ذكر لصوصًا والاول أثبتُ وذلك أن دارين سوقٌ من أسواق العرب وقوله بُجْرَ الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سرته فنتأت متقدمة رجل أبجَرُ ويقال لها البُجْرَةُ والبَجَرَةُ وفَعْلَةٌ وفَعَلَةٌ تفعلان في الشيء يقال قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ وصُلْعَةٌ وصَلَعَةٌ ومثل هذا كثير وقوله على حين ألهى الناس ان شئتَ خفضتَ حين وان شئتَ نصبتَه أما الخفض فلانه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافته اياه الى شيء غير مُعْرَبٍ فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذي أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حين زيد وجئتك في حين امرأة عبد الملك وكذا قول النابغة

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا • وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذ فان شئت فتحت على ما ذكرتُ لك

وما لا يتناهى بالجزء الذي لا يتجزأ فامدُّ البادية والعامة فمن يعدل بين القناة والكرة ومن يمثل بين النخلة والدكاة وبين رحى الطحان وبين سيف يمان وانما يكون التمثيل بين أتم الخيرين وأنقص الشرين وبين المتقاربين دون المتفاوتين فاما الخل والعسل والحصاة والجبل والسم والغذاء والفقر والغنى فهذا مما لا يخطئ فيه الذهن ولا يكذب فيه الحس والخطأ ثلاث خطأ الحس وخطأ الوهم وخطأ الرأي كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير والتقويم والتأنيب والعهد نوع واحد وسبيله القمع والحظر والضرب والقتل وأول ذلك ان يهجره صاحب الحكمة ولا يطمعه في وعظ ولا مجالسة وقد رأيت من

فى حين وان شئت خفضت لما كان يستحقه اليوم من التمكن قبل الاضافة تقرأ ان شئت من عذاب يومئذ وان شئت من عذاب يومئذ على ما وصفت لك ومن خفض بالاضافة قال سير بزيد يومئذ فأعربته فى موضع الرفع كما فعلت به فى الخفض ومن قال من خزي يومئذ فبناه قال سير بزيد يومئذ يكون على حالة واحدة لانه مبنى كما تقول دفع الى زيد خمسة عشر درهما وكما قال الله عز وجل عليها تسعة عشر وأما قوله فندلا زريق المال ندل الثعالب فزريق قبيلة وقوله ندلا مصدر يقول اندلى ندلا يا زريق المال والندل أن تجذبه جذبا يقال ندل الرجل الدلو ندلا اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب ندلا بفعل مضمر وهو اندل وهذا فى الامر تقول ضربا زيدا وشتما عبد الله لان الامر لا يكون الا بفعل فكان الفعل فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرا لم يجز فيه الاضمار لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لا يكون الا بالفعل قال الله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فكان فى موضع اضربوا حتى كأن القائل قال فاضربوا ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل مخضا فى قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ولو نون منون فى غير القرآن لنصب الرقاب وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل الثعالب يريد سرعة الثعالب يقال فى المثل أكسب من ثعلب وأما قول نصيب ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فانما يريد انهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رفده فقد أثنت عليه الحقائب قبل أن يقولوا فاما قول الأعشى

وان عناق العيس سوف يزوركم ... ثناء على أعجازهن معلق

فانما أراد المدح الذى يحدين به والحادى من ورائها كما أن الهادى أمامها وأما قول أبى وجزة

راحت بستين وسقا فى حقيبتها ... ما حملت حملها الادنى ولا السددا

فانما أراد ما يوجب ستين وسقا لان الناقة حملت ستين وسقا وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السلمى المعروف بالسعدى لنزوله فيهم ومحالفته اياهم كان تمخض الى المدينة يريد آل الزبير وتمخض أبو زيد الاسلمى يريد ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والى المدينة فاصطحبا فقال أبو وجزة هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الاسلمى كلا أنا أمدح الملوك وأنت تمدح السوقة فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده

يا ابن هشام يا أخا الكرام ... فقال ابراهيم وانما أنا أخوهم وكأنى لست منهم ثم أمر به فضرب

بالسياط

يعاند الحق اذا كانت المعرفة عيانا وأنت لا ترضى بحجة العيان حتى تدعو اليه ولا ترضى بالدعاء اليه حتى تعادى فيه ولا ترضى بالعداوة حتى يكون لك الرسالة ولا ترضى بالرياسة السابقة ولا بالطارف دون التالد ولا بالتالد دون الاعراق التى تسرى والمواليد التى تنمى ولا ترضى بان تكون أولا حتى تكون آخرا ولا بالمداراة دون المباداة ولا بالجدال دون القتال وحتى ترى ان التقية حرام وان التقصير كفر وحتى لو كنت امام الرافضة وكنت فى طرف لهلكت الأمة لا ندر جل لا عقب لك والأمامة لا تصلح فى الاخوة وكانت تصلح فى ابن العم ثم دنت من الارحام شيأ فصارت لا تصلح الا فى الولد وفى هذا

بالسياط وامتدح أبو وجزة آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا هى لك عندنا فى كل سنة فانصرفا فقال أبو زيد

مدحت عروة للندى مصت الثرى • حديثا فلم تهمم بان تتزعزعا

نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى • وحلبت الايام والدهر أضرعا

سقاها ذوو الأرحام سجلا على الظما • وقد كربت أعناقها أن تقطعا

بفضل سجال لو سقوا من مشى بها • على الأرض أرواهم جميعا وأشبعا

فضمت بايديها على فضل مائها • من الري لما أوشكت أن تضلعا

وزهدها أن تفعل الخير فى الغنى • مقاساتها من قبله الفقر جوعا

وقال أبو وجزة راحت رواحا قلوصى وهى حامدة • آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا

راحت بستين وسقا فى حقيبتها • ما حملت حملها الادنى ولا السددا

ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا

ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم • يقرون ضيفهم الملوية الجددا

أما قول أبى زيد لابراهيم مدحت عروة للندى مصت الثرى حديثا فانما عنى أن ابراهيم وأخاه محمدا انما تطعما بالعيش ودخلا فى النعمة وخرجا من حد السوقة الى حد الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا خاليه فانما ولاهما عن خمول وقوله فلم تهمم بان تتزعزعا فانما هذا مثل يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم بن نويرة

تراه كنصل السيف يهتز للندى • اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك سرورا لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدنى التوزى لأبى رياط يقول لابنه

رأيت رياطا حين تم شبابه • وولى شبابى ليس فى بره عتب

اذا كان أولاد الرجال مرارة • فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

لنا جانب منه أنيق وجانب • شديد على الأعداء مركبه صعب

وتأخذه عند المكارم هزة • كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

قال وحدثنى على بن عبد الله قال حدثنى العتبى قال أشرف عمر بن هبيرة الفزارى من قصره يوما

القياس انها بعد أعوام لا تصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الأبد وهذا هو علة أصحاب التناسخ وانت رافضى ولم يكن هذا عندك فاهد الآن من لبن التوتيا كما أهديت اليك باب التناسخ وأنت ترى القتل فى حق المعاندة شهادة وترى ان مباينة المنصفين فى تعظيم العمود سعادة وان الرياسة فى دفع الحقائق مرتبة وان الاقرار بما يظهر للعيون ضعة وان الشهوة بالمغالبة رفعة أظهر القوم عندك حجة أرفعهم صوتا للتوبة أصلبهم وجها وأحسنهم بغية أقلهم خرجا وأحسنهم انصافا أشدهم شغبا تعشق المتهور وتكلف بالجموح وتصافى الوقاح والأديب عندك من عاب أحاديث الجلساء واعترض على نوادر

فاذا هو باعرابى يرقص جمله الآل فقال لحاجبه ان أراد نى هذا فأوصله الىّ فلما دنا الاعرابى سأله فقال قصدت الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال الاعرابى

أصلح الله قل مابيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر أنحى بكلكله * فأرسلونى اليك وانتظروا

(رجوك للدهر أن تكون لهم * غيث سحاب ان خانهم مطر)

قال فأخذت عمر الارتجة فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الىّ وانتظروا اذا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار وردّه على بعيره قال أبو العباس وحدثنى أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضى أن الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندى وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة وتأويله أنهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلى لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مسحة ملك وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعنى معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل لصخر اهجهم فقال مابينى وبينهم اقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا لنفسى عن الخنى لفعلت ثم قال

وعاذلة هبت بليل تلومنى * ألا لا تلومينى كفا اللوم مابيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى * وأن ليس اهداء الخنى من شماليا

(اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة * وحيت رسما عند لثة ثاويا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عنى معاويا

وهون وجدى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال الاخفش وأنشدنى الاحول * ومالى ان أهجوهم ثم ماليا) وتقول العرب للرجل

الاخوان وغمز فى قفا النديم ونصب للعالم وأبغض العاقل واستثقل الظريف وحسد على كل نعمة وأنكر كل حقيقة جعلت فداك انما أخرجك موسى الى شئ وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت أن يكون استطرافك للآتى قبل ان ينقضى استطرافك للماضى ولا تك متى كنت للشئ متوقعا وله منتظرا كان احظى لما يرد عليك وأشهى لما يهدى اليك وكل منتظر معظم وكل مأمول مكرم وذلك رغبة فى الفائدة وصبابة بالعلم وكلفا بالاقتباس وشحا على نصيبى منك وضنابما أؤمله عندك ومداراة لطباعك واستزادة من

راوية ونسّابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علّامة وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فاما راوية وعلامة ونسّابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله

• وحلبت الايام والدهر أضرعا • فانه مثل يقال للرجل المجرب للامور فلان قد حلب الدهر أشطره أي قد قاسى الشدة والرخاء وتصرف في الفقر والغنى كما قال القائل

قد عشت في الناس أطوارا على طرق • شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا

كلا بلوت فلا النعماء تبطرني • ولا تخشعت من لأوائها جزعا

لا يملأ الهول صدري قبل موقعه • ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا •

ومعنى قوله أشطره فانما يريد خلوقه يقال حلبتها شطرا بعد شطر وأصل هذا من التنصف لان كل خلف عديل لصاحبه وللشطر وجهان في كلام العرب فاحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطرتك مالي والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أي قصده قال الله عز وجل فولّ وجهك شطر المسجد الحرام أي قصده وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال أبو العباس وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة قول الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها • فشطرها نظر العينين محسور

يريد ناحيتها وقصدها والعسيرة التي تعسر بذنبها اذا حملت أي تشيله وترفعه ومنه سمي الذئب عوسرا أي تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر اليها حتى تحسر العينان والحسير المعيي وفي القرآن ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله

• سقاها ذو الارحام سجلا على الظما • فالسجل في الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها فقال للدلو وهي مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يساجل فلانا أي يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما فكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبيّن ذلك الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في قوله

من يساجلني يساجل ماجدا • يملأ الدلو الى عقد الكرب

نشاط ولا بد على كل حال بشر ولا بد متناهي القوة مدبر

(فصل) والعقل حفظك الله أطول رقدة من العين وأحوج الى الشهد من الشيب وأفقر الى التعاهد وأسرع الى التغير وأدواؤه أقتل وأطباؤه أقل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيأ من حاجته ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب في الخواطر وللمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطأها ونظر كان أسوأ حالا ممن لم يخطئها ولم ينظر وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر وعلى قدر التفرغ يكون التنبه هذا جماع هذا الكتاب وجهرته وأقسامه وجملته

ويقال ان الفرزدق مر بالفضل وهو يستقي وينشد هذا الشعر فسر الفرزدق ثيابه عنده ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عض بأير أبيه يقال سرائر به ونضائر به في معنى واحد اذا نزعه ويقال سرى عليه الهم اذا أتى ليلا وأنشد

سرى همي وهم المرء يسري * (وغار النجم الا قيد فتر

البيت لعروة بن أذينة اللّيثي شيخ مالك بن أنس) وسرى همه اذا ذهب عنه والمواضفة مثل المساجلة قال العجاج * تواضخ التقريب قلوا مخلجا * أي تخرج من العدو مثل ما يخرج قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كما ذكرت لك وقال علقمة بن عبدة للحرث بن أبي شمر الغساني (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شمر وبعضهم يقول شمر) وكان أخوه أسيرا عنده وهو شأس بن عبدة أسره في وقعة عين أباغ (قال أبو الحسن غيره يقول اباغ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء في كلمة له مدحه فيها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة وقوله وقد كربت أعناقها أن تقطعا يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب في معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك ويقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناهما انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن فاما كاد وكرب فأن لا تستعمل بعد واحدة منهما الا ان يضطر شاعر قال الله عز وجل اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها واضاحه لم يرها ولم يكد وكذلك يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال

* وقد كربت أعناقها ان تقطعا * وقال رؤبة * قد كاد من طول البلى ان يمصحا *

فكاد بمنزلة كرب في الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثني غيثا يا سليمان انني * سبقت اليدا الموت والموت كاربي

ثم من أنفع أسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لما وردوا الانتظار لما لم يردوا ان لا تخلى نفسك من الفكرة الا بقدر جمام الطبيعة وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة والرهبة وتعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة كان يقال من شاب شيب له وخصلة ينبغي ان تعرفها وتقف عندها وهو أن تبدأ من العلم بالمهم وتختار من صنوفه ما أنت أبسط له والطبيعة به أعنى فان

خَشِيَّةَ جَوْرٍ من أميرٍ مُسَلَّطٍ * ورَهْطِى وما عادَاكَ مِثْلُ الأقارِبِ

وقوله لما أَوْشَكَتْ أن تَضَلَّعَا يقول لما قاربتْ ذلك والوَشِيكُ القريب من الشئ والسريع اليه يقال يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا والماضى منه أَوْشَكَ ووقعتْ بأن وهو أجود وبغير أن كما كان ذلك فى لَعَلَّ تقول لَعَلَّ زيدًا يقوم فهذه الجيدة قال الله عز وجل لَعَلَّ الساعةَ تكونُ قريبًا ولَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى ولَعَلَّ الله يُحْدِثُ بعدَ ذلك أمرًا وقال مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ

لَعَلَّكَ يومًا أن تُلِمَّ مُلِمَّةً * عليكَ من اللاتى يَدَعْنَكَ أَجْدَعا

وعَسَى الأجودُ فيها أن تُسْتَعْمَلَ بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل فعَسَى اللهُ أن يأتى بالفَتْحِ وقال جَلَّ ثناؤه عَسَى اللهُ أن يتوب عليهم ويجوز طَرْحُ أن وليس بالوجه الجيد قال هُدْبَةُ

عَسَى الكَرْبُ الذى أَمْسَيْتَ فيه * يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وقال آخر

عَسَى اللهُ يُغْنِى عَنْ بلادِ بنِ قادِرٍ * بُنَهْمِرِ جَوْنِ الرَّبابِ سَكُوبِ

وحروف المُقارَبَةِ لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها فى الكتاب المُقْتَضَبِ بغاية الاستقصاء وقوله أن تَضَلَّعَا معناه ان تمتلئ وأصله ان الطعام والشراب يَبْلُغانِ الأَضْلاعَ فيكُظّانِها كذلك قال الاصمعى فى قولهم أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ وأما قول أبى وَجْزَةَ راحتْ بستين وَسْقًا لوَسْقِ خمسة أَقْفِزَةٍ بمُلْجِمِ البَصْرةِ وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ فما كان أقل من خمسة وعشرين قَفِيزًا بالقَفِيزِ الذى وصفنا وهو نصف القَفِيزِ البَغْدادِىِّ فى أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما أراد أنه أَخَذَ الكتابَ بهذه الأَوْسُقِ فلذلك قال

ما ان رأيتُ قَلُوصًا قبلها حَمَلَتْ * ستينَ وَسْقًا ولا جابَتْ به بَلَدَا

وأما قوله يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدُ فانما اراد السِّياطَ وجمع جَدِيدٍ جُدُدٌ وكذلك باب فَعِيلٍ الذى هو اسم أو مضارع للاسم نحو قَضِيبٍ وقُضُبٍ ورَغِيفٍ ورُغُفٍ وكذلك سَرِيرٌ وسُرُرٌ وجَدِيدٌ وجُدُدٌ لانه يَجْرِى مَجْرَى الاسماء وجَرِيرٌ وجُرُرٌ فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدِلَ من ضمته فتحةً لان التضعيف مُسْتَثْقَلٌ والفتحة أَخَفُّ من الضمة فيجوز أن يُمالَ اليها استخفافا فيقال جُدَدٌ وسُرَرٌ ولا يجوز هذا فى مثل قَضِيبٍ لانه ليس بمضاعف وقد قرأ بعض القُرَّاءِ على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ويقال للسوط الأَصْبَحِىُّ يُنْسَبُ الى ذى أَصْبَحَ الحِمْيَرِىِّ وكان أوّل من اتخذ هذه السياط التى يُعاقِبُ

القول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العناية ثم من أفضل أسبابه تلخيص أخلاقه وتمييز أجناسه والمعرفة باقداره حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرفعة وقسطه من الابعاد والضعة حتى لا يتشاغل الا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ولا يلتفت الا الى الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تعتبر فضل ما بين النظرين ولا فرق ما بين النعتين الكيس كل الكيس والحذق كل الحذق ان لا تعجل ولا تبطئ وان تعلم ان السرعة غير العجلة وان الاناة خلاف الابطاء وان تكون على يقين من درك الحق اذا وفيته شرطه وعلى ثقة من ثواب النظر اذا اعطيته حقه هذا جملة ما للعذر فى

بها السلطان ويقال له العرفاص والقطيع وقال الشماخ • تكاد تطير من رأى القطيع •

وقال الصلتان العبدى أرى أمة شهرت سيفها • وقد زيد فى سوطها الاصبحى

وقال الراعى أخذوا العريف فقطعوا حيزومه • بالاصبحية قائما مغلولا

وقال الراجز • حتى تردى طرف العرفاص • وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ويقال رجل جواب جوال وأنشدنى على بن عبد الله قال أنشدنى القحذمى

مامن أتت من دون مولده • خمسون بالمعذور بالجهل

فاذا مضت خمسون عن رجل • ترك الصبا ومشى على رسل

وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدى فقال مرة فى ذلك

بنى أسد ان تقتلونى تحاربوا • نعما اذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وان كانت الى حبيبة • ببالك عن الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهى التى تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك أصل العوان فى المرأة انما هى التى قد تزوجت ثم عادت فخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لها فارض أى واسعة وفرض القوس موضع معقد الوتر وكل حز فرض والفرضة متطرق الى النهر قال الراجز • لها زجاج ولها فارض • وقوله اشمعلت اشتعلت وثارت فاسرعت قال الشماخ رب ابن عم لسليمى مشمعل • أروع فى السفر وفى الحى غزل

• طباخ ساعات الكرى زاد الكسل •

وقوله ولست وان كانت الى حبيبة ببالك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير اراد ولست ببالك على الدنيا وان كانت الى حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر ومثله

ان لم تلق يوما على علاته هرما • تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد كملت أمه من كنت واحده • أو كان مفتشبا فى برثن الاسد

هذه المسألة وجملة الحجة فيما قدمنا من الافتنان والاطالة فان كنا أصبنا فالصواب أردنا وان كنا أخطأنا فاذاك عن فساد من الضمير ولا قلة احتفال بالتقصير ولعل طبيعة خانت أو لعل عادة جذبت أو لعل سهوا اعترض أو لعل شغلا منع خفض عليك أيها السامع فان الخطأ كبير عام وغالب مستول والصواب قليل خاص ومقموع مستخف فوجه اللائمة الى أهلها وألزمها من هو أحق بها فانهم كثير ومكانك مشهور اعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ أعجب من ان العجب قد ذهب أعجب ممن تعجب وفيه العجب أعجب وكيف التعجب والأمور كلها عجب كيف أتعجب من كل فعل خرج من العادة

يقول من كنت واحده فدتك أمه وكذلك قوله

شَرِّ يَوْمَيْهَا وأَخْزَاهُ لَهَا • رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحِذْجٍ جَمَلَا

يقول ركبت هند بحذج جملا فى شر يومها وقال رجل من مُزَيْنَة

خَلِيلَيَّ بِالبَوْبَاةِ عُوجَا فَلَا أَرَى • بِهَا مَنْزِلًا لِلأَجْدَبِ المُتَقَيِّدِ

نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا • نَهَامَةُ فِي حَمَّامِهَا المُتَوَقِّدِ

قوله بالبوباة فهى المُتَّسَعُ من الارض وبعضهم يقول هى المَوْماةُ بعينها قلبت الميم باء لانهما من الشَّفَةِ ومثلُ ذلك كثير يقولون ما اسْمَدَّ وبا اسْمَدَّ ويقولون ضَرْبَةٌ لَازِمٌ ولَازِبٌ ويقولون هذا ظَأْبِي وظَأْبِي يَعْنُونَ السِّلْفَ (قال أبو الحسن الجَيِّدُ سَلَفٌ وما قال ليس بممتنع) ويقولون زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ أى وَلَدُ سَوْءٍ ويقولون عَجْمُ الذَّنَبِ وعَجْبُ الذَّنَبِ ويقولون رجل أَخْرَمُ وأَخْرَبُ وهذا كثير وقال عُمَرُ بن أبى رَبِيعَة

عُوجَا نُحَيِّي الطَّلَلَ المُحْوِلَا • والرَّبْعَ من أَسْمَاءَ والمَنْزِلَا

بِجَانِبِ البَوْبَاةِ لَمْ يَعْدُهُ • تَقَادُمُ العَهْدِ بِأَنْ يُؤْهِلَا

وقوله الأجدب المُقَيَّدِ يقال بلد جَدْبٌ وجَدِيبٌ وخَصْبٌ وخَصِيبٌ والاصل فى النعت خَصِيبٌ ومُخْصِبٌ وجَدِيبٌ ومُجْدِبٌ والخَصْبُ والجَدْبُ انما هما ما حُلَّ فيه وقيل خَصِيبٌ أنت تريد مُخْصِبٌ وجَدِيبٌ أنت تريد مُجْدِبٌ كقولك عذاب أليمٌ أنت تريد مُؤْلِمٌ قال ذو الرمة

وتَرْفَعُ من صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ • يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ

ويقال رجل سَمِيعٌ أى مُسْمِعٌ قال عَمْرُو بن مَعْدِيكَرِب

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ • يُؤَرِّقُنِي وأَصْحَابِي هُجُوعُ

وأما قوله المُقَيَّدُ فهو موضع التقييد وكل مَصْدَرٍ زيدت الميم فى أوله اذا جاوزت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفْعُول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أَدْخَلْتُ زيدا مُدْخَلًا كريما وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا واستخرجتُ الشئ مُسْتَخْرَجًا قال جرير

ألم تَعْلَمْ مُسَرَّحِيَ القَوَافِي • فَلَا عِيًّا بِهِنَّ ولَا اجْتِلَابَا

أى تَسْرِيحِي وقال عز وجل وقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ويقال قُمْتُ مَقَامًا وأَقَمْتُ مُقَامًا وقال عز

كما خرجت الافعال باسرها من العادة وصارت باسرها عجبا فبدخول كلها فى باب العجب خرجت باجمعها من باب العجب وقد ذكرنا الله تعالى ذكره التعجب فى كتابه جل جلاله وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله فى زمانه وفى الناس يومئذ الناقص والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج وقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تعجب فعجب قولهم وقال له بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من المتعجب القائل الا نصيب اللسان ولا من المستمع القائل الا حصة المسمع فاما القلوب فخاوية قاسية وراكدة خامدة لا تسمع داعيا ولا تجيب سائلا قد أغفلها سوء العادة واستولى عليها

وجل انها ساءت مُستَقَرًّا ومُقامًا أى موضع اقامة وقال الشاعر (حُمَيْدُ بن ثَوْر الهلالىُّ

تَطولُ القِصارَ والطِوالُ يَطُلْنَها ٭ فَمَنْ يَرَها لا يَنْسَها ما تَكَلَّما)

وما هِىَ الا فى ازارٍ وعِلْقَةٍ ٭ مُغارَ ابنِ هَمَّامٍ على حَىِّ خَثْعَما

يريد زمن اغارة ابن همام وأما قوله نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ فذاك لان نجدا مرتفعةٌ وتهامةُ غَوْرٌ منخفض فنجدٌ باردة ويروى عن الأصمعى أنه قال هَجَم علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة فخرجتُ الى الطائف لأصُومَ بها هَرَبًا من حَرِّ مكة فلقينى اعرابى فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلدَ المبارك لاصوم هذا الشهر المبارك فيه فقلت له أما تخاف الحرّ فقال من الحرّ أفِرُّ وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خُثَيْم فان رجلا قال له وقد صلَّى ليلة حتى أصبح أتعبتَ نفسك فقال راحتها أطلبُ انّ أفرهَ العبيد أكيسُهم ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور فى الشمس فقال قد طال وُقوفك فى الشمس فقال رَوْحٌ ليطول وقوفى فى الظل ومثله من الشعر قوله (قال أبو الحسن هو عُرْوَةُ بن الوَرْد العَبْسىُّ)

تقول سُلَيْمَى لو أقمتَ بأرضنا ٭ ولم تَدْرِ أنى للمُقامِ أُطَوِّفُ)

(لعلَّ الذى خَوَّفْتَنا مِنْ وَرائنا ٭ سَيُدْرِكُهُ من بَعْدِنا المُتَخَلِّفُ)

ويروى لَسَرَّنا وقال آخر سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدارِ منكم لتَقْرُبوا ٭ وتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُموعَ لتَجْمُدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائىُّ

أآلِفَةَ النَّعيبِ كَمِ افتِراقٍ ٭ أَجَدَّ فكان داعيةَ اجتماعِ

وليستْ فَرْحَةُ الأوْبات الا ٭ لِمَوْقوفٍ على تَرَحِ الوَداعِ

وقال رجل واعتلَّ فى غُرْبة فتذكَّر أهله

لو أنَّ سَلْمَى أبصرتْ تَخَدُّدى ٭ ودِقَّةً فى عَظْمِ ساقى ويدى

وبُعْدَ أهلى وجَفاءَ عُوَّدى ٭ عَضَّتْ من الوَجْدِ بأطْرافِ اليد

قوله أبصرت تخدُّدى يريد ما حَدَثَ فى جسمه من النُحول وأصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ فى الارض قال الشَمَّاخُ

فقلتُ لهم خُدُّوا له برِماحِكُمْ ٭ بطامِسةِ الأعلامِ خَفَّاقةِ الآلِ

ويقال للشيخ قد تَخَدَّد يراد قد نَشَجَ جِلْدُهُ وقال الله عز وجل قُتِلَ أصحابُ الأُخْدودِ وقيل

سلطان السكر فدع عنك مالست مثله وعليك شغلا شاغلا وهما داخلا اعلم ان الله تعالى قد مسخ الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قردة أو كما مسخ بعض الأمم خنازير لكان قد بقى بعض امورها وحبس عليها بعض اعراضها كبقية ما مع القرد فى ظاهره من شبه الآدمى وبقية ما مع الخنزير فى باطنه من شبه البشر لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخا متتبعا ومستقصى مستفرغا فبين حاليها جميع التضاد وبين معنييها غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول والعجب ممن يصيب وهو مغمور ويقول وهو ممنوع فان صرت عليه عونا مع

فى التفسير هؤلاء قوم خدّوا أخاديد فى الارض وأشعلوا فيها نيرانا فحرّقوا بها المؤمنين وقوله عضّت من الوجد باطراف اليد فان الحزين والمغيظ والنادم والمتأسف يعضّ أطراف أصابعه جزعا قال الله عز وجل عضّوا عليكم الانامل من الغيظ وفى مثل ماذكرنا من تخدّد لحم الشيخ يقول القائل

(ذهب الشباب فلا شباب جمانا * وكأنّ ما قد كان لم يكُ كانا
وطويت كفّى يا جمان على العصا * وكفى جمان بطيّها احداثانا)
يا من لشيخ قد تخدّد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سوداء حالكة وسحق مفوّف * وأجدّ لونا بعد ذاك هجانا
(صحب الزمان على اختلاف فنونه * فأراه منه كراهة وهوانا)
قصّر الليالى خطوه فتداني * وحنون قائم صلبه فتحانا
والموت يأتى بعد ذلك كلّه * وكأنّما يعنى بذاك سوانا

قوله أفنى ثلاث عمائم ألوانا يعنى ان شعره كان أسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مفوّف والتفويف التنقيش وانما أخذ من الفوف وهى النكتة البيضاء التى تحدث فى أظفار الاحداث وسميت بذلك لشبهها بشجرة يقال لها الفوفة وجمعها فوف والسحق الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجدّ أى استجدّ لونا والهجان الابيض وهى العمامة الثالثة يعنى حين شملها الشيب

(باب)

قال أبو العباس من أمثال العرب لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شئ فحذرك أن يحلّ بك مثله فتأدب به اياك عوض من ذهابه ومن أمثالهم ربّ عجلة تهب رينا وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف والريث الابطاء ورأت عليه أمره اذا تأخر ومن أمثال العرب عش ولا تغترّ وأصل ذلك ان عمر صاحب الابل بالارض المكلئة فيقول ادع أن أعشّى ابلى منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذى يرد

الزمان قتلته وان أمسكت عنه فقد وفرته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التعزية وكيف اطلب منك ما قد انقطع سببه واجتث أصله وقد كان يقال من طلب عيبا وجده هذا فى الدهر الصالح دون الفاسد فان انصفت فقد أغربت وان جرت فلم تعد ما عليه الزمان وهب الله لنا ولك الانصاف وأعاذنا واياك من الظلم والحمد لله كما هو أهله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة وسلم

(فصل من صدر رسالته الى الحسن بن وهب فى مدح النبيذ وصفة أصحابه)

أنا أبقاك الله الطالب المشغول والقائل المعذور فان رأيت خطأ فلا تنكر

عليه وقريب منه قولهم أن ترد الماء بماء أكيس وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماء أحزم لك فان اصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل خففت من الماء عطبت ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم يقول أعرف وجه الحزم فان عزمت فامضيت الرأى فانا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى

ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم ارتب

وقال اعرابى يمدح سوار بن عبد الله

وأوقف عند الامر ما لم يضح له * وأمضى اذا ما شد من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ما تبين رشده فاما الاقدام على الغرر وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الالباب وقد يتحسن بمثله الفتاك كما قال (هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره)

عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم ير ض الا قائم السيف صاحبا

فهذا شأن الفتاك وقال الآخر

غلام اذا ما هم بالفتك لم يبل * الا مت قليلا أم كثيرا عواذله

وقال آخر وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

فاما قول على بن أبى طالب رضى الله عنه من أكثر الفكرة فى العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكر فى ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند على رضى الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر فى الموت وقد قيل له أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشى فى ازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فاجب فان طالبها باغ والباغى مصروع وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتفت فى كسائه وينام ناحية المسجد فلما ورد بالمرزبان عليه (كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تستر) جعلوا يسألون عنه فيقال مر ههنا آنفا فيصغر فى قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوقى حتى انتهى اليه وهو نائم فى ناحية المسجد فقال

فانى بصدده وبعرض منه بل فى الحال التى توجبه والسبب الذى يؤدى اليه وان سمعت تسديدا فهو الغريب الذى لا تجده اللهم الا ان يكون من بركة مكاتبتك ويمن مطالبتك ولان ذكرك يشحذ الذهن ويصورك فى الوهم ويجلو العقل وتأميلك ينفى الشغل ولا يعجبنى ما رأيت من قلة اطنابك فى هذا النبيذ وقلة تلهيك بهذا الشراب وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ وأنت ولو مشيت الخيلاء وحقرت العظماء وارغبت الشعراء وأعطيت الخطباء ليكون القول منهم موصولا غير مقطوع ومبسوطا غير مقصور لكنت بعد مقصرا فى

المرزبان هذا والله الملك الهنى يقول لا يحتاج الى احراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وأيس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري ما تعدون السؤدد فقلت أما فى الجاهلية فالرياسة وأما فى الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لى صدقت كان أبي يقول لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه وساد مالك بن مسمع بحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لى صدقت كان أبي يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيآن لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا أخبرته بمقدار مالك فقال لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيرا فيحسدني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى ربى بتسع الاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وأن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة وحدثت أنه التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر انى لأحبك فى الله فقال له الآخر لو علمت

أمره مفرطا فى واجب حقه فلا تأديب الله قبلت ولا قول الناصح سمعت سمعت قول الله تبارك وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال الأول استدم النعمة باظهارها واستزد المواهب بادامة شكرها بل كيف أنست بالجلساء وأرسلت الى الاطباء ولم يكن فى قربك ما يغنيك وفى النظر اليه ما يشفيك ولم ملكت نفسك دون أن تهدى ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف ولم كان الهذيان به هو الهذيان والسخف هو المروءة والتناقض هو الصحة والا بأى شئ خصصت وبأى معنى أتيت ولم تخلع فيه العذار ولم تخرج فيه عن كل مقدار وأى شئ أجرب جلدك وأمات حالك وأضعف مسرتك وأوحش منك

منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له صاحبه لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير وقيل لعمر بن عبد العزيز أى الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وكان الحسن يقول حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فانها طلعة وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية قوله حادثوا مثل ومعناه اجلوا واشحذوا تقول العرب حادت فلان سيفه اذا جلاه وشحذه وقال زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفى * كريه كلما دعيت نزال

أحادثه بصقل كل يوم * وأعجمه بهامات الرجال

قوله أعجمه بهامات الرجال أى أعضه يقال عجمه اذا عضه والدثور الدروس يقال دثر الربع اذا انمحى ومعناه تعهدوها بالفكر والذكر وقوله فانها طلعة يقول كثيرة التشوف والتنزى الى ما ليس لها وأنشد الأصمعى

ولا تملين من مال ولا عمر * الا بما ساء نفس الحاسد الطلعة

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لانه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية اذا كانت تبرز وجهها لترى حسنها ثم تخفيه لتوهم الحياء خبأة طلعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول أيها الناس انما خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احتجتم الى الناس فكلوا قصداً وامشوا جانباً ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بنى احفظوا عنى ثلاثا فلا أحد أنصح لكم منى اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (أخر يقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد أخطأ ومعنى أخر أدنى وأرذل)

رفيقك الا العقوبة المحضة والا الغضب والعقاب وحرمك الثواب الا التهاون فى أمره وقلة الرعاية لحقه وكيف صارت أمراضى أمراض الاغنياء وأمراضك أمراض الفقراء الا لمعرفتى بفضله واستخفافك بقدره ألا ترى انى منقرس مفلوج وانت اجرب مستور فان ثبت فما أقرب الفرج وأسرع الاجابة وسنفرغ لك ان شاء الله قريبا وتفلح سريعا وان أصررت وتتابعت وتماديت أتاك والله من سفلة الادواء وزوى عنك من علته الامراض ما يضعك موضعا لا ارتفاع معه ويلزق بعقبك عارا لا زوال له ثم تتبع أشياخك السبة وتتبعهم المذمة علم الله انه استظرف واستملح واستحسن

(باب)

قال أبو العباس أنشدت لرجل من الاعراب يرثى رجلا منهم

فلو كان شيخا قد لبسنا شبابه * ولكنه لم يعد أن طر شاربه

وقالَ الرَّدى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابنَ عَمِّهِ ٭ يُرَى مُقْتِراً أَوَانَّهُ ذَلَّ جانِبُهْ

وقال الآخر (حَسَّانُ بن ثابت) لامرأته

فاماهَلَكْتُ فلا تَنْكِحى ٭ ظَلومَ العَشيرةِ حَسَّادَها

يَرَى مَجْدَهُ ثُلْبَ اعْراضِها ٭ لَدَيْهِ و يُبْغِضُ مَنْ سادَها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ابن يزيد بن حَبْناء أو لصَخْر بن حَبْناء يقوله لأخيه)

لَحَى اللهُ أكْبانا زنادا وشَرَّنا ٭ وأَيْسَرَنا عن عِرْضِ والدِهِ ذَبّا

رأيتُكَ لَمّا نِلْتَ مالاً ومَسَّنا ٭ زَمانٌ تَرَى فى حَدِّ أنيابِهِ شَغْبا

جَعَلْتَ لنا ذَنْبا التَمَنُّعَ نائلا ٭ فَامْسِكْ ولا تَجْعَلْ غِناكَ لنا ذَنْبا

قوله أكبانا زنادا الزِّنادُ التى تُقْدَحُ بها النار ويقال أَوْرَى القادِحُ اذا خرجتْ له النارُ وأَكْبَى اذا أَخْفَقَ منها هذا أصله يُضْرَبُ للرجل الذى يَنْبَعِثُ الخيرُ على يديه ويُضْرَبُ الاكْباءُ للذى يمتنع الخيرُ على يديه قال الأعشى

وزَنْدُكَ خَيْرُ زِنادِ المُلو ٭ كِ صادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفارا

ولو بِتَّ تَقْدَحُ فى ظُلْمَةٍ ٭ صَفاةً بِنَبْعٍ لَأَوْرَيْتَ نارا

والمَرْخُ والعَفارُ شجرتُسْرِعُ فيه النار ومن أمثالهم فى كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَا المَرْخُ والعَفارُ واسْتَمْجَدَا اسْتَكْثَرَ يقال أَمْجَدْتُهُ سَبّاً وأَمْجَدْتُهُ ذَمّاً اذا أكثرتَ من ذلك ومن أمثالهم أَرْخِ يديكَ واسْتَرْخِ انَّ الزِّنادَ من مَرْخٍ ويقال رجل ذو شَغْبٍ اذا كان يَشْغَبُ على خصمه ضربه مَثَلاً للزمان الذى يَهُرُّ على أربابه أى يَعُضُّهُم بالفقر والجَدْبِ وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

رأيتُ فُضَيْلاً كان شيأ مُلَفَّفا ٭ فَكَشَّفَهُ التَمْحيصُ حَتَّى بَدا لِيا

أأَنْتَ أخى مالم تَكُنْ لِى حاجَةٌ ٭ فإنْ عَرَضَتْ أيْقَنْتُ أن لا أخا لِيا

فَلا زادَ ما بينى وبَيْنَكَ بَعْدَما ٭ بَلَوْتُكَ فى الحاجاتِ الّا تَمادِيا

فَلَسْتُ بِراءٍ عَيْبَ ذى الوُدِّ كُلَّهُ ٭ ولا بَعْضَ ما فيه اذا كنتُ راضِيا

فَعَيْنُ الرِضا عن كُلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ ٭ ولكنَّ عينَ السُخْطِ تُبْدِى المَساوِيا

كِلانا غَنِىٌّ عن أخيه حَياتَهُ ٭ ونَحْنُ اذا مُتْنا أَشَدُّ تَغانِيا

قدك واسترح عقلك وأحسن بك ظنا ورآك لنفسه أهلا ولاتخاذه موضعا وللانس به مكانا وأنت لاه عنه زار عليه متهاون به قد أقبلت على ديوانك تشغل بملازمته وتدع ما يجب عليك من صفائه والدعاء الى تعظيمه بل هل كنت من شيعته والذابين عن دولته والمعروفين بالانقطاع اليه والانبتات فى حبله الا ان يكون عندك التقصير لحقه والتهاون بامره اللازم ونهى الناس عنه ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الاخلاق المحمودة والافعال المرضية واحسب انك لاتعظمه ولاترق له ولولم تتعصب الاجلاله وحسنه ولولم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجبا وأمر معروفا فكيف

قوله كان شيأ ملفقا يقول كان أمرا مُغَطًّى والتمحيص الاختبار يقال أدخلتُ الذهبَ فى النار فَمَحَّصْتُهُ أى خرج عنه مالم يكن منه وخَلَصَ الذهبُ قال الله عز وجل وليُمَحِّصَ اللهُ الذين آمنوا ويَمْحَقَ الكافرين ويقال مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه وقوله أأنت أخى مالم تكن لى حاجة تقرير وليس باستفهام ولكنّ معناه انى قد بلوتُكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيأ قال الله عز وجل أأنتَ قُلْتَ للناس اتخذونى وأُمّىَ إلهين من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالمُ بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب المُقْتَضَبِ مُسْتَقْصًى ونذكر منه جملة فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاثةٌ لا يُعْرَفون الا فى ثلاث لا يُعْرَفُ الشجاعُ الا فى الحَرْبِ ولا الحليمُ الا عند الغَضَبِ ولا الصديقُ الا عند الحاجة وقال عبد الله بن معاوية أيضا (ذكر دِعْبِلٌ فى أخبار الشعراء له أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى)

أَنَّى يكونُ أخا أو ذا محافظةٍ ٭ مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِهِ مُسْتَشْعِرًا وَجِلا

اذا تَغَيَّبَ لم تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ ٭ سُوأً وتَسْأَلُ عما قال أو فَعَلا

وقال آخر

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى ٭ أيادِىَ لم تُمْنَنْ وإنْ هى جَلَّتِ

فَتًى غيرُ مَحْجُوبِ الغِنى عن صَدِيقِهِ ٭ ولا مُظْهِرُ الشَّكْوَى اذا النعلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِى من حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُها ٭ فكانَتْ قَذًى عَيْنَيْهِ حتى تَجَلَّتِ

ومثل على بن أبى طالب رضى الله عنه فى طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله رضى الله عنه

فَتًى كان يُدْنِيهِ الغِنى من صَدِيقِهِ ٭ اذا ما هو استَغْنَى ويُبْعِدُهُ الفقرُ

فتًى لا يَعُدُّ المالَ رَبًّا ولا تُرَى ٭ به جَفْوَةٌ إنْ نالَ مالا ولا كِبْرُ

فتًى كان يُعْطِى السيفَ فى الرَّوْعِ حَقَّهُ ٭ اذا ثَوَّبَ الداعى وتَشْقَى به الجُزُرُ

وهَوَّنَ وَجْدِى أننى سَوْفَ أغتدى ٭ على إثْرِهِ يَوْمًا وإنْ نَفَسَ العُمْرُ

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو للأُبَيْرِدِ الرياحى وبعد البيت الثالث

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ ما تَرَكْتَنا ٭ حَمِيدًا وأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْدُ والفَخْرُ)

قال أبو العباس حدثنى التَّوَّزِىُّ قال حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبِيب بن المُهَلَّب أحسبُهُ عن أبيه

مع المناسبة التى بينكما والشكل الذى يجمعكما فان كان بعضك لا يصون بعضا وأنت لا تعظم شقيقا فانت والله من حفظ العشيرة أبعد ولمعرفة الصديق أنكر ولقد نعيت الى لبدٍ وأنكرتنى حفاظك وأفسدت عندى كل صحيح وقد كان يقال لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب قال الشاعر

وهلك الفتى ان لا يراح الى الندى
وان لا يرى شيأ عجيبا فيعجبا

قال بكر بن عبد الله المزنى كنا نتعجب من دهر لا يتعجب أهله من العجب فقد صرنا فى دهر لا يستحسن أهله الحسن ومن لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح وقال بعضهم العجب ترك التعجب

قال لما انقضى يوم الجمل خرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفى يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزى فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز علىّ أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء وفى بطون الأودية شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو وعجرى وبجرى قوله معفرا أى ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب العفر والعفر يقال ما مشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجرى وبجرى يقول ما أسر من أمرى قال الأصمعى وهو قول سائر فى أمثال العرب أتى فلان فلانا فابثه عجره وبجره وقال النمر بن تولب (كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر)

تدارك ما قبل الشباب وبعده * حوادث أيام تمر وأغفل

يسر الفتى طول السلامة والبقا * فكيف يرى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة وللشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة فاذا احتاج حذفها لانها ألف زائدة فاذا حذفها رد الشئ الى أصله فلو مد المقصور لكان زائدا فى الشئ ما ليس منه قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق

فرغتم لنمر بن السياط وأنتم * يشن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح

وأخرج أمه لسواس سلمى * لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعنى رمادا والأخرج الذى فى لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيئ وسواس سلمى الموضع الذى بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أى من طبعه وأمه يعنى الشجرة التى هى أصله وقوله لمعفور الضرا فالضراء ما وارى من شجر خاصة والخمر ما وارى من شئ والمعفور ما سقط من النار من الزند وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين ما لم يظهر بعد يقال للقبر جنن والجنين الذى فى بطن أمه والمجن الترس لانه يستر والمجنون المغطى العقل ويسمى الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر

من العجب ولم أقل ذلك الا لان تكون به ضنينا وبما يجب له عارفا ولكنك لم توفر حقه ولم تعرف نصيبه فان قلت ومن يقضى واجب حقه وينتهض بجميع شكره قلنا فهل أعذرت فى الاجتهاد حتى لا يذم الا تجهد وهل استغرقت الاعتذار حتى لا تعاب الا بما زاد على قوتك ولولا انك عين الجود لم نطلبه منك ولولا ظننا لم نحمدك عليه ولولا معرفتنا بفضله لم نعجب من تقصيرك فى حقه ولولا أن الخطأ فيك أقبح والقبيح منك أسمج وهو فيك أبين والناس فيه أكلف والعيون اليه أسرع لكان كتابنا كتاب مطالبة ولم يكن كتاب معاتبة ولشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك والقول لك

من كان فيها وقصر الضراء وهو ممدود ومثل هذا كثير في الشعر جدًّا وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض في تثاقل قال الله عز وجل ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر (لعمرو بن قميئة

على الراحتين مرة وعلى العصا) • أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء وقال حميد بن ثور الهلالي

أرى بصري قد رابني بعد صحة • وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة • اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال أبو حية النميري ألا حي من أجل الحبيب المغانيا • لبسن البلى مما لبسن الليباليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة • تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتي لا تلين لغامز • فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي في السلامة جاهدًا • ليصحني فاذا السلامة داء

وقال عنترة بن شداد فما أوهى مراس الحرب ركني • ولكن ما تقادم من زماني

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا لقد أكل عليه الدهر وشرب انما يريدون انه أكل هو وشرب دهرا طويلا قال الجعدي

(كم رأينا من أناس هلكوا) • أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول نهارك صائم وليلك قائم أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك كما قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال الفرزدق تبكي على المنتوف بكر بن وائل • وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

غلامان شبا في الحروب وأدركا • كرام المساعي قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدي بن ارطاة لما أتاه خبر قتل أبيه وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا

عن القول فيك وقد كنت أهابك بفضل هيبتي لك واجترئ عليك بفضل بسطتك لي فمنعني حوص الممنوع وخوف المشفق وأمن الواثق وقناعة الراضي وبعد فمن طلب مالا يجاد به وسأل مالا يوهب مثله ممن يجود بكل ثمين ويهب بكل خطير فواجب ان يكون من الرد مشفقا وبالنجح موقنا وان كان أبقاه الله أهلا لان يمنع وكنت حفظك الله أهلا ان تبذل وجب ان يكون باذلا مانعا وساكنا مطمئنا الا ان يكون الحرب سلما سجالا والحالات دولا ولهذه الخصال ما وقع الطلب وشاع الطمع فان منعت فعذرك مبسوط عند من عرف قدرك وان بذلت فلم تعد الذي أنت أهله عند من عرف قدرك

مسمع من بنى قَيْسِ بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفى ذلك يقول جرير

والأَزْدُ قد جَعَلوا المَنْتوفَ قائدهم ● فَعَتَّلَتْهُمْ جُنودُ اللهِ وانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق ولو قُتِلا مِن جَذْمِ بَكْرِ بن وائِلٍ ● لَكانَ على النَّاعِى شَديداً بكاهما

ولو كان حَيّاً مالِكٌ وابْنُ مالِكٍ ● إذاً أَوْقَدا نارَيْنِ يعلو سَناهما

السَّنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سَنا بَرْقِه يَذْهَبُ بالابصار والسَّناء من الشرف ممدود قال حَسّانُ بن ثابت وانَّ خَيْرَ عُثْمانَ بن عَمْرٍو ● وأَسْناها اذا ذُكِرَ السَّناءُ

والبكاء يمدو يُقْصَرُ فَمَنْ مَدَّ فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فُعال وقَلَّما يكون المصدر على فُعَل وقد جاء فى حروف نحو الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه وهو يسير فاما الممدود فنحو العُواء والدُّعاء والرُّغاء والثُّغاء فكذلك البُكاءُ ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ ومن قَصَرَ فانما جعل البكاء كالحُزْن وقد قال حَسّانُ

فَقَصَرَ ومَدَّ بَكَتْ عَيْنى وحُقَّ لها بُكاها ● وما يُغْنِى البُكاءُ ولا العَويلُ

وقال جرير قالوا أَصِيبَدُ من أَجْرٍ فقلتُ لَهُمْ ● كَيْفَ العَزاءُ وقد فارَقْتُ أَشْبالى

هذا سَوادَةُ يَجْلو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ ● بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْقَبِ العالى

فارَقْتُهُ حينَ غَضَّ الدَّهْرُ من بَصَرى ● وحينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البالى

(أَصِيبَدُ بالنصب لانه غير لانه مفعول باضمار فعل تقديره احْفَظْ أَصِيبَدَ او احْرُزْ أَصِيبَدَ) قوله يجلو مقلتى لحم شَبَّهَ مُقْلَتَيْهِ بمُقْلَتَىْ البازى ويقال طائر لَحِمٌ من هذا وقوله يُصَرْصِرُ يعنى يُصَوِّتُ يقال صَرْصَرَ البازى والصَّقْرُ وما كان من سباع الطير ويقال صَرْصَرَ العُصْفورُ وأَحْسِبُهُ مستعارا لان الاصل فيه ان يستعمل فى الجوارح من الطير قال جرير

● بازٍ يُصَرْصِرُ بالسَّهْبَى قَطاجُونا ● وقال آخر ● كما صَرْصَرَ العُصْفورُ فى الرُّطَبِ النَّعْدِ ●

وأنشدنى عُمارة بازٍ يُصَعْصِعُ وهو أصح (قال أبو الحسن يُصَعْصِعُ وهو الصواب ولكن هكذا وقع فى كتابه ويُصَرْصِرُ لا يتعدَّى) وقوله كعظم الرِّمَّة فهى البالية الذاهبة والرَّمِيمُ مشتق من الرِّمَّة وانما هو فَعِيلٌ وفِعْلَةٌ وليس يجمع له واحد ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحَجّاجَ بن يوسف قولُه والناس يَطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنْبَرِه وان شئت قلت يُطيفون قال أبو زيد تقول

الا انه لا يجود بمثله الا غنى عند جميع الناس أو عاقل فوق جميع الناس وكيف لا أطلب طلب الجرئ المتهور وامساك الهائب الموقر وليس فى الأرض خلق يغتفر فى وصفه المحال غيره ولا يستحسن الهذيان سواه على ان من الهذيان ما يكون مفهوما ومن المحال ما يكون مسموعا فمن جهل ذلك ولم يعرفه وقصر ولم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومرقصة الصبيان والمتعظ اذا دنا منه والحلق حتى اذا استوهبه لم تهب له منه حتى تقف وقفة وتطرقه ساعة ثم تستحسن وتستشير ثم

العرب طفقت وأطفقت به ودرت وأدرت به ويقال حدق وأحدق قال الأخطل

المنعمون بنو حرب وقد حدقت ٭ بي المنية واستبطأت أنصاري

انما يطوفون باعواد ورمة ومن أمثال العرب لولا أن تضيع الفتيان الذمة لخبرتها بما تجد الابل في الرمة يقول لولا أن تدع الاحداث التمسك بالوفاء والرعاية للحرمة لأعلمتها أن الابل تتناول العظم البالي وهو أقل الاشياء فتجد له لذة ومثل بيت جرير الاخير قول أبي الشغب يرثي ابنه شغبا

قد كان شغب لو ان الله عمره ٭ عزا تزاد به في عزها مضر

ليت الجبال تداعت قبل مصرعه ٭ دكا فلم يبق من أحجارها حجر

فارقت شغبا وقد قوست من كبر ٭ بئس الخليفان طول الحزن والكبر

قوله قوست يقول انحنيت كالقوس قال امرؤ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله ٭ ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

مررت على أبيات آل محمد ٭ فلم أرها كعهدها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها ٭ وان أصبحت من أهلها قد تخلت

وان قتيل الطف من آل هاشم ٭ أذل رقاب المسلمين فذلت

وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ٭ فقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وعند غني قطرة من دمائنا ٭ سنجزيهم يوما بها حيث حلت

اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ٭ وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

وسليمان بن قتة رجل من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي وكان منقطعا الى بني هاشم وقال الفرزدق يرثي ابنيه

بقي الشامتين الترب ان كان مسني ٭ رزية شبلي مخدر في الضراغم

وما أحد كان المنايا وراءه ٭ ولو عاش أياما طوال بسالم

أرى كل حي ما تزال طليعة ٭ عليه المنايا من ثنايا المخارم

يذكرني ابني السما كان موهنا ٭ اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم

تشفع على مستوهبه وتعجب من شاربه ثم تطيل الكتاب بالامتنان وتسطر فيه بتعظيم الانعام مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة وان لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه واشهد بطيبه وارح ساعته واشهد في الناس يومه وما ظنك بشيء لا تقدران تسرد في ذكره وتفرط في مدحه وتقصيرك واضح في كونه مكتوبا في طعمه موجودا في رائحته اذ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه ولو لم يستدل على سعادة جدك واقبال أمرك وان لك زي صدق في المعلوم وحظا في الرزق المقسوم وانك ممن تبقى

وقد رُزِئَ الأقوامُ قَبلى بَنيهمُ * وإخوانُهم فاقْنَى حياءَ الكرائمِ

ومات أبى والمُنذِران كِلاهُما * وعَمْرُو بن كُلثومٍ شِهابُ الأراقِمِ

وقد كان مات الأقرمان وحاجبٌ * وعَمْرٌو وأبو عَمْرٍو وقَيْسُ بن عاصمِ

وقد مات بِسْطامُ بن قَيْسِ بن خالدٍ * ومات أبو غَسَّانَ شيخُ اللهازِمِ

وقد مات خيرُاهُم فلم يُهْلِكاهُمُ * عَشِيَّةَ بانا رَهْطَ كَعْبٍ وحاتِمِ

فما ابناكَ الأمنُ بنى الناسِ فاصْبِرِى * فلَنْ يَرْجِعَ الموتى حَنِينُ المآتِمِ

وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد خَنِينُ المآتم بالخاء معجمة (الخَنين بالخاء صوت من الخيشوم) قوله ما زال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثَنِيَّة وهى الطريقُ فى الجبل من ذلك (الشعر لسُحَيْم بن وَثيل الرياحىّ)

أنا ابنُ جَلا وطَلَّاعُ الثَّنايا * مَتَى أَضَعِ العمامةَ تَعْرِفونى

والمَخارِم جمع مَخْرَم وهو مُنقَطَعُ أنف الجبل وقوله فوق النجوم العَوائم يعنى المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يُعَتِّم أى لا يتأخر وعَتَمَةٌ اسم للوقت فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقت وكل صلاة مضافةٌ الى وقتها تقول صلاةُ الغَداة وصلاةُ الظهر وصلاةُ العصر وأما قولك الصلاةُ الأولى فالأولى نعت لها اذ كانت أوَّلَ ما صُلِّىَ وقيل أوَّلَ ما أُظْهِرَ وقوله فاقْنَى حياءَ الكرائم يقول فالزَمِى وأصل القِنْيَة المالُ اللازِمُ تقول اقْتَنَى فلانٌ مالا اذا اتخذ أصلَ مالٍ وقيل فى قول الله عز وجل وأنه هو أغْنَى وأقْنَى أى جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبى المُثَلَّمِ الهُذَلِىِّ يرثى صَخْرًا)

لو كان للدهرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ به * لكان للدهرِ صَخْرٌ مالَ قُنْيانِ

والكرائم جمع كَرِيمة والاسم من فَعيلة والنعتُ يجمعان على فَعائِلَ فالاسم نحو صَحيفة وصحائف وسَفينة وسَفائن والنعت نحو عَقيلة وعَقائل وكَريمة وكَرائم وقوله ومات أبى يريد التأسى بالاشراف وأبو غالبِ بن صَعْصَعَةَ بن ناجِيَةَ بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع وكان أبوه شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمُنذِران المُنذِرُ بن المُنذِر بن ماء السماء اللَّخْمِىُّ يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التَّغْلَبِىُّ قاتل عمرو بن هند وكان أحدَ أشراف العرب وفُتَّاكِهِم وشعرائهم والأراقِمُ قبيلة من بنى تَغْلِبَ بنت وائل من بنى جُشَمَ بن بَكْر وزعم أهل العلم انهم انما سُمُّوا الأراقم لان عيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحَيَّات والاراقم واحدها

نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة ويربيها ويدر أعنها ويستديمها الا انه ان وقع فى قسمه وكان فى نصيبه لكان ذلك أعظم البرهان وأوضح الدلالة بل لا نقول انه وقع اتفاقا وغرسا نادرا حتى يكون التوفيق هو الذى قصد به والصنع هو الذى دل عليه ولو لم تملك غيره لكنت غنيا ولو ملكت كل شئ سواه لكنت فقيرا وكيف لا يكون كذلك وهو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربع عينك وموضع أنسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك فى الظلام وشعارك من جميع الاقسام وكيف وقد جمع ابهة الجلال

أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يرد على جرير في هجائه له والأخطل

إن الأراقم لن ينال ندعها * كلب عوى منهم الأسنان

وجعله شبها بألهم لنوره وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء

* كأنه علم في رأسه نار *

والأقرعان الأقرع بن حابس وابنه الأقرع من بني مجاشع بن دارم وكان الأقرع في صدر الاسلام سيد خندف وكان محله فيها محل عيينة بن حصن في قيس وحاجب ابن زرارة بن عدس سيد بني تميم في الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو ويزيد عمرو بن عدس وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتلته بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة وكان الذي ولي قتله عمارة الوهاب العبسي وينسب الى بني عامر لان بني عبس كانوا فيهم مع قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذي كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبي ولذلك يقول الفرزدق

وهن بشرحاف تدارك دالقا * عمارة عبس بعدما جنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أريت في منامها قائلا يقول أعشرة هدرة أحب اليك أم ثلاثة كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم السقاط من الناس) فلم تقل شيأ فعاد لها الليلة الثانية فلم تقل شيأ ثم قصت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسي فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية ولدت ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس وهي احدى المنجبات من العرب وأسروا حاجبا فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويعلمه فخر قيس عليه

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا * لقومك يوما مثل يوم الأراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهدا الجونين والشعب ذا الصفا * وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان أسرا في ذلك اليوم فقتل حسان وفودي معاوية بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا في الاسلام يعني وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بعبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي بدير الجماجم وقوله وقدمات بسطام بن قيس بن خالد يعني الشيباني وهو

ورشاقة الخلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة الاختلاس وحلاوة الزبيب وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه وفضيلته على غيره ثم أصف فضل شرابك على سائر الأشربة كما أصف فضل النبيذ على سائر الأنبذة لأن النبيذ اذا تمشى في عظامك والتبس باجزائك ودب في جنانك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك رخي البال خلي الذرع قليل الشواغل قرير العين واسع الصدر فسيح الهم حسن الظن ثم سد عليك أبواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر الفهم وكفاك مؤونة الحراسة وألم

فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل) قتله عاصم بن خليفة الضبي وكان عاصم أسلم فى أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتل بسطام بن قيس بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندى فى بسطام أن لا ينصرف لانه أعجمى) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بنى ضبة وكان معه حاز (قال أبو الحسن حاز بالزاى زاجر) يحزر له فقال له بسطام انى سمعت قائلا يقول

* الدلو تأتى الغرب المزلة * فقال الحازى فهلا قلت * ثم تعود بادنا مبتلة * قال ما قلت فاكتسح ابلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدته أى يحدها والميقعة المطرقة فقالت له ما تصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت است أمك أضيق من ذاك فنظر الى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها أى ركبها عريا ثم أقبل بها الريح فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل فى اعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ما هذا السفه دعها اما لنا واما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الالاءة وهى شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام أنا حنيف ان رجعت فنى ذلك يقول ابن عمة الضبي

وكان فى بنى شيبان نجر على الالاءة لم يوسد * كان جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق فى بكر بن وائل بيت الا هجم أى هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعنى مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل فى الاسلام وهو الذى قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو المعنى من الازد فلم يعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمنى به لهممت أن أصرم دارك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان فى كنانتى سهما أنا أوثق به منى بك فقال له عبيد الله أو أنا فى كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك وأعجبه ما سمع منه أكثر الله فى العشيرة مثلك قال لقد سألت ربك شططا وفى مالك بن مسمع يقال

الشفقة وخوف الحدثان
وذل الطمع وكد الطلب
وكلما اعترض على السرور
وأفسد اللذة وقاسم
الشهوة وأخل بالنعمة
وهو الذى يرد الشيوخ
فى طبائع الشبان ويرد
الشبان فى نشاط الصبيان
وليس يخاف شاربه الا
مجاوزة السرور الى الاشر
ومجاوزة الاشر الى البطر
ولو لم يكن من اياديه ومننه
ومن جميل آلائه ونعمه
الا انك ما دمت تمزجه
بروحك وتزاوج بينه
وبين دمك فقد أعفاك
من الجد ونصبه وحبب
اليك المزاح والفكاهة
وبغض اليك الاستقصاء
والمحاولة وازال عنك
تعقد الحشمة وكد المروءة
وصار يومه جمالا لايام

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله وقدمات خيراهم تثنية كقولك مات أحمراهم ولم يخرج مخرج النعت ألا ترى أنك تقول هذا أحمر القوم اذا أردت هذا الأحمر الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الحمرة قلت هذا أشدهم حمرة ولم تقل هذا أحمرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهط كعب وحاتم انما خفضت رهطا لانه بدل من هم التى أضفت اليها الخيرين والتقدير وقدمات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا فاما كعب فهو كعب بن مامة الايادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الاناء حجر (هذا الحجر الذى يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم) ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شئ وقف على كيله أو وزنه والأصل ماذكرنا فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمرى فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به قمات عطشا فى ذلك يقول أبو دواد الايادى

أوفى على الماء كعب ثم قيل له * رد كعب انك وراد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى مدح فيها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش * وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد أمنت وحشهم برفق * ويعيى الناس وحشك أن تصادا
وتبنى المجد يا عمر بن ليلى * وتكفى الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى * وتذكر فى رعيتك المعادا
وما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك يا عمر الجوادا
تعود صالح الاخلاق انى * رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائى وكان سيدا مقدما وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له أأنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنانى

الفكرة وتسهيلا لمعاودة الروية لكان فى ذلك مايوجب الشكر ويطنب الذكر مع ان جميع ماوصفناه واخبرنا به عنه يقوم بايسر الجرم وأقل الثمن ثم يعطيك فى السفر مايعطيك فى الحضر وسواء عليك البساتين والجنان ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ويطيب فى الصحو كما يطيب فى الدجن ويلذ فى الصيف كما يلذ فى الشتاء ويجرى مع كل حال وكل شئ سواه فانما يصلح فى بعض الاحوال ويدفع مضرة الخمار كما يجلب منفعة السرور ان كنت جذلا كان بارا بك وان كنت ذا هم نفاه عنك وما الغيث فى الحرث بانفع منه

غداة واحدة ثم دعا حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن انما ذكرت بأوس ولا أحد ولده أفضل مني وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حي فقال احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلفت فقال ان كان المراد غيري فأجل الاشياء أن لا أكون حاضرا وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالا الا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وفعل فأغار أوس على الابل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيا الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان في هجائه اياه قد ذكر أمه فأتي به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي فما ترين فيه فقالت له أو تطيعني فيه قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فخرج اليه فقال ان أمي سعدى التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة بن لأم ... ليقضي حاجتي فيمن قضاها

وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأما حاتم الذي ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائي جواد العرب وقد كان الفرزدق صافن رجلا من بني العنبر بن عمرو بن تميم اداوة في وقت فرامه العنبري وسامه ان يؤثره وكان الفرزدق جوادا فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة أجهشت ... الى العضون العنبري الجراضم

فجاء بجلمود له مثل رأسه ... ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لو أن في القوم حاتما ... على جوده ضنت به نفس حاتم

قوله أجهشت فهو التسرع وما تراه في فحواه من مقاربة الشيء يقال أجهش بالبكاء والعضون

في البدن وما الريش السجام بأدفأ منه للمقرور ويستمرأ به الغداء ويدفع به ثقل الماء ويعالج به الأدواء ويحمر به الوجنتان ويعدل به قضاء الدين ان انفردت به الهالك وان نادمت به سوالك ثم هو أصنع للسرور من زلزل وأشد اطرابا من مخارق وقد راحتياجهما اليه كقدر استغنائه عنهما لانه أصل اللذات وهي فرعه وأول السرور ونتاجه ولله در أول من عمله وصنعه وسقيا لمن استنبطه وأظهره ماذا در وعلى أي شيء دل وبأي معنى أنعم وأي دفين اثار وأي كنز استخرج ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلة احتياجه الى غيره

التكسر فى الجلد والجراضم الاحمر الممتلئ وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهى جمع صريمة وهى الرملة التى تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة يريد مصرومة والصرم القطع وأنشد الاصمعى

فبات يقول أصبح ليل حتى * تجلى عن صريمته الظلام

يعنى ثورا وصريمته وملته التى هو فيها وقال المفسرون فى قول الله عز وجل فأصبحت كالصريم قولين قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضىء أى بيضاء لاشىء فيها فهو من الاضداد ويقال لك سواد الارض وبياضها أى عامرها وغامرها فهذا مما يحتج به لاصحاب القول الاخير ويحتج لاصحاب القول الأول فى السواد بقول الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وانما سمى السواد سوادا لعمارته وكل خضرة عند العرب سواد ويروى

على ساعة لو أن فى القوم حاتما * على جوده ما جاد بالماء حاتم

جعل حاتم تبيينا للهاء فى جوده وهو الذى يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

ان جميع ماسواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب الا به وأول ما نثنى عليه به ونذكر منه انه كريم الجوهر شريف النفس رفيع القدر بعيد الهم وكذلك طبيعته المعروفة وسجيته الموصوفة وانه يسر النفوس ويحبب اليها الجود ويزين لها الاحسان ويرغبها فى التوسع ويورثها الغنى وينفى عنها الفقر ويملأها عزا ويعدها خيرا ويحسن المسارة ويصير به النبت خصبا والجناب مريعا ومأهولا معشبا وليس شىء من المأكول والمشروب اجمع للظرفاء ولا أشد تالفا للدباء ولا أجلب للمؤنسين ولا أدعى الى خلاف الممتنعين ولا

(باب)

قال أبو العباس كان يقال اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال أنعم الناس عيشا من عاش غيره فى عيشه وقيل فى المثل السائر من كان فى وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع فى وطن غيره فى غربته قال وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاصى فقال له عمرو ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خرارة فى أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبهاورداننى فقال له معاوية ما بقى من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنتك فافعل ويروى ان عمرا الماسئل قال أن أستتم بناء مدينتى بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كريما قادرا فى عقب احسان كان منى اليه وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال محادثة الرجال ويروى عن عبد الملك أنه قال وقد سئل عن الباقى من لذته فقال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتى الا صديق أطرح بينى وبينه مؤونة التحفظ وقال رجل لرجل من قريش انى والله

ما أَمَلُّ الحديثَ قال انما يَمَلُّ العتيقُ وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفرةَ العيشُ كلُّه في الجليس المُمتِع وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ وقال يزيد بن المهلب ما يَسُرُّني اني كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه قيل له ولِمَ أيها الامير قال أكرهُ عادةَ العَجْزِ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتابا انه مُعَذِّبُ رجلا واحدا لخِفْتُ أن أكونَه أو أنه راحِمُ رجلا واحدا لَرَجَوْتُ أن أكونه ولو علمت أنه مُعَذِّبي لامحالةَ ما ازْدَدْتُ الا اجتهادا لئلا أرجِعَ على نفسي بلائمة ويروى أن عمر بن العزيز كان يدخل اليه سالم مَوْلَى بني مَخْزومٍ وقالوا ابل زِيادٌ وكان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مَوالِيه وكان عمر يسميه أخي في الله فكان اذا دخل وعُمَرُ في صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْرِ فيقال له في ذلك فيقول اذا دَخَلَ عليكُمْ مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلًا فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ فوَثَبَ اليه رَجاءُ بن حَيْوَةَ لِيُصْلِحَهُ فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رَجاءُ أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تَرْفَعوني فَوْقَ قَدْري فتقولوا فيَّ ما قالت النصارى في المَسيحِ فان الله اتَّخَذَني عبدا قبل أن يَتَّخِذَني رسولا ودخل مَسْلَمَةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مَرَضَتِه التي مات فيها فقال ألا توصي يا أمير المؤمنين قال فيمَ أُوصي فوالله ان لي من مالٍ فقال هذه مائة ألف فَفَرِّقْ فيها بما أحببتَ فقال أوتَقْبَلُ قال نعم قال تَرُدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلما فبكى مَسْلَمَةُ ثم قال يرحمك الله لقد ألَنْتَ مناقلوبا قاسية وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكْرًا وقيل لعلي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم انك من أبَرِّ الناس بأمك ولَسْنا نراك تأكل مع أُمِّكَ في صَحْفَةٍ فقال أخاف أن تَسْبِقَ يدي الى ما قد سَبَقَتْ عينُها اليه فأكون قد عَقَقْتُها وقيل لعمر بن ذَرٍّ حيث نُظِرَ الى تَعَزِّيه عن ابنه كيف كان بِرُّه بك فقال ما مشيت بنهار معه قَطُّ الا مشى خَلْفي ولا بليل الا مشى أمامي ولا رَقِيَ سَطْحا وأنا تحته وقال أبو المُخَشِّ كانت لي ابنةٌ تَجْلِسُ معي على المائدة فتُبْرِزُ كَفًّا كأنها طَلْعَةٌ في ذراعٍ كأنها جُمَّارَةٌ فلا تقع عينُها على أُكْلَةٍ نَفيسةٍ الا خَصَّتْني بها فَزَوَّجْتُها وصار يجلس معي على المائدة ابنٌ لي فيُبْرِزُ كفا كأنها كُرْنافَةٌ في ذراعٍ كأنها كَرَبَةٌ فوالله ان تَسْبِقُ عيني الى لُقْمةٍ طَيِّبَةٍ الا سَبَقَتْ يدُه اليها وقال الاصمعي قيل لابي المُخَشِّ أما كان لك ابن فقال المُخَشُّ وما كان المُخَشُّ كان والله أشدَّ خُرْطُمانِيًّا اذا تكلم سال لُعابُه كأنما ينظر من قُلَتَيْنِ

أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به مجلسهم منه وان كل شراب وان كان حلا ورق وصفا ودق وطاب وعذب وبرد ونفع فان استطابته لأول جرعة منها كثير ويكون من طبائعه أوقع ثم لا يزال في نقصان الى ان يعود مكروها وبلية الا النبيذ فان القدح الثاني اسهل من الأول والثالث أيسر والرابع الذوالخامس أسلس والسادس اطرب الى ان يسلسه الى النوم الذي هو حياته او أحد أقواته ولا خير فيه اذا كان اسكاره تغلبا وأخذه بالرأس تعسفا حتى يميت الحس بحدته ويصرع الشارب بسورته

وكان تروقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كرة جعل فقأ الله عيني هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان في مقدمه والخالفة في مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثني بهذا الحديث العباس بن الفرج الرياشي عن الاصمعي وحدثني عمن حدثه قال مر بنا أعرابي ينشد ابناله فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث ان جاء يجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا الأرشدنا مازال منذ اليوم بين أيدينا وأنشدني منشد وأنشدني الرياشي أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل مسحرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد ولد

وقالت أم ثواب المزنية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعني ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى في ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه * أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشا يخرق أثوابي ويضربني * أبعد ستين عندي تبتغي الأدبا
اني لأبصر في ترجيل لمته * وخط لحيته في وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعني * رفقا فان لنا في أمنا أربا
ولو رأتني في نار مسعرة * من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذي يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته ويروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الأنصار كان يتعهد أبا جبيلة الملك حيث نزل بهم بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوما فقال أبو جبيلة ان مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جددت جنى نخلتي ظالما * وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أطروه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشتري والفحال فحل النخل ولا يقال لشئ من الفحول فحال غيره وأنشدني المازني

يطفن بفحال كأن ضبابه * بطون الموالي يوم عيد تغدت

ويورث البهر بكظته ولا يسري في العروق لغلظته ولا يجري في البدن لركوده ولا يدخل في العمق ولا يدخل الصميم ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه ويخادعه فيسره ثم يهزه فاذا امتلأ سرورا وعاد ملكا محبورا خاتله السكر وراوغه وداراه وماكره وهازله وغانجه وليس كما يغتصب السكر ويعتسف الذاذي ويفترس الزبيب ولكن بالتقتير والغمز والحيلة والحيل وتحبيب النوم وتزيين الصمت وهذه صفة شرابك الا مالا نحيط به ونعوته بتبدل الا ما يقبح منها الجهل به وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها شذبه تقول قطع عنه الكرب والعناكيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع وقال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها ● رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله بن خازم السلمي وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب في الاسلام وسئل المهلب من أشجع الناس فقال عباد بن حصين وعمرو بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الانس ولم أسئل عن الجن

(باب)

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة رضي الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة اني لست أكن باع لك ديني رجاء مدحك أو خوف ذمك قد أفادني الله بولادة نبيه المدائح وجنبني المقابح وان من حقه علي الا أغضي على تقصير في حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين حدا للخمر وحدا للسكر ولازيدنك لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعالى عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام ● وأدبني بآداب الكرام

وقال لي اصطبر عنها ودعها ● لخوف الله لا خوف الانام

وكيف تصبري عنها وحبي ● لها حب تمكن في عظامي

أرى طيب الحلال علي خبثا ● وطيب النفس في خبث الحرام

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يا مطرف عظ أصحابك فقال مطرف انى أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان انه ظفر بهذه منكم

وخصال غيرها وشرابك هذا قد أخذ من الخمر زينتها في المفاصل وتمشيها في العظام ولونها الغريب وأخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار وحمرة خدك اذا خجلت وصفرة لونك اذا فزعت وبياض عارضك اذا ضحكت وحسبي بصفاتك عوضا من كل حسن وخلفا من كل صالح ولا تعجب ان كانت نهاية الهمة وغاية المنية فان حسن الوجوه اذا وافق حسن القوام وشدة العقل وجودة الرأي وكثرة الفعل وسعة الخلق والمغرس الطيب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان المفهم والمخرج السهل والحديث المونق

فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا عبد الله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والغالى ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقة وهو ان يستفرغ المسافر جهد ظهره فيقطعه فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز * وأنبت فعل السائر المحقحق * (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى) وحدثت أن الحسن لقى سابق الحاج وقد أسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعل الغازلة وهو يقول خرقاء وجدت صوفا وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذى يجد مالا كثيرا فيعيث فيه وشبيه بهذا المثل قوله عبد وخلا فى يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملى لهم ان كيدى متين وقوله فأوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا أصل الوغول ويقال مشتق من هذا للرجل الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل فى القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلت لى الخمر وكنت امرأ * عن شربها فى شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبت فلان من فلان اى انقطع منه وبت الله ما بينهم اى قطع قال محمد بن عمير

تواعد للبين الخليط لينبتوا * وقالوا الراعى الذود موعدك السبت

وفى النفس حاجات اليهم كثيرة * وموعدها فى السبت لو قد نا الوقت

(روى الاخفش البيت الاخير ويروى * الا قرب الحى الجمال لينبتوا *) وحدثت ان ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة ففرح بها واستقلها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرنى انه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا امير المؤمنين توسع توسعا قرشيا ولا تضيق ضيقا حجازيا ويروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا امير المؤمنين ان

مع الاشارة الحسنة والنبل فى الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل فى المجاوزة والهز عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب يفل الحز ويصيب المفصل ويبلغ العفو ما يقصر عنه الجهد كان أكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال وان التاج بهى وهو فى رأس الملوك أبهى والياقوت الكريم حسن وهو فى جيد المرأة الحسناء احسن والشعر الفاخر حسن وهو من الاعرابى احسن فان كان من قول المنشد وقريضه ومن

سُلطانكُم حديثٌ وامارتكُم جديدةٌ فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضتُ لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتاره المنصور بصره ثم قال لا يعزُّ ملكٌ يكون فيه مثلُ هذا قوله محضتُ لك النصيحة يقول اخلصت لك واصل هذا من اللبن والمحضُ منه الخالص الذى لا يشوبه شئ وأنشد الاصمعى

امتحضا وسقيانى ضيحا • وقد كفيتُ صاحبىَّ الميحا

(الميح طلب الشئ ههنا وههنا) ويقال حسبٌ محضٌ وقوله أتاره بصره يقول أتبعه بصره وحدَّد اليه النظر وأنشد الاصمعى (وهو للكميت بن زيد)

مازلتُ أرمقهم والأُكْلُ يرفعهم • حتى اسمدَّ بطرف العين اتآرى

ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أُشاتم رجلا ولا أُردُّ سائلا فانما هو كريم أسدُّ خلَّته أو لئيم أشترى عرضى منه ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال ماشاتمتُ رجلا منذ كنتُ رجلا ولا زحمتُ ركبتاى ركبتيه واذا لم أصل مجتدى حتى ينضح جبينه عرقا كما ينضح الحميتُ فوالله ما وصلته قوله مجتدى يريد الذى يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدى مقصور وهو المطر العامُّ النافع يقال أصابتنا مطرةٌ كانت جدى على الارض فهذا الاسم فاذا أردتَ المصدر قلتَ فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغناء عند ممدود هذا المصدر فاذا أردتَ الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرتَ قال خفاف بن ندبة يمدح أبا بكر الصديق رضى الله عنه

ليس شئ غير تقوى جداء • وكلُّ شئ عمره للفناء

ان أبا بكر هو الغيثُ اذا • شمل الارض سحابٌ بماء

تالله لا يدرك أيامه • ذو طرَّة حافٍ ولا ذو حذاء

من يسع كى يدرك أيامه • يجتهد الشدَّ بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عروض السريع الاولى وبيته فى العروض

أزمان سلمى لا يرى مثلها الـ • ـراؤن فى شأم ولا فى عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الأحنف قوله حتى ينضح جبينه عرقا فهو مثل الرشح وحدثنى أبو عثمان

نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية واقام النهاية وهذا الشراب حسن وهو عندك احسن والهدية منه شريفة وهى منك اشرف وان كنت قدرت انى انما طلبته منك لأشربه او لأسقيه اولأهبه او لأتحساه فى الخلا أو ادبره فى الملا أولأنافس فيه الاكفاء واختبر زيادة الخطأ اولأبتذله لعيون الندماء اوأعرضه لنوائب الأصدقاء فقد أسأت بى الظن وذهبت من الاساءة بى فى كل فن وقصرت به فهو أشد عليك ووضعت منه فهو أضر بك وان ظننت أنى انما اريده لاطرف به معشوقة اولاسميل به هوى ملك

المازنيّ في اسناده ذكره قال قال رؤبة بن العجّاج خرجت مع أبي زيد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا في الطريق أهدي لنا جنب من لحم عليه كرافيّ الشحم وخريطة من كمأة ووطب من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذفريا تغضان منه الى أن رجعت وقوله الحميت فالحميت والزقّ اسمان له واذا زفّت أو كان مربوبا فهو الوطب واذا لم يكن مربوبا ولا مزفتا فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب لما رجع مسلما من عند النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة في ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا اني قد أسلمت فاسلموا فان محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به فاخذت هند برأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشا يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافيّ الشحم يريد طبقات الشحم وأصل ذلك في السحاب اذا ركب بعضه بعضا يقال له كرفيّ والجميع كرافيّ (قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافيّ كرفئة وهاء التأنيث اذا جمعت جمع التكسير حذفت لانها زائدة بمنزلة اسم ضمّ الى اسم وأحسب ان أبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجتزئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قد استعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما في السماء كرفئة وما في السماء قذعملة وقذعميلة وما في السماء طخربة وطخرباة وما في السماء قرطعبة وما في السماء كنهورة وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه)

(باب)

قال أبو العباس قال حسّان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيميّ من تيم بن مرّة بن كعب بن لؤيّ رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لو كنت من هاشم أو من بني أسد * أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو رهط مطّلب * لله درّك لم تهمم بهذيدي
أو في الذؤابة من قوم ذوي حسب * لم تصبح اليوم نكسا ثانيَ الجيد
أو من بني زهرة الاخيار قد علموا * أو من بني جمح البيض المناجيد

او لأغسل به وضر الأفئدة او أودي به خطايا الأشربة او لأجلو به الأبصار العليلة او اصلح به الأبدان الفاسدة او لاتطوع به على شاعر مفلق أو خطيب مصقع او اديب مدقع ليفيق لهم المعاني ويخرج المذاهب ولما في جانبهم من الأجر وفي اعنائهم من الشكر ولينقضوا ما قالت الشعراء في الحمد ولير تجفوا مما شاع لهم من الذكر فاني اريد ان اضع من قدرها وان أكسر من بالها فقد تاهت وتيه بها او لأن اتفاءل برؤيته واتبرك بمكانه وآنس بقربه او لأشفي به الظمآن أو اجعله اكسيرا صحاب الكيمياء او لأن اذكر كلما رأيته

أوفى السرارة من تيم رضيت بهم * أومن بنى خلف الخضر الجلاعيد

يا آل تيم ألا تنهوا سفيهكم * قبل القذاف بقول كالجلامبد

لولا الرسول فانى لست عاصيه * حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى

وصاحبى الغار انى سوف أحفظه * وطلحة بن عبيد الله ذى الجود

لقد رميت بها شنعاء فاضحة * يظل منها صحيح القوم كالمودى

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بنى كنانة لم يلده النضر فليس بقرشى وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وعبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصى واللواء ممدود اذا أردت به لواء الامير ولكنه احتاج اليه فقصره وقد بينا جواز ذلك فاما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ القيس

* بسقط اللوى بين الدخول فحومل * كذا يرويه الأصمعى وهذه أصح الروايات وقوله أومن بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى والمطلب الذى ذكره هو ابن عبد مناف بن قصى وقوله لم تصبح اليوم نكسا فالنكس الدنى، المقصر ويقول بعضهم ان أصل ذلك فى السهام وذلك ان السهم اذا ارتدع أو نالته آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد نا ضلوك فابدوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا نواصى الفرسان الذين كان يمن عليهم وقوله ثانى الجيد قد مر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقوله أومن بنى زهرة فهو زهرة بن كلاب ابن مرة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله المناجيد مفاعيل من النجدة والواحد منجاد وانما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام وقوله أوفى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى وأصل ذلك فى التربة تقول العرب اذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال فلان فى سر قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا * كرم البطاح وخير سرة واد

واداعبد كلما قابلته او
لأجتلب به اليسر وانفى
العسر أولانه والفقر
لايجتمعان فى دار ولا
يقيمان فى ربع ولا تعرف
به حسن اختيارك وأتذكر
به جودة احتبائك اولان
استدل به على خالص حبك
وعلى معرفتك بفضلى
وقيامك بواجب حقى فقد
احسنت بى الظن وذكرت
من الاحسان فى كل فن
بل هو الذى اصونه صيانة
الاعراض واغار عليه
غيرة الازواج واعلم انك
ان اكثرت لى منه خرجت
الى الفساد وان اقللت
اقمت على الاقتصاد وانا
رجل من بنى كنانة
وللخلافة قرابة ولى فيها
شفعة وهم بعد جنس
وعصبة فاقل ما اصنع ان

وعن الذين أبوا فلم يستكرهوا * أن ينزلوا الولجات من أجباد

يخبرك أهل العلم أن بيوتنا * منها بخير مضارب الأوتاد

وقوله أومن بنى خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه وانما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهى الالف المفتوح ماقبلها والياء المكسور ماقبلها والواو المضموم ماقبلها نحو قولك هذا قفا الرجل وقاضى الرجل ويغزو القوم فاما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون فى اللفظ والنون تدغم فى الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض فتقول رأيت زيدا فتبدل الالف من التنوين وتقول فى النسب الى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى فتبدل النون من ألف التأنيث وهذه جملة وتفسيرها كثير فلذلك حذف ومثل هذا من الشعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

(صوابه عمرو العلى) وقال آخر

حميد الذى أجج داره * أخو الخرزوا الشيبة الأصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله أحد الله الصمد وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون فقلت ماتريد فقال سابق النهار وقوله أو اصحاب اللوا خفف الهمزة وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن وتحذف كقولك من ابوك وقوله عز وجل الذى يخرج الخبء فى السموات والارض وخلف الذى ذكره من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله الخضر الجلاعيد يقال فيه قولان أحدهما أنه يريد سوادجلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

وأنا الأخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم فى حودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشداد الصلاب واحدهم جلعد وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجىء كثيرا وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة فتشبع فتصير ياء يقال فى خاتم خواتيم وفى دانق دوانيق وفى طابق طوابيق قال الفرزدق

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدراهيم تنقاد الصيارف

وقوله قبل القذاف يريد المعاذفة وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المقاتلة والمشاتمة

أكثرت لى منه ان اطلب الملك وأقل مايصنعون بى ان انفى من الأرض فان اقللت فانك الولد الناصح وان اكثرت فانك الفاش الكاشح والسلام

(فصل من صدر كتابه فى طبقات المغنين)

ثم انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين فى الحكمة المحيطين بالامور معرفة ذكروا ان اصول الاداب التى منها يتفرع العلم لذوى الالباب اربعة فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذى يعرف به الاوقات والازمنة وعليها مزاج الطبائع وايام السنة ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك

فباب فاعلتُ انما هو للاثنين فصاعدا نحو قاتلتُ وضاربتُ وقد تكون الألف زائدة فى فاعلتُ فتبنى للواحد كما زيدت الهمزة أولا فى أفعلتُ فتكون للواحد نحو عاقبتُ اللصَّ وعافاه الله وطارقتُ النعل وقوله وصاحب الغار يعنى أبا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبه الى الجود لانه كان من أجود قريش وحدثنى التوزىُّ قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طلحة الطلحات وطلحة الخير وطلحة الجود وذكر التوزىُّ عن الأصمعىِّ أنه باع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن لُفِّق له بين ثوبين وحدثنى العُتبىُّ فى اسناد ذكره قال دعا طلحةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فابطأ عنه الغلام بشئ أراده فقال طلحةُ ياغلامُ فقال الغلامُ لبَّيْكَ فقال طلحةُ لا لبَّيْكَ فقال أبو بكر ما يسُرُّنى أنى قلتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها وقال عمر ما يسُرُّنى أنى قلتُها وأنَّ لى نصف الدنيا وقال عثمان ما يسُرُّنى أنى قلتُها وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَم قال وصَمَتَ عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف درهم فتصدق بثمنها وقوله يَظَلُّ منها صحيحُ القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالكُ وللمودى موضع آخر يكون فيه القويَّ الجادَّ حدثنى بذلك التوزىُّ فى كتاب الاضداد وأنشدنى

• مُودونَ يَحْمونَ السَّبيلَ السابلا • (المُؤدى بالهمز التامُّ الأداة والسلاح وبغير الهمز الهالكُ) وقال رجل من العرب

خليلىَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فيكُما • على قبرِ أُهبانٍ سَقَتْهُ الرواعِدُ

فذاكَ الفتى كُلُّ الفتى كان بَيْنَهُ • وبين المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتباعِدُ

اذا نازَعَ القومُ الأحاديثَ لم يكُنْ • عَيِيًّا ولا عِيًّا على مَنْ يُقاعِدُ

قوله على قبرِ أُهبانٍ فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ وهمزوا الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ فهو فُعِّلَتْ من الوَقْتِ وقد مضى تفسير همز الواو واذا انضمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شئ لا ينصرف فصَرْفُهُ فى الشعر جائز لان أصله كان الصَّرْفَ فلما احتيج اليه رُدَّ الى أصله فهذا قولُ البصريين وزعم قوم ان كل شئ لا ينصرف فصَرْفُهُ فى الشعر جائز الا أفعَلَ الذى معه منْ نحو أفضلَ منْ وأكرمَ منْ وزعم

ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الأبدان وعلاج الأسقام وما يتشعب من ذلك ومنها اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها وأوزانها حتى يستوى على الايقاع ويدخل فى الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجمله اجتنابا للتطويل وتوخيا للاختصار وقصدنا للامر الذى اليه انتهينا واياه أردنا والله الموفق وهو المستعان ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم

الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منذ بمنزلة آخر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنذ وآخر لا يحتاج اليها فهو مع منذ بمنزلة آخر وحده قال والدليل على أن منذ ليست بما نعته من الصرف أنه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منذ هي المانعة لمنعت ههنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتي أي خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة التحمل والنفنف وجمعه النفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة

(ترى قرطها في واضح الليت مشرفا ● على هملع) في نفنف يتطوح

وقوله ولا عبئا على من يقاعد فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا ووكد بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه وقال آخر يذكر ابنه

ألا يا سمية شبي الوقودا ● لعل الليالي تؤدي يزيدا

فنفسي فداؤك من غائب ● اذا ما المسارح كانت جليدا

كفاني الذي كنت أسعى له ● فصار أبالي وصرت الوليدا

قوله شبي يقال شببت النار والحرب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الاعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ● وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التي يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الأرض وهو دون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع وقالوا في قوله ● رجلا عقاب يوم دجن تضرب ● أي يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليدا فالوليد الصغير وجمعه ولدان وهو في القرآن (قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان وباب فعال فعلان نحو عقبان وذبان وغربان وقولهم أمر لا ينادى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لاصحاب المعاني يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

سبقت صباح فراريجها ● وصوت نواقيس لم تضرب

أي ليست ثم ولكن هذا من أوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية الى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذي سماه العروض وذلك انه عرض جميع ما روى من الشعر وما كان به عالما على الأصول التي رسمها والعلل التي بينها فلم يجد أحدا من العرب خرج منها ولا قصر دونها فلما أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيأ ورسم له رسما احتذى عليه من خلفه واستمد من عنى به

عَدَدْنَاله سِتًّا وعشرين حِجَّةً • فلما تَوَفَّاها استوى سَيِّدًا ضَخْما

فُجِعْنَا به لما رَجَوْنَا إيابَهُ • على خيرِ حالٍ لا وليدًا ولا قَحْما

الوليد ماذَرَّ نابُه والقَحْمُ الرجل المتناهى سِنًّا ويقال ذلك فى البعير قَحِمَ وقَحِرَ ومُقْلِمٌ ويقال للبعير خاصَّةً قُحارِيَةٌ بوزن قُراسِيَة وأنشد الأصمعى

رَأَيْنَ قَحْمًا شابَ واقْلَحَمَّا • طالَ عليه الدَّهْرُ فاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ الضامر وقال آخر لابنه يَرْثيه

ومن عَجَبٍ أنْ بِتُّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرَى • وبِتُّ بما زَوَّدْتَنى مُتَمَتِّعا

ولو أنَّنى أنصَفْتُ لَمْ أَبْتِ • خِلافَكَ حتى أنْطَوِىَ فى الثَّرَى معا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا

أبا المَنازِلِ يا عُبْرَ الفَوارِسِ مَنْ • يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ فى الدنيا فقد فُجِعا

اللهُ يَعْلَمُ أنى لو خَشِيتُهُمُ • أو آنَسَ القلبُ من خَوْفٍ لهم فَزِعا

لم يَقْتلوكَ ولم أُسْلِمْ أخى لَهُمُ • حتى نَعيشَ جميعًا أو نموتَ معا

قوله يا عُبْرَ الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عُبْرُ الهَواجِرِ وعُبْرُ السُّرَى وقوله أو آنس القلب من خوف لهم فزعا يقول أحَسَّ وأصل الايناس فى العين يقال آنَسْتُ شخصًا أى أبصرته من بُعْدٍ وفى كتاب الله عز وجل آنَسَ من جانب الطُّورِ نارًا وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ (يرثى أخاه)

وقالوا أتَبْكى كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ • لَمِيتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فالدَّكادِكِ

فقلتُ لهم ان الأسَى يَبْعَثُ البُكَى • ذَرونى فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

الأسَى الحُزْنُ وقد مرّ تفسيره وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمه الله

أبى العَبَّاسُ قَرْمُ بنى قُصَىٍّ • وأَخْوالى المُلوكُ بنو وَلِيعَهْ

هُمُ مَنَعوا ذِمارِىَ يَوْمَ جاءَتْ • كَتائِبُ مُشْرِفٍ وبنو اللَّكِيعَهْ

أرادِبِىَ التى لا عِزَّ فيها • فحالَتْ دونه أيْدٍ مَنِيعَهْ

قوله بنو وليعة فهم أخواله من كِنْدَةَ وأُمُّه زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ ثم أحَدُ بنى وَلِيعَةَ وقوله كتائب مُشْرِف يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّىَّ صاحب الحَرَّةِ وأهلُ الحجاز يسمونه مسرفا وكان

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلى أول من حذا حذوه وامتثل هديه واجتمعت له فى ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنها وألف فى ذلك كتبا معجبة وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره فصنع الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل محكم له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم نر أحدا وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له وصنع كثير من أهل زمانه أغانى كثيرة بهاجس

أراد أهل المدينة جميعا على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبد قن له الا على بن الحسين فقال حصين بن نمير السكوني من كندة ولا يبايع ابن أختنا على بن عبد الله الا على ما يبايع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأغفى على بن عبد الله وقيل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنوا للكيعه فهي اللئيمة ويقال في النداء للئيم يا لكع وللانثى يا لكاع لانه موضع معرفة كما يقال يا فسق ويا خبث فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللانثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء في الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة ولكاع يبنى على الكسر وسنشرح باب فعال للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجري من ذكره ان شاء الله وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع في غير النداء فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

قعيدة البيت ربة البيت وانما قيل قعيدة لقعود هاوملازمتها ويقال للفرس قعدة من هذا وهو الذي يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجعفي

لكن قعيدة بيتنا محفوة * باد جناجن صدرها وظهاغنا

الجناجن ما يظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر واحدها جنجن وقال هشام أخو ذي الرمة

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين بالماء مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده * ولكن ندى القرح بالقرح أوجع

غيلان هو ذو الرمة وكان هشام من عقلاء الرجال حدثني العباس بن الفرج في اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفرا فقال قال لي هشام بن عقبة ان لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ويهرهرونهم فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة ففعل وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها فان لها مصليها لا محالة فصلها وهي تقبل منك وقال حسان بن ثابت الانصاري

تقول شعثاء لو صحوت عن الـ ـكأس لاصبحت مثرى العدد

هي امرأته وهو اسمها)

طبعهم والاتباع لمن سبقهم فبعض أصاب وجه صوابه وبعض أخطأ وبعض قصر في بعض وأحسن في بعض ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجواري عصرهم وكان يوجد في كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون ويستحسنون الغناء ويميزون رديئه من جيده وصوابه من خطئه ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة في آدابهم وأخلاقهم وروائهم وهيآتهم فلم نجد هذه الطبقة ذكروا ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا وخصصنا في أيامنا وزماننا بفتية أشراف وخلان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب

أهوى حديث الندمان فى فلق الصبح وصوت المسامر الغرد
لا أخدش الخدش بالجليس ولا * يخشى نديمى اذا انتشيت يدى
يأبى لى السيف واللسان وقو * م لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما يتطارق من شعره بين كتفيه ويقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثنى عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعادته قيس فقال

نفسى الفداء لقوم زينوا حسبى * وان مرضت فهم أهلى وعوادى
لو خفت ليثا أبا شبلين ذا لبد * ما أسلمونى لليث الغابة العادى
ان تجر طير بأمر فيه عافية * أو بالرحيل فقد أحسنتم زادى

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجى عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لكنت كحوت بحر * هوى فى مظلم الغمرات داجى
وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجى

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك فى مروان ما تريد فأنشد بذكره وارفعه الى معاوية فقال اذا والله لا أفعل وقد حدثنى كما تحدث الرجال الاحرار وجعل أخاه كنصف عبد فأرجعه بهذا القول ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكى فقال له مالك فقال لسعنى طائر كأنه ملتف فى بردى حبرة قال قلت والله الشعر ويروى أن معلما عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة فقال

الله يعلم أنى كنت منتبذا * فى دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا فى الشعر آل حسان فانهم يعتدون ستة فى نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء فى الوقت آل أبى حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف ببابه أيام قوم يسألون عنه

المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم معدوما من سواهم فحملنى التكلف بهم والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذى الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال فى صناعته والفضل فى معرفته وعلى تمييز طبقة طبقة منهم وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التى نسبوا اليها أنفسهم واحتملهم اخوانهم عليها وخلطنا جدا بهزل ومزجنا تعريفا بتعريض ولم نرد باحد ممن سميناسوأ ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا

فقالت ما تريدون اليه فقالوا جئنا انها جيه فقالت وهى صبيه

تجمعتم من كل أوب ووجهة * على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الاعشى فى قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن على

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة * ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا وروهم ما يجمل من الشعر وفى حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل ويروى عن الشعبى أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لى أبى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والانصار فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتبن عنده مسلما ولا تفشين له سرا قال فقلت له يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف وحدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاصى على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديقى ما حفظ سرى ان الملل من كواذب الأخلاق قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة برادجماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتنى عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف وشاور معاوية عمرا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان على رضى الله عنه (وهو المرقال) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية انى لم أر فى العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

ألىس أبوه يا معاوية الذى * أعان علينا يوم حز الغلاصم

فقتلنا حتى جرى من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه * ويوشك أن تلقى به جد نادم

آخرين ولم نفعل ذلك تحببا للحيف بل قصدا للانصاف وقد نعلم ان كثيرا منهم سيبالغ فى الذم ويحتمل فى الشتم ويذهب فى ذلك غير مذهبنا وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم والله حسيب من ظلم عليه نتوكل وبه نستعين وهو رب العرش العظيم ولم نقصد فى وصف من وصفنا من الطبقات التى صنفنا منهم الا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام اذ من خرج عنها ونزع الى الفتوة بعد التوبة والى أخلاق الحداثة بعد الحنكة وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين فرحم الله امرأ حسن فى

فبعث معاوية بابيانه الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

مُعاوِيَ انَّ المَرءَ عَمْرًا أبَتْ لهُ ٭ ضَغينةُ خبٍ غشُّها غيرُ نائمِ

يَرَى لكَ قَتْلي يا ابنَ هِنْدٍ وانما ٭ تَرَى ما يَرَى عَمْرٌو وملكُ الاعاجمِ

على أنَّهُمْ لا يقتلونَ أسيرَهُمْ ٭ اذا كانَ منهُ بَيْعةٌ للسالمِ

فان تَعْفُ عَنّي تَعْفُ عن ذي قرابةٍ ٭ وانْ تَرْتَقِبْني تَسْتَحِلَّ محارمي

فصفح عنه وقال عمرو لعائشة رحمها الله لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبا لك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي وحدثني العباس بن الفرج الرياشي في اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاصي وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لي فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لي به فقال عمرو ليته مملوء بعرا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهي أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف يجدك فكيف تجدك قال أجدني السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفس من خرت ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر ولكن لا اله الا الله ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشي بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذه الثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعني من ثقب ابرة يقال للدليل خريت وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يهتدي لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أي مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوز كل ذلك في معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للماء قال رؤبة

٭ لا يدفنون منهم من فاظا ٭ وقال ابن جريج

٭ أما رأيت الميت حين فوظه ٭ ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالماء وحدثني أبو عثمان المازني أحسبه عن أبي زيد قال كل العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضبة فانهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات وفي الحديث ان امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت فاظ واله يهود وحدثني مسعود بن بشير قال قال زياد الامرة تذهب الحفيظة وقد كانت من قوم الى هنات جعلتها تحت قدمي ودبر أذني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السل من بغضي ما هتكت له سترا ولا كشفت له قناعا حتى يبدي لي عن صفحته فاذا فعل لم أناظره وسمع زياد رجلا

ذلك أمرنا وحذا فيه حذونا ولم يعجل الى ذمنا ودعا بالمغفرة والرحمة لنا وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفناها في كتابنا فرجا لزيادة ان زادت أو لاحقة ان لحقت أو نابتة ان نبتت ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته الى ما هو أعلى منه أو يعجز به القصور عما هو عليه منها الى ما هو دونها الى مكانه الذي اليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها ومن لعلنا نصير الى ذكره ممن عزب عنا ذكره وأنسينا اسمه ولم يحط علمنا به فنصيره في موضعه ونلحقه بأصحابه وليس لأحد أن يثبت شيأ من هذه الأصناف الا بعلتها ولا يستبد بأمر

يَسُبُّ الزمانَ فقال لو كان يدري ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ان الزمان هو السلطان وفى عَهْدِ أَزْدَشِيرَ وقد قال الاولون منّا عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرَّعِيَّةِ من خِصْبِ الزمان وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ لبَنِيه اذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا لِمُحسِن واشتدوا على المُرِيب فان الناس للسُّلطان أهْيَبُ منهم للقرآن وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه ان الله ليَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن قوله يَزَعُ أى يَكُفُّ يقال وَزَعَ يَزَعُ اذا كَفَّ وكان أصله يَزِعُ مثل يَعِدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتَّبَعَتْ حروفُ المضارعة الياءَ لئلا يختلف الباب وهى الهمزة والنون والتاء والياء نحو أَعِدُ ونَعِدُ وتَعِدُ ويَعِدُ ولكن انفتحت فى يَزَعُ من أجل العين لان حروف الحلق اذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الفعل الذى ماضيه فَعَلَ وان وقعت الواو مما هى فيه فاءُ فى يَفْعَلُ المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفعلُ نحو وَحِلَ يَوْحَلُ ووَجِلَ يَوْجَلُ ويجوز فى هذه المفتوحة ياحَلُ وياجَلُ ويَيْحَلُ ويَيْجَلُ وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزَعْتُهُ كففته وأوزعته حملته على ركوب الشئ وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال أَوْزَعَ اللهُ شكره أى وفقه الله لذلك وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشُّرَطِ فلما وَلِىَ القضاءَ كَثُرَ عليه الناس فقال لا بُدَّ للناس من وَزَعَةٍ وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يوم يوم جمعة فلما توسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق فقطع خطبته التى كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشِّقاقِ ويا أهل النفاق وسَيِّئِى الأخلاقِ يا بنى اللَّكيعة وعَبِيدَ العَصا وأولادَ الاماءِ انى لأسمعُ تكبيرا ما يُرادُ اللهُ به انما يراد به الشيطانُ وان مَثَلى ومَثَلَكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانى

وكُنْتُ اذا قَوْمٌ رَمَوْنى رَمَيْتُهُمْ * فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدانَ ظالمُ

متى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِىَّ وصارِمًا * وأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظالمُ

ثم نزل فصلَّى بهم قوله يا أهل الشقاق فالمشاقَّةُ المعاداة وأصله أن يركب ما يَشُقُّ عليه ويُرْكَبُ منه مثلُ ذلك والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدِى هذا أصله وانما أُخِذَ من النافقاء وهو أحد أبواب جُحْرَةِ اليَرْبوع وذلك انه أخفاها فانما يَظْهَرُ من غيره ويُخْرِجُ أربعةُ أبواب النافقاءُ والراهِطاءُ والدأماءُ والسابياءُ وكلُّها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاءُ وانما قيل له السابياء لانه لا يُنْفِذُهُ فيُبْقِى بينه وبين انفاذه هَنَةً من الارض رقيقةً وأُخِذَ من سابياء الولد وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها

فيه دوننا ويورد ذلك علينا فيمتحنه ويعرفه بما عنده ويصير الى ترتيبه فى المرتبة التى يستحقها والطبقة التى يحتملها فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا لكثرة العيابين من الجهال برب العالمين فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وازالته عن أماكنه التى عليها رسمنا وان يقول كل امرئ منهم فى ذلك على حاله ولقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل فى ذلك الى بعض والذم لطبقة والحمد لأخرى فيهجنوا كتابنا

الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لانه سمى باليربوع

تُسَدُّ القاصعاءُ عليكَ حتّى * تُنَفِّقَ أو تموتَ بها هُزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضبّ الا وفى جُحْرِه عقربٌ فهو لا يأكل ولد العقرب وهى لا تضربه فهى مُسالِمةٌ له وهو مُسالِمٌ لها وأنشد

وأخدَعُ من ضبٍّ اذا خافَ حارِشًا * أعَدَّ له عندَ الذُّنابةِ عَقْربا

(كلّها بالمدّ ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فُعلة نُفْقة ورُهْطة ودُمْنة وقُصْعة وحكى ابن القُوطيّة فى المقصور والممدود له الرُّهَطاء كالراهطاء والنُّفَقاء كالنافقاء والقُصَعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جُحْر الأرنب واليربوع والغابياء أيضا من جُحَرة اليربوع وأما قول أبى العباس فى السابياء فهو مما قد رُدَّ عليه فيه وقد تبعه ابن وَلّاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاءٌ فيه ماءٌ صافٍ يخرج مع الولد وهو الفَقْءُ وليس يخرج الولد فيه وقال الكُمَيت

وفَقَّأ فيها الغَيْثُ من سابياتِه * دَوالِحَ وافقَنَ النجومَ البَواجِسا

فشبّه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التى يكون فيها الولد الغِرْسُ وقد تبع ابنُ القُوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جُحَرة اليربوع وذلك غلط) وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مرّ تفسير هذا فى موضعه قال ابن قَيْس الرُّقَيّات يذكر قتل مُصْعَب بن الزُّبَير

ان الرَّزِيّةَ يومَ مَسْكَنَ والمُصيبةَ والفَجيعَهْ * بابنِ الحَواريِّ الذى لم يَعْدُه أهلُ الوَقيعَهْ

غَدَرَتْ به مُضَرُ العراقِ وأمكَنَتْ منه رَبيعَهْ * فأصابَ وِتْرَ إياريبيعَ وكُنتَ سامعةً مُطيعَهْ

بالطَّفِّ لو كانَتْ له * بالطَّفِّ يومَ الطَّفِّ شيعَهْ أولم يَخونوا عَهْدَه * أهلُ العراقِ بَنُو اللَّكيعَهْ

لَوَجَدْتَموه حينَ يَغْـ * ـضَبُ لا يُعَرِّجُ بالمَضيعَهْ

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرىّ

العبدُ يُقْرَعُ بالعَصا * والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ

وقال جرير يهجو التيم

ألا اغْتَمَّ تيمٌ لعَمْرو ومالِكٍ * عَبيدُ العَصا لم يَرْجُ عِتْقًا قَطينُها

وخَطَبَ الناسَ عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمِرْبَد عند ظهور أمر الحَجّاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوّكم الا كما يبقى من ذَنَب الوَزَغة تَضْرِبُ به يمينا وشمالا فلا تلبث أن تموت

ويلحقوا بنا ما ليس من شأننا وأحببنا أن نأخذ فى ذلك بالحزم وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومن ضمه كتابنا ونبادر الى تفريق نسخة منها وتصييرها فى أيدى الثقات والمستبصرين الذين كانوا فى هذا الشأن ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبى صالح وكأحمد بن سلام وصالح مولى رشيده ففعلنا ذلك وصيرناه أمانة فى أعناقهم ونسخة باقية فى أيديهم ووثقنا بهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا انهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما عليه ائتمنوا اذا شيب بشوب يخالفه وأضيف

فسمعه رجل من بنى قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة فقال قَبَّح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويَعِدُهُم الغُرور وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الاشعث وَجَّه به الى عبد الملك بن مَرْوان مع عِرار بن عَمْرو بن شَأْس الأَسَدِيّ وكان أسود دَميمًا فلما وَرَد به عليه جَعَل عبدُ الملك لا يسأل عن شئ من أمر الوَقيعة الا أنبأه به عِرارٌ فى أصح لفظ وأَشْبَع قول وأَجْزَل اختصار فسفاه من الخبر وملأ أُذُنَه صوابًا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حين رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادَتْ عِرارًا بالهَوان ومن يُرِدْ • لَعَمْرى عِرارًا بالهَوان فقد ظَلَمْ

وان عِرارًا ان يَكُنْ غيرَ واضِحٍ • فانى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فقال له عِرارٌ أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فانا والله عِرارٌ فزاده فى سُروره وأضعف له الجائزة وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مَرْوان فى وقت محاربته ابن الاشعث انى قد وَجَّهْتُ الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم يُرَ مِثْلُها قطُّ فلما دَخَل بها عليه رأى وجها جميلا وخَلْقًا نَبيلا فالقَى اليها قضيبًا كان فى يده فَتَكَسَّتْ لتأخذه فرأى منها جسمًا باهرًا فلما هَمَّ بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونَحَّى الجارية فأعطاه كتابا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها

سائِلْ مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيْتُ لها • حَرْبًا تُزَيِّل بين الجِيرة الخُلُطِ

وهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ له لَجَبٌ • جَمِّ الصَّواهِلِ بين الجَمِّ والفُرُطِ

وهل تَرَكْتُ نساءَ الحَيِّ ضاحِيَةً • فى ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ

وتحتها (بيت آخر على غير الرَّوِىّ من الابيات الأول وهو)

قَتَلَ المُلوكَ وصار تحتَ لِوائِه • شَجَرُ العُرَى وعَراعِرُ الأقوامِ

قال فكتب اليه عبد الملك كتابا وجعل فى طَيِّه جوابا لابن الاشعث

ما بالُ مَنْ أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَه • حفاظًا ويَنْوِى من سَفاهَتِه كَسْرى

أَظُنُّ خُطوبَ الدهرِ بينى وبينَهُم • سَتَحْمِلُهُم منى على مَرْكَبٍ وَعْرِ

وانى وإيَّاهُم كمَنْ نَبَّه القَطا • ولو لم تُنَبِّه باتَ الطَّيْرُ لا تَسْرى

أَتاهُ وحَلَّا وانْتَظَرَا جُمْ غَدًا • فما أنا بالوانى ولا الضَّرِعِ الغُمْرِ

وينشد

اليه مالا يلائمه وجعلنا هذه النسخة المنصوبة والأصول المخلدة عند ذوى الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ورفعنا بها ادغال المدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين ان شاء الله ولا قوة الا بالله العظيم

﴿فصل من صدر كتابه فى النساء﴾

انا لما ذكرنا فى كتابنا هذا الحب الذى هو أصل الهوى والهوى الذى يتفرغ منه العشق والعشق الذى يهيم له الانسان على وجهه أو يموت كمدا على فراشه وأول ذلك ادخال الضيم على مروءته واستشعار الذلة لمن أطاف بعشيقته

ويُنشَدُ بالغانى ثم بات يُقلِّبُ كفَّ الجارية ويقول ما أفدتُ فائدةً أحبَّ الىَّ منكِ فتقول فما بالكَ يا أمير المؤمنين وما يمنعكَ فقال يمنعنى ما قاله الأخطلُ لانى ان خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العربِ

قومٌ اذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم • دونَ النساءِ ولو باتتْ باطهارِ

فما اليكِ سبيلٌ أو يحكمَ اللهُ بينى وبين عدوِّ الرحمن بن الأشعثِ فلم يقربها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن قوله فرأى منها جسماً بَهَرَهُ يقال بَهَرَ الليلُ اذا سدَّ الأفقَ بظلمته وبَهَرَ القمرُ اذا ملأ الارض بهائه ومن ثَمَّ قيل للقمر الباهرُ أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كَعْبٍ

والقمرِ الباهرِ السماءَ لقدْ • زُرْناهُ هلالاً بجحفلٍ لجبِ

تَسمعُ زَجْرَ الكُماةِ بينهمُ • قَدْمٌ وأُخْرٌ وأرْحبىٌ وهَبِى

من كلِّ هُدَّاءةٍ كعالية الـ ـرُّمْحِ أمونٍ وشيظَمٍ سَلِبِ

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِىُّ يصفُ كيف تُزْجَرُ الخيلُ فجمعه فى بيت واحد

وقيلَ اقْدِمى واقْدِمْ واخِّ واخِّرى • وهَاوهَلَا واضبُرْ وقادِعُها هَبِى

(قال أبو الحسن وأجِّ) ومن زَجْرِ الخيل أيضاً هَقَبْ وهَقَطْ وأنشدنى أبو عثمان المازنى

لَمَّا سَمِعْتُ زَجْرَهُم هَقَطْ • عَلِمْتُ أن فارِساً مُنْحَطْ

(قال الفراء هَقَطْ بالكسر والفتح ويروى مُخْتَطْ بدل مُنْحَطْ) وقوله بين الجَمِّ والفُرُطِ هما موضعان باعيانهما وقوله فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فجَعَلْنَ مَرَاكِبَهُنَّ حَطَباً هذا قول الأصمعى وقال غيره بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطابِ والغَبيطُ من مَرَاكِبِ النساء وكذلك الحِدْجُ قال امرؤُ القَيسِ

تقولُ وقَدْ مالَ الغَبيطُ بنا معاً • عَقَرْتَ بَعيرِى يا امْرَأَ القَيسِ فانْزِلِ

فأعْلَمَتْ أن الغَبيطَ لها والمحاملُ انما أوَّلُ مَن اتخذها الحَجَّاجُ فى ذلك يقول الراجز

أوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ المَحَامِلا • أخْزاهُ رَبِّى عاجِلاً وآجِلا

وقوله شجرِ العُرْفالعُرْ انبت بعينه ان ضُمَّ العَيْنُ والعَرْاءُ ممدود وَجْهُ الأرضِ قال الله عز وجل لِنُبْذَ بالعَرْاءِ وهو مذموم وقال الهُذَلِىُّ

رَفَعْتُ رِجْلاً ما أخافُ عِثارَها • ونَبَذْتُ بالبلدِ العَرَاءِ ثِيابِى

ولم نطنب مع ذلك فى ذكر ما يتشعب من أصل الحب من الرحمة والرقة وحب الأموال النفيسة والمراتب الرفيعة وحب الرعية للائمة وحب المصطنع لصاحب الصنيعة مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته فى العواقب احتجنا الى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصبابة والمخالفة على قوة العزيمة لنجعل ذلك القدر جنة دون من حاول الطعن على هذا الكتاب وسخف الرأى الذى دعا الى تأليفه والاشادة بذكره اذ كانت الدنيا لا تنفد من حاسد باغ ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ومن منافس

وهذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه انه يجتنبها في طُهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الاقراء الطُهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الاطهار ويحتجون بقول الاعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول لو جئتني لاعطيتك ولو كان زيد هنا لضربته ثم تتسع فتصير في معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمني ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو في معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول ان جئتني أعطيتك وان قعدت عني زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لما أحدثته فيه ان وكذا متى أتيتني أتيتك ولو تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني ولو ركبت الى أمس لالفيتني فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها لا صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الاسماء ويقع الخبر محذوفا لانه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغني عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى في هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها في هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهي لولا التي تقع في معنى هلا التي للتحضيض ومن ذلك قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أي هلا وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم فهذه لا يليها الا الفعل لانها للامر والتحضيض مظهرا أو مضمرا كما قال (نسب لجرير وقيل للاشهب بن رميلة)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

أي هلا تعدون الكمي المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرت لك ولا بد في جوابها من

مقصر كما أنها لا تنفك من ذي سلامة متسلم ومن عالم متعلم ومن عظيم الحظر حسن المحضر شديد المحاماة على حقوق الاباء قليل التسرع الى اعراض العلماء وانما العشق اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقا وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جودا والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصادا والجبن اسم لما قصر عن المقدار الذي يسمى شجاعة وهذا القول ظاهر على ألسنة الاباء مستعمل في بيان الحكماء وقد قال عروة بن الزبير والله اني لأعشق

اللام أو معنى اللام تقول لولا زيدٌ فعلت والمعنى لفعلتُ وزعم سيبويه أن زيدا من حديث لولا واللام والفعل حديثٌ معلقٌ بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولو بغير لا يليها الا الفعل مضمرا أو مظهرا لانها تشارك حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتنى لاعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذى رفع أنتم ولما أُضمر ظهر بعده ما يُفسِّرُه ومثل ذلك لو ذاتُ سوارٍ لطمتني أراد لو لطمتني ذاتُ سوارٍ ومثله (قول المُتلمِّس)

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلتُ لهم فوقَ العرانين ميسما

وكذلك قول جرير

لو غيرُكم علقَ الزبيرُ بحبلِه ... أدّى الجوارَ الى بني العوّامِ

فنصب بفعل مضمر يُفسِّرُه ما بعده لانه للفعل وهو فى التمثيل لو علقَ الزبيرُ غيرَكم وكذلك كلُّ شئ للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهى وحروف الفعل نحو إذْ وسَوْفَ (كذا وقع هنا اذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قَدْ وهو الصحيح) وهذا مشروح فى الكتاب المُقتضَب على حقيقة الشرح وأما قوله وعَراعِرُ الأقوام فمعناه رُؤُس الأقوام الواحد عُرْعُرةٌ وعُرْعُرَةٌ كلِّ شئ أعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المُهلَّب الى الحجّاج بن يوسف وان العدوَّ نزل بعُرْعُرة الجبل ونزلنا بالحَضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يَعْمَر فكتب الى يزيد أن يُفضِحَه اليه وزعم التوّزيّ قال قال الحجاج ليحيى بن يَعْمَر يوما أتسمعني أَلْحَنُ قال الامير أفصحُ من ذلك قال فاعاد عليه القول وأقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أنّ مكان انّ فقال له ارحل عنى ولا تُجاورنى قال أبو العباس هذا على أن يزيد لم تُؤخذ عليه زَلّةٌ فى لفظ الا واحدة فانه قال على المِنبَر وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْد بن الخَطّاب فقال هذه الضَّبُعةُ العَرْجاءُ فاعتُدَّتْ عليه لحنًا لان الانثى انما يقال لها الضَّبُعُ ويقال للذكر الضِّبْعانُ فاذا جُمِعَ قيل ضِبْعانٌ وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفى التذكير زيادة الالف والنون فثُنِّيَ على الأصل وأصل التأنيث أن يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يَخْرُجُ مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث قُلْتَ للذكر والانثى فى التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت ضَبُعان وتقول له ابنان اذا أردتَ له ابنٌ وابنةٌ ولا تقول فى الدار رجلان اذا أردتَ رجلاً وامرأةً

الشرف كما تعشق المرأة الحسناء وذكر بعض الناس رجلا كان مدقعا محروما ومنحوس الحظ ممنوعا فقال ما رأيت أحدا عشق الرزق عشقه ولا أبغضه الرزق بغضه فذكر الأول عشق الشرف وليس الشرف بامرأة وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسم جامع لجميع الحاجات وقد يستعمل الناس الكناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون ان يظهروا المعنى بألين اللفظ اما تنوها واما تفصلا كما سموا المعزول عن ولايته مصروفا والمهزوم عن عدوه منهزاما نعم حتى سمى بعضهم البخيل مقتصدا ومصلحا وسمى عامل

الاعلى قول من قال للانثى رَجُلَةٌ فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا • غَيْرَ جيرانى بنى جَبَلَه
خَرَّقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ • لم يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَه

ولا يقال للناقة والجَمَل جَمَلان ولا يقال للبقرة والثَّوْر ثَوْران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا فى قول من قال للانثى ثَوْرَةٌ قال الشاعر

جَزَى اللهُ فيها الأعْوَرَيْنِ مَلامَةً • وعَبْدَةَ نَفْرَ الثَّوْرَةِ المُتَضاجِمِ

(قال أبو الحسن المتضاجم المُتَّسِعُ)

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال الراعى

ومُرْسِلٍ ورَسولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ • وحاجةٍ غَيْرِ مُزْجاةٍ من الحاجِ
طاوَعْتُهُ بَعْدَما طالَ النَّجِيُّ بنا • وظَنَّ أنى عليه غيرُ مُنْعاجِ
ما زال يَفْتَحُ أبوابًا ويُغْلِقُها • دونى وأَفْتَحُ بابًا بَعْدَ إرْتاجِ
حَتَّى أضاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ • حُمْرُ الأنامِلِ عِينٌ طَرْفُها ساجِى
بانُعْمَها لَبَلَةً حتى تَخَوَّنَها • داعٍ دعانى فُروعُ الصُّبْحِ شَمَّاجِ
لَمَّا دَعا الدَّعْوَةَ الأُولى فَاسْمَعَنى • أخَذْتُ بُرْدَىَّ واسْتَمْرَرْتُ أدْراجِى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المُزْجاةُ اليسيرةُ الخفيفة المَحْمِل قال الله عز وجل وجئنا ببضاعة مُزْجاة والحاج جمع حاجة وتقديره فَعَلَةٌ وفَعَلٌ كما تقول هامَةٌ وهامٌ وساعةٌ وساعٌ قال القُطامِىُّ

وكُنَّا كالحَرِيقِ أصابَ غابًا • فَيَخْبو ساعةً ويَشُبُّ ساعا

فاذا أردتَ أدْنَى العَدَدِ قلتَ ساعاتٌ فاما قولهم فى جمع حاجة حَوائِجُ فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المُوَلَّدِينَ ولا قياس له ويقال فى قلبى منك حَوْجاءُ أى حاجةٌ ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يافتى وأصله حَواجِىٌّ يافتى ولكن مثل هذا يُخَفَّفُ كما تقول فى صحراء صَحارٍ يافتى وأصله صَحارِىٌّ وقوله طاوعته بعدما طال النَّجِيُّ بنا يريد المناجاة فأخرجه على فَعِيلٍ ونظيره من المصادر الصَّهِيلُ والنَّهِيقُ والشَّحِيجُ ويقال شَبَّ الفرسُ شَبِيبًا ولذلك كان النَّجِيُّ يقع على

الخراج المتعدى بحق السلطان مستعصيا ولما رأينا الحب من أكبر أسباب جماع الخير ورأينا البغض من أكبر أسباب الشر اجتنبنا ان نذكر أبواب السبب الجالب للخير ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب للشر حتى نذكر أصولهما وعللهما الداعية اليهما والموجبة لكونهما فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبته ووجدنا شقوة الطالب المكدى وغمه فى وزن سعادة الطالب المنجح وسروره ووجدنا العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف فان

الواحد والجماعة نعتا كما تقول امرأة عدل ورجل عدل وقوم عدل لانه مصدر قال الله عز وجل وقربناه نجيا أي مناجيا وقال للجماعة فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي متناجين وقوله منعاج أي منعطف تقول عجت عليه أي عرجت عليه وعجت اليه أعيج أي عوجت عليه وقوله بعد ارتاج أي بعد اغلاق يقال ارتجت الباب ارتاجا أي أغلقته اغلاقا ويقال لغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام ارتج عليه وقوله أضاء سراج دونه بقر يعني نساء والعرب تكني عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عين انما هو جمع عينا وهي الواسعة العين وتقديره فعل ولكن كسرت العين لتصح الياء ونحو ذلك بيضاء وبيض وتقديره حمراء وحمر ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سودا وسود وعورا وعور وقوله طرفها ساج ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفت طرفا قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لان السمع في الأصل مصدر قال جرير

ان العيون التي في طرفها مرض • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج أي ساكن قال الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين • يقتلن من خلل الستور سواجي

وقال الراجز

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخونها أي تنقصها يقال تخونني السفر أي تنقصني والداعي المؤذن وقوله شحاج انما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج ينعت حمارا

كأن في فيه اذا ما سجا • عودا دوين اللهوات موجا

وقال جرير

ان الغراب بما كرهت لمولع • بنوى الاحبة دائم التشحاج

وقوله واسمرت أدراجي أي فرجعت من حيث جئت تقول العرب رجع فلان أدراجه ورجع في حافرته ورجع عوده على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عوده على بدئه أما الرفع فعلى قولك رجع وعوده على بدئه أي وهذه حاله والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا

موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أبهج فان زعم زاعم ان موقع لذة الظفر بالعدو المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته قلنا انا قد رأينا الكرام والحلماء وأهل السودد والعظماء ربما جادوا بفضلهم من لذة شفاء الغيظ ويعدون ذلك زيادة في نبل النفس وبعد الهمة والقدر ويجودون بالنفيس من الصامت والناطق وبالثمين من العروض وربما خرج من جميع ماله وآثر طيب الذكر على الغنى واليسر ولم نر نفس العاشق تسخو بمعشوقه ويجود بشقيقة

كقولك رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا فى قول سيبويه لان معناه رجع ناقصا مجيئه ووضع هذا فى موضعه كما تقول كَلَّمْتُهُ فاهُ الى فىَّ أى مُشافهةً وبايعته يدًا بيد أى نقدًا وقد يجوز أن تقول فُوهُ الى فىَّ أى وهذه حاله ومن نصب فمعناه فى هذه الحال فاما بايعته يدًا بيد فلا يكون فيه الا النصب لانك لَسْتَ تريد بايعته ويدُ بيدٍ كما كنتَ تريد فى الاول وانما تريد النقد ولا تُبالى أقريبًا كان أم بعيدًا وقال اعرابى

شَكَوْتُ فقالت كُلُّ هذا تَبَرُّمًا ۞ بحُبِّي أراحَ اللهُ قلبَكِ من حُبِّي
فلما كَتَمْتُ الحُبَّ قالت لَشَدَّما ۞ صَبَرْتَ وما هذا بفعلِ شَجِي القلبِ
وأدنو فتُقْصيني فأَبْعُدُ طالبًا ۞ رِضاها فتَعْتَدُّ التباعُدَ من ذَنْبي
فَشَكْوايَ تُؤْذيها وصَبْري يَسوءُها ۞ وتَجْزَعُ من بُعْدي وتَنْفِرُ من قُرْبي
فيا قومِ هَلْ من حيلةٍ تَعْرِفونها ۞ أشيروا بها واسْتَوْجِبوا الشُّكْرَ من ربي

قوله كُلُّ هذا تَبَرُّمًا مردود على كلامه كأنها تقول له أَشَكَوْتَنى كُلَّ هذا تَبَرُّمًا ولو رفع كُلٌّ لكان جيدًا يكون كُلُّ هذا مبتدأ وتَبَرُّمٌ خبره وشجى مخفف الياء ومن شدّدها فقد أخطأ والمَثَلُ وَيْلٌ للشَّجِي من الخَلِي الياء فى الشَّجِي مخففة وفى الخَلِي مثقلة وقياسه انك اذا قلت فَعِلَ يَفْعَلُ فَعَلًا فالاسم منه على فَعِل نحو فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًا فهو فَرِقٌ وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا فهو بَطِرٌ فعلى هذا شَجِيَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى كما تقول هَوِيَ يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يا فتى وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضع تُعرفونها خفض لانه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جوابًا لانجزم تقول ائتنى بدابة أَرْكَبُها أى بدابةٍ مَرْكوبةٍ فاذا أردتَ معنى فاندان أتيتنى بدابة رَكِبْتُها قلت أَرْكَبُها لانه جواب الامر كما أن الاول جواب الاستفهام وفى القرآن خُذْ مِنْ أموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بها أى مُطَهِّرةً لهم وكذلك أَنْزِلْ علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيدًا أى كائنةً لنا عيدًا وفى الجواب فَذَرْهُم يَخوضوا ويَلْعَبوا أى ان تَرَكوا خاضوا ولَعِبوا وأما قوله عز وجل فَذَرْهُم فى خَوْضِهِم يَلْعَبون فانما هو فَذَرْهُم فى هذه الحال لانهم كانوا يَلْعَبون وكذلك ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ انما هو ولا تَمْنُنْ مُسْتَكْثِرًا فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم وقال اعرابى أَنْشَدَنيه أبو العالية

نفسه لوالد ولا لولد بار ولا لذى نعمة سابغة يخاف سلبها وصرف احسانه عنه بسببها ولم تزل الرجال يهبون للرجال الا ما لا بال به فى جنب ما يهبون للنساء حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والنتف والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مما لم يتكلفوه الا لهن ولم يتقدموا فيه الا من أجلهن وحتى كأن الخيطان الرفيعة والأبواب الوثيقة والستور الكثيفة والخصيان والطوّورة والحشوة والحواضن لم يتخذن الا لصونهن لهن والاحتفاظ بما يجب من

ألا تسألُ المكّيَّ ذا العلمِ ما الذى * يحلُّ من التقبيلِ فى رمضانِ

فقال لى المكّىُّ أمّا لزوجةٍ * فسبعٌ وأما خُلَّةٌ فثمانى

قوله خُلَّة يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخنساء * فانما هى اقبالٌ وادبارُ *

ويجوز أن تكون نعتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذات اقبال وادبار فحذفت

المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال عز وجل ولكنَّ البرَّ من آمنَ بالله فجائز أن يكون برُّ

من آمنَ بالله وجائز أن يكون لكنَّ ذا البرّ من آمنَ بالله والمعنى يؤول الى شئ واحد وفى هذا الشعر

عيب وهو الذى يسميه النحويون العطفَ على عاملَيْن وذلك أنه عطف خُلَّة على اللام الخافضة

لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا أن يقول مرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرٌ وخالدٍ ففيه

هذا القُبحُ وقد قرأ بعضُ القُرّاء وليس بجائز عندنا واختلاف اللَّيل والنهار وما أنزلَ الله من السماء

من رزقٍ فأحيا به الأرضَ بعد موتها وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ وتصريف الرياح آياتٌ فجعلَ آياتٍ

فى موضع نصب وخفضها التاء الجميع فحملها على انَّ وعطفها بالواو وعطف اختلافا على فى ولا

أرى ذا فى القرآن جائزا لانه ليس بموضع ضرورة وانشد سيبويه لعَدِىّ بن زيدٍ العبادىّ (الصحيح

انه لابى دُوَاد الايادىّ)

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً * ونارٍ توقَّدُ بالليلِ نارا

فعطفَ على امرئٍ وعلى المنصوب الاول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر أنّ أمّا ليست من

العطف فى شئ وقد أجرى خُلَّة بعدها مُجراها بعد حروف العطف حملا على المعنى فكأنه قال لزوجة

كذا وخُلَّة كذا) وقوله أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهى التى تحتاج الى جزاء ومعناها اذا قُلتَ أمّا

زيدٌ فمنطلقٌ مهما يكُن من شئ فزيد منطلقٌ وكذلك فأمّا اليتيم فلا تقهر انما هى مهما يكُن من

شئ فلا تقهر اليتيم وتُكسَر اذا كانت فى معنى أوو يلزمها التكرير تقول ضربتُ امّا زيدا وامّا

عمرا فعناه ضربت زيدا أو عمرا وكذلك امّا شاكرا وامّا كفورا وكذلك امّا العذابَ وامّا الساعة

وامّا أن تُعذِّبَ وامّا أن تتخذَ فيهم حُسنا وانما كرَّرتها لانك اذا قلت ضربت زيدا أو عمرا أو قلت

اضرب زيدا أو عمرا فقد ابتدأتَ بذكر الاول وليس عند السامع انك تُريدُ غير الاول ثم جئتَ

بالشكّ أو بالتخيير واذا قلتَ ضربتُ امّا زيدا وامّا عمرا واضربْ امّا زيدا وامّا عمرا فقد وضعتَ

كلَّ شئ بالابتداء على التخيير أو على الشكّ واذا قلت ضربتُ امّا زيدا وامّا عمرا فالاولى وقعتْ

حفظ النعمة فيهن

(فصل منه) وباب آخر وهو أنا لم نجد أحدا من الناس عشق والديه ولا ولده ولا من عشق مراكبه ومنزله كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فقد ذكر تبارك وتعالى جملة أصناف ما خولهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ولم نر الناس وجدوا بشئ من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ولقد قدم ذكرهن فى هذه

لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لانك تعدل بين الاول والثانى فانما تكسر فى هذا الموضع وزعم سيبويه انها ان ضمت اليها ما فان اضطر شاعر فحذف ما جازله ذلك لانه الاصل وأنشد فى مصداق ذلك (هو دريد بن الصمة الجشمى)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها * فان جزعا وان اجمال صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تقع اما مكسورة ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة فى ان التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو أين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك فتقول ان تأتنى آتك واما تأتنى آتك تدغم النون فى الميم لاجتماعهما فى الغنة وسنذكر الادغام فى موضع نفرده به ان شاء الله كما قال امرؤ القيس

فاما تريني لا أغمض ساعة * من الليل الا أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه * وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وفى القرآن فاما ترين من البشر أحدا وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأنت فى زيادة ما بالخيار فى جميع حروف الجزاء الا فى حرفين فان ما لا بد منها لعلة نذكرها اذا أفردنا بابا للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الازمان

والحرف الثانى اذما كما قال العباس بن مرداس

اذما أتيت على الرسول فقل له * حقا عليك اذا اطمأن المجلس

لا يكون الجزاء فى حيث واذا الا بما وأنشد نى أبو العالية

سل المفتى المكى هل فى تزاور * ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح

(وأنشد لبعض العرب المحدثين

تلاصقنا وليس بنا فسوق * ولم يرد الحرام بنا الفسوق

ولكن النباعد طال حتى * توقد فى الضلوع له حريق

فلما ان أتيح لنا التلاقى * تعانقنا كما اعتنق الصديق

الآية على قدر تقدمهن فى قلوبهم فان قال قائل فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغنى المصيب فينقله ذلك الى طبع الصبيان والى أفعال المجانين فيسقى جيبه وينقض حبوته ويفدى غيره ويرقص كما يرقص الحدث الغرير والشاب السفيه ولم نجد أحدا فعل ذلك عند رؤية معشوقه قلنا اما واحدة فانه لم يكن ليدع التشاغل بشمها ورشفها وباحتضانها وتقبيل قدميها والمواضع التى وطئت عليه ويتشاغل بالرقص المباين لها والصراخ الشاغل

وهل حرجا تراه أو حراما * مشوق ضمه كلف مشوق

وأنشدني غيره

وما هجرتك النفس يا مي أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

أنها في موضع نصب وكان التقدير لانها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أن تحب الخير فمعناه لانك وكذلك أتيتك ان تأمر لي بشيء أي لان وتقديره في النصب أن أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يا فتى أي قيامك وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغني أنك منطلق أي انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فمعناه اراد نك الخير أي مجيئي لانك تريد الخير ارادة يا فتى كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن ذم اللئيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أي أدخره ادخارا وأضافه اليه كما تقول ادخارا له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعروة بن أذينة)

ما زلت أبغي الحي أتبع ظلهم * حتى دفعت الى ربيبة هودج

قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي * لأنبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر

وتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرج يحرج اذا دخل في مضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ما بينه قال الله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا وقرئ حرجا فمن قال حرجا أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال حرجا جعله مصدرا مثل قولك ضيق ضيقا وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجاري على الحجارة وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت

عنها فاما حل الحبوة والصراخ عند رؤية الحبيبة فان هذا مما لا يحتاج الى ذكره لوجوده وكثرة استعمالهم له فكيف وهو ان خلا بمعشوقة لا يظن ان لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال على أن ذلك الطرب مجتاز غير لابث وظاعن غير مقيم ولذة المتعاشقين راكدة أبدا مقيمة غير ظاعنة وعلى ان الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى وكذلك الصوت الناعم

الأصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبي حية (النميري وهو من أشعر الناس ومن شعره)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ٭ ببطن منى ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به ٭ من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ٭ مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك ٭ صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل في الخفافة ومما يستظرف في هذا الباب قول عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت ٭ فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفر جواب أرض تقاذفت ٭ به فلوات فهو أشعث أغبر

قليلا على ظهر المطية ظله ٭ سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيس بن معاذ مجنون بني عامر الذي تقدم ذكره لابن الأبرش)

فأصبحت في أقصى البيوت يعدنني ٭ بقية ما أبقين نصلا يمانيا

(بقية بدل من الياء في يعدنني بدل الاشتمال

تجمعن من شتى ثلاث وأربع ٭ وواحدة حتى كملن ثمانيا)

يعدن مريضا هن هيجن ما به ٭ ألا انما بعض العوائد دائيا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها ان شاء الله تعالى ومن الافراط فيه قوله

فلو أن ما أبقيت مني معلق ٭ بعود ثمام ما تأود عودها

(الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة) وهذا متجاوز كقول القائل

٭ ويمنعها من أن تطير زمامها ٭ وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وسافه برصف قوي واختصار قريب

قال قيس بن معاذ

وأخرج من بين الجلوس لعلني ٭ أحدث عند النفس في السر خاليا

واني لأستغشي وما بي نعسة ٭ لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة ٭ رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى

الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة وكم بين ان يفدى اذا شاع فيد الطرب مملوكا وبين ان يفدى أمتد وكم بين ان يسمع الغناء من فم تشتهى ان تقبله وبين فم تشتهى ان تصرف وجهك عنه وعلى ان الرجال دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا رجالا ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح وبعد فايما أحسن وأملح وأشهى وأغنج ان يغنيك فحل ملتف اللحية كث العارضين أو شيخ منخلع الاسنان مغضن الوجه ثم يغنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير رأيت زهيرا تحت كلكل خالد

أُحِبُّ المَكانَ القَفْرَ من أجلِ أنَّني ✻ بهِ أتغنَّى باسمها غيرَ مُعجَمِ

وأنشدني ابن عائشة لبعض القُرشيِّين

وقَفُوا ثلاثَ منًى بمَنزِلِ غبطةٍ ✻ وهُمُ على غَرَضٍ هُنالكَ ماهُمُ

مُتجاورينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ ✻ لَوْ قد أجَدَّ تفرُّقٌ لم يَندَموا

(يعني طواف الوداع وقوله ثلاث منى أراد أيام النفر وأخرجه على الليالي وقوله لم يندموا لانهم يرجعون الى أوطانهم)

ولهُنَّ بالبيتِ العتيقِ لُبانةٌ ✻ والرُّكنُ يعرفهنَّ لو يتكلَّمُ

لو كانَ حيًّا قبلهُنَّ طعائنًا ✻ حيَّا الحَطيمُ وجوهَهُنَّ وزمزمُ

وكأنَّهنَّ وقد صَدَرنَ لواغبًا ✻ بيضٌ بأفنيةِ المَقامِ مُرَكَّمُ

اللاغبُ المُعيي قال الله عز وجل وما مسَّنا من لُغوبٍ والمُرَكَّمُ الذي بعضه على بعض والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرة قال الله عز وجل كأنَّهنَّ بيضٌ مَكنونٌ والمكنون المصون والمَكنُّ المَستور يقال أكننتُ السرَّ قال الله عز وجل أو أكننتُم في أنفسكم وقال أبو ذُهبل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسَّانَ (بن ثابت الانصاري)

وهي زهراءُ مثلُ لُؤلُؤةِ الغَوّاصِ ميزَتْ من جوهرٍ مكنونِ

وقال ابن الرُّقيَّات ✻ واضحٌ لونُها كبيضةِ أُدحيٍّ لها في النساءِ خُلقٌ عميمُ

العميم التام والأُدحيُّ موضع بيض النعامة خاصةً وشعرُ عبد الرحمن هذا شعرٌ مأثور مشهور عنه وروى بعض الرواة أن أبا ذُهبل الجُمحيَّ كان تقيًّا وكان جميلًا فقفل من الغزو ذاتَ مرَّةٍ فرَبِدَ مشقَ فدعتهُ امرأةٌ الى أن يقرأ لها كتابًا وقالت ان صاحبتَهُ في هذا القصر وهي تُحبُّ أن تسمعَ ما فيه فلما دخلتْ به برَزَتْ له امرأةٌ جميلةٌ وقالت له انما احتلتُ لك بالكتاب حتى أدخلتُكَ فقال لها أما الحرامُ فلا سبيلَ اليه قالت فلستَ تُرادُ حرامًا فتزوَّجتْهُ وأقام عندها دهرًا حتى نُعِيَ بالمدينة ففي ذلك يقول وقد استأذنها ليلمَّ بأهلِهِ ثم يعودَ فجاء وقد اقتُسِمَ ميراثُهُ فلما همَّ بالعود اليها نُعِيَتْ له فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذي كأنه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت مُعاوية (بن أبي سُفيان)

فاقبلتْ أسعى كالعجول أبادر
أم تغنيدٌ جارية كأنها
طاقة نرجس أو كأنها
ياسمينة أو كأنها خرطت
من ياقوتة أو من فضة
مجلوة بشعر عكاشة بن
محصن
من كف جارية كان بنانها
من فضة قد طوقت عنابا
وكان عناها اذا انطقت به
القت على يدها الشمال
حبابا

(فصل منه) فاما الغناء المطرب في الشعر الغزل فانما ذلك من حقوق النساء وانما ينبغي ان تغنى باشعار الغزل والتشبيب والعشق

صاح حيّا الاله أهلا وداراً * عند أصل القناة من جيرون

عن يساري اذا دخلت من الباب * وان كنت خارجا فيميني

فبتلك ارتهنت بالشأم حتى * ظن أهلي مرجّيات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها * في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

تجعل المسك واليلنجوج والند صلاء لها على الكانون

قبة من مراجل ضربتها * عند برد الشتاء في قيطون

المسنون المصبوب على استواء والمراجل ثياب من ثياب اليمن قال الحجّاج

* بشية كشية المرجّل * والقيطون البيت في جوف بيت وقال آخر

وأبصرت سعدى بين ثوبي مراجل * وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان في ابنته قال وما الذي

قال قال قال وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق فقال يزيد وقال واذا ما نسبتها لم تجدها * في سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

قال معاوية كذب

(باب)

قال أبو العباس حدثني مسعود بن بشير قال حدثني محمد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلّة وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمّي وكان أبوه يرحمني (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) وأنشدني مسعود قال أنشدني طاهر بن علي بن سليمان قال أنشدني منصور بن المهدي لرجل من بني ضبّة بن أدّ يقول لبني تميم بن مرّ بن أدّ

والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الاشعار وبهن شبب الرجال ومن أجلهن تكلفوا القول في التشبيب وبعد فكل شيء وطبقته وشكله ولفقه حتى تخرج الأمور موزونة معدلة ومتساوية ومخاصة ولو أن رجلا من أدمث الناس وأشدهم تلخيصا لكلامه ومحاسنه لنفسه ثم جلس مع امرأة لاتزن بمنطق ولا تعرف بحسن حديث ثم كان يعشقها ما كان الناتج بينهما من الاحاديث والمتلاقح بينهما من المعاني والألفاظ الا ماكان يجري بين غفل بن حنظلة وبين بشار بن الحمرة وانما هذا على قدر تمكن

أبنى تميم انى أنا عمكم ٭ لا تحرمن نصيحة الاعمام

انى أرى سبب الفناء وانما ٭ سبب الفناء قطيعة الارحام

فتدارکوا بأبى وأمى أنتم ٭ أرحامكم برواجح الاحلام

(كذا أنشد أرحامكم ويروى أحسابكم) ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فاما السرور فلما قدر له من الشهادة وحيز له من الثواب واما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ماغوث حجا كمية آل أبى العاصى انما غوث والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان فى آل الزبير منه خلفا قوله حجا يقال حجج بطنه اذا انتفخ وكذلك حبط بطنه والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتى على القلب وأنشد أبو زيد

ولا فرح بخير ان أتاه ٭ ولا جزع من الحدثان لاعى

قال وحدثنى مسعود بن بشر فى اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه ياعجلان انى وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادى اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فبشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه قال وحدثنى مسعود قال قال زياد يعجبنى من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا يمل فيه واذا أتى نادى قوم علم أين ينبغى لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره وكتب الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والانوف الحمية فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها وأكثر الناس شكية عامل فوقع اليه فى قصتهم ياهذا قد كثرت شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميرى ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون وقال مويس بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال

الغزل فى الرجل

(فصل منه) والمرأة أيضا أرفع حالا من الرجل فى أمور منها انها التى تخطب وتراد وتعشق وتطلب وهى التى تفدى وتحمى قال عنبسة بن سعيد للحجاج بن يوسف أيفدى الأمير أهله قال والله ان تعدونى الا شيطانا والله لربما رأيتنى أقبل رجل احداهن

(فصل منه) وانما يملك المولى من عبده بدنه فاما قلبه فليس له عليه سلطان والسلطان نفسه وان ملك رقاب الأمة فالناس يختلفون فى جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ومنهم من يطيع بالرهبة

جعفر بن يحيى لكتّابه ان قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا ان تضمنوا أربعا رد السلام وغض الأبصار وارشاد الضال وعون الضعيف وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليحتر الرجل غلا لليده وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت ما زين بشئ كأدب بارع تحته أب ظاهر وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة أيضا اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هي يا أمير المؤمنين قال الاستغفار وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك وقال ابن أحمد يعني الخليل اجعل ما في كتبك رأس مال وما في صدرك للنفقة وقيل لنصر بن سيار ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويا ما ضبط أعمال العراق وهو لا يكتب وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة ومن أمثال العرب خير العلم ما حوضر به يقول ما حفظ فكان للذاكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم ترا الفيء مغنما والصدقة مغرما وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفيء مغنما والصدقة مغرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (الماحل الواشي يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر) ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال دفع الى الحجاج أزا ذمرد بن الهربذ وأمرني ان أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لا أعطى على القسر شيأ فاستأدني وارفق بي قال ففعلت فأداني الى في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدي ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق

ومنهم من يطيع بالمحبة ومنهم من يطيع بالديانة وهذه الأصناف وان كان أفضلها طاعة الديانة فان تلك المحبة مالم يمازجها هوى لم يقو على صاحبها قوة العشق وفي الأثر المستفيض والمثل السائر ان الهوى يعمى ويصم فالعشق يقتل

﴿فصل منه﴾ ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء ان الرجل يستحلف بالله الذي لا شئ أعظم منه وبالمشي الى بيت الله وبصدقة ماله وعتق رقيقه فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه فان استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه وطار الغضب في دماغه

بديه ورجليه ولم يُعطِهم شيأ قال محمد بن المنتشر فانى لأمرُّ يوما فى السوق اذا صائح يُنبى يا محمد فالتفتُّ فاذا به مُعرَّضا على حمار مَدْفوق اليدين والرجلين فخفتُ الحجاج ان أتيته وتذمَّمتُ منه فلتُ اليه فقال لى اندُ وليتَ منى ما ولِىَ هؤلاء فأحسنتَ وانهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيأ وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهى لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا لأرزأنَّك على هذه الحال شيأ قال فأما اذا أبيتَ فاسمع أُحدِّثْكَ حدثنى بعضُ أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهُم المطر فى وقته وجعَل المالَ فى سُمحائهم واستعمَل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المالَ عند بُخلائهم وأمطرهم المطر فى غير حينه قال فانصرفت فما وضعتُ ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج فأمرنى بالمسير اليه فألفيته جالسا على فُرُشه والسيفُ مُنتضًى فى يده فقال لى ادنُ فدنوتُ شيأ ثم قال ادنُ فدنوتُ شيأ ثم صاح الثالثة ادنُ لا أبالك فقلت ما بى الى الدُّنوِّ من حاجة وفى يد الامير ما أرى فأضحكَ الله سِنَّه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلِس ما كان من حديث الخبيث فقلتُ له أيها الامير والله ما غششتُك منذ استنصحتنى ولا كذبتُك منذ استخبرتنى ولا خُنتُك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث فلما صرتُ الى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أعرَضَ عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تُسمِّه ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج اذا استُغرِبَ ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعِد المنبر تلفَّع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يُسمَع ثم يتزيَّد فى الكلام حتى يُخرِج يده من مطرفه ويزجُر الزجرة فيفزع بها أقصى مَن فى المسجد وكان يُطعِم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريدٌ وجَنبٌ من شواء وسمكةٌ طريةٌ ويُطافُ به فى محفَّة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن ويروى أن ليلى الأخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا وردَ الحجّاجُ أرضا مريضةً ٭ تتبَّعَ أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العُقام الذى بها ٭ غُلامٌ اذا هزَّ القناةَ ثناها

(العقام بالفتح والضم والضم أفصح) فقال لها لا تقولى غلام قولى هُمام ثم قال لها أىُّ نسائى أحبُّ اليك أن أُنزِلَك عندها الليلة قالت ومَن نساؤك أيها الأمير قال أمُّ الجُلاس بنت سعيد بن العاصى

ويمنع ويعصى ويغضب ويأبى وان كان المحلف سلطانا مهيبا ولم يكن يحبها ولا يستكثر منها وكانت نفسها قبيحة المنظر دقيقة الحسب خفيفة الصداق قليلة النسب وليس ذلك الا لما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات فى صدور الأزواج

(فصل منه فى ذكر الولد)

وباب آخر وهو أنا لو خيرنا رجلا بين الفقر أيام حياته وبين أن يكون ممتعا بالباه أيام حياته لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم وليس شئ مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده أبقى ذكرا ولا أجل خطرا من

الأُمَوِيَّةُ وهِنْدُ بنت أسماء بن خارجة الفَزارِيَّةُ وهند بنت المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ العَتَكِيَّةُ فقالت القَيْسِيَّةُ أحبُّ الىَّ فلما كان الغد دخلت عليه فقال يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدماً فقال قائل انما أمر لك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا اناثا اسحياء وانما كان أمر لها بشاء أولا والأدم البيض من الابل وهى أكرمها ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشَّعْبِيُّ) قال دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المُخَمَّسَة وهى أم وجدٌّ وأخت فقال لى ما قال فيها الصديق رحمه الله قلتُ أعطى الامَّ الثلث والجدَّ ما بقى لانه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلتُ أعطى الاختَ النصف والام ثلث ما بقى والجد الثلثين لانه كان لا يُفَصِّلُ أمّا على جد قال فما قال فيها زيد ابن ثابت قال قلتُ أعطى الام الثلث وجعل ما بقى بين الاخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجدّ كاحد الاخوة الى الثلاثة قال فَزَمَّ بأنفه ثم قال فما قال فيها أبو تُراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المَرْءُ يُرْغَبُ عن قوله وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِد ابن حاجب بن زُرارَةَ وحَجّارُ بن أبجر بن بُجَيْرٍ العِجْلِيُّ فاقبل فى وَسَطٍ من الطعام على محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِد فقال يا محمد أيدعوك قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ الى نُصرتى يوم رُسْتُقْباذ فتقول هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حَرَسِىُّ خُذْ بيده وجَرِّدْ سيفك فاضرب عُنُقَهُ فنظر الى حَجّارِ ابن أبجر وهو يتبسم فدخلته العَصَبِيَّةُ وكان مكانُ حَجّارٍ من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَر وأتى الخَبّازُ بِغُرْنِيَّةٍ فقال اجعلها امامى يا محمد فان اللبن يعجبه يا حَرَسِىُّ ثم سيفك وانصرف وكان محمدٌ شريفا فقوله يقول الشاعر

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغيرها ● أنَّ الجوادَ محمدُ بن عُطارِدِ

وذُكِرَتْ بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حَظٌّ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مَضَى منهم لَقِيطُ بن زُرارَةَ ولا عَقِبَ له ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارَةَ ولا عَقِبَ له ومضى محمد ابن عُمَيْرِ بن عُطارِد ولا عَقِبَ له والله لا تنسى العربُ هؤلاء الثلاثة أبدا قوله ثم سيفك يقول اغمده ويقال شِمْتُ السيفَ اذا سَلَلْتَهُ وهو من الاضداد ويقال شِمْتُ البرقَ اذا نظرتَ من أىِّ ناحية

أن يكون للرجل ابن يكون ولى بناته وساتر عورة حرمه وقاضى دينه ومحيى ذكره مخلصا فى الدعاء له بعد موته وقائما بعده فى كل ما خافه مقام نفسه فمن أقل أسفا على ما فارق ممن خلف كافيا مجربا وحائطا من وراء المال موفرا ومن وراء الحرم حاميا ولسانه فى الناس محببا وقال رجل لعبد الملك بن مروان ذكر ولد له أراك الله فى بنيك ما أرى أبالك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك ونظر شيخ وهو عند المهلب الى بنيه قد أقبلوا فقال آنس الله بكم لاحقكم فوالله ان لم تكونوا أسباط

بانى قال الاعشى فقلت للشرب فى درنى وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت وحدثنى الحسن بن رجاء قال قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد على قلت قد ترى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك على بن جبلة فقال فى كلمة له

أعطيتنى يا ولى الحق مبتدئا عطية كافأت مدحى ولم ترنى

ما شمت برقك حتى نلت ريقه كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

نبوة انكم أسباط ملحمة وليست النعمة فى الولد المحيى والخلف الكافى بصغيرة

(فصل منه) وباب آخر وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولدا من غير انثى فخص بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر

(فصل منه فى ذكر القرابات)

وأما أنا فانى أقول ان تباغض الاقرباء عارض دخيل وتحاجبهم واطد أصيل والسلامة من ذلك أعم والتناصر أظهر

(باب)

قال أبو العباس قال المفضل بن المهلب بن أبى صفرة (يصف الشجاعة والنجدة)

هل الجود الا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين قضيب

وما خير عيش بعد قتل محمد وبعد يزيد والحرون حبيب

ومن هر أطراف القنا خشية الردى فليس لمجد صالح بكسوب

وما هى الا رقدة فورة العلى لرهط دنت رواثم نيب

قوله ومن هر أطراف القنا خشية الردى يقول من كره قال عنترة بن شداد

حلفت لهم والخيل تردى بنا معا نفارقهم حتى يهروا العواليا

عوالى زرقا من رماح رديئة هريرا الكلاب يتقين الافاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل فى الموت يقال ردى يردى ردى قال الله عز وجل وما يغنى عنه ماله

اذا تَرَدَّى وهو تَفَعَّلَ من الرَّدَى فى احد التفسيرين وقيل اذا تردى فى النار أى اذا سقط فيها وقوله الحرون فان حبيب بن المُهَلَّب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه فكان يُلَقَّبُ الحرونَ وقوله وماهى الا رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك انه قال فى يوم العَقْر وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه قاتَلَ اللهُ ابنَ الأَشْعَثِ ما كان عليه لو غَمَّضَ عينيه ساعة للموت ولم يكن قَتيلَ نَفْسِه وذلك ان ابن الاشعث قام فى الليل وهو فى سطح للبول فزعموا انه رَدَّى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسِنَةِ النوم وقوله تورث العلى رهطَ فالمعنى تورث العلى رهطَ وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الاضافة تقول هذا ضاربُ زيدًا وهذا ضاربٌ لزيد لانها لا تُغَيِّرُ معنى الاضافة اذا قلت هذا ضاربُ زيد وضاربٌ له وفى القرآن وأُمِرْتُ لِأَنْ أكونَ أول المسلمين وكذلك ان كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرون ويقول النحويون فى قوله تعالى قل عَسى أن يكونَ رَدِفَ لكم بعضُ الذى تَسْتَعْجِلون انما هو رَدِفَكُمْ والنِّيبُ جمع ناب وهى المُسِنَّةُ من الابل وتقديرها فُعُلٌ ساكنةٌ وأُبْدِلَتْ من الضمة كسرةٌ لتَصِحَّ الياءُ كما قلت فى أَبْيَضَ بِيضٌ وانما هو مثل أحمر وحُمْرٍ وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ فتقدير ناب ونِيب اذا جاء على فَعَلٍ وفُعْلٍ تقدير أَسَدٍ وأُسْدٍ ووَثَنٍ ووُثُنٍ وناب تقديرها فَعَلٌ وانما انقلبت الياء ألفا فسكنت وانما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت فى موضع حركة والزوائد قد مضى تفسيرها وأنشدنى الزيادىُّ قال أنشدنى أبو زيد قال نَظَرَ شيخ من الأعراب الى امرأة تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال

عَجُوزٌ تُرَجِّى أن تكونَ فَتِيَّةً ... وقد لُحِبَ الجَنْبانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ

تَدُسُّ الى العَطَّارِ سِلْعَةَ بَيْتِها ... وهَلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

(قال أبو الحسن وزاد فى غير أبى العباس فى شعر هذا الاعرابى

وما غَرَّنِى الاخضابُ بَكَّفِها ... وكُحْلٌ بِعَيْنَيْها وأثوابُها الصُّفْرُ

وجاؤوا بها قبل المُحاقِ بليلة ... فكان مُحاقًا كلُّه ذلك الشَّهْرُ)

قال فقالت له امرأته ألم تَرَ أنَّ الناب تُحْلَبُ عُلْبَةً ... ويُتْرَكُ ثُلْبٌ لا ضِرابٌ ولا ظَهْرُ

قال ثم استغاثت بالنساء وطَلَبَ الرجالَ فاذا هم خُلُوفٌ فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ وقوله قد لُحِبَ الجنبان يقول قَلَّ لحمهما يقال بعير مَلْحوبٌ وقد لُحِبَ مثل عُرِقَ وقوله تَدُسُّ الى العطار سلعة بيتها

والتصادق فى المودة أكثر فلذلك القبيلة تنزل معا وترحل معا وتحارب من ناوأها معا الا الشاذ النادر كخروج غنى وباهلة من غطفان وكنزول عبس فى بنى عامر وما أشبه ذلك والا فان القرابة يد واحدة على من ناوأهم وسيف واحد على من عاداهم وما صلاح شأن العشائر الا بتقارب ساداتهم فى القدر وان تفاوتوا فى الرياسة والفضل كما قال فى الأثر المستفيض لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا تقاربوا هلكوا وحال العامة فى ذلك كحال الخاصة

(فصل منه) وقضية واجبة ان الناس لا يصلحهم

بيتها بريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سلعة أنشدنى عمارة بن عقيل شعرا يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويذم تميم خزيمة بن حازم النهشلى

أأترك ان قلت دراهم خالد ... زيارته انى اذاً للئيم

وقد يسلم المرء اللئيم اصطناعه ... ويعقل نقد المرء وهو كريم

(من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبى العباس فبنصب اصطناعه لاغير)

فتى واسط فى ابنى نزار محبب ... الى ابنى نزار فى الخطوب عميم

فلبث ببردية لنا كان خالد ... وكان لبكر فى القراء تميم

فيصبح فينا سابق متمهل ... أغر وفى بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلم المرء اللئيم اصطناعه أى تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذرى

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والعرب تذكر الغمم والبهيم الذى لا يخلط لونه غيره من أى لون كان وقولها ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة اناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تنتفع بفضل مئزرها ... دعدو لم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الضجور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال ينال منه الشئ القليل والضجور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها والثلب الذى قد انتهى فى السن من الابل وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للرذل

ولم أر عز الامرئ كعشيرة ... ولم أر ذلا مثل نأى عن الاصل

ولم أر من عدم أضر على امرئ ... اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر

لعمرى لقوم المرء خير بقية ... عليه وان غالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى ... جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(وان خبرتك النفس أنك قادر ... على ما حوت أيدى الرجال فكذب)

الارئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قويهم عن ضعيفهم وقليل له نظام أقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم اذ قد علم الله سبحانه وتعالى ان صلاح عامة البهائم فى أن يجعل لكل جنس منها فحلا يوردها الماء ويصدرها وتتبعه الى الكلأ كالعير فى الغابة والفحل فى الابل والهجمة وكذلك النحل العسالة والسكراكى وما يحمى الفرس الا الحصان الجور فى المروج فجعل منها رؤسا متبوعة وأذنابا تابعة ولو لم يقم الله للناس الوزعة من السلطان والحماة من الملوك وأهل

اذا كُنتَ فى قومٍ عِدًا الستَ منهم • فكُلْ ما علِفتَ من خبيثٍ وطيّبِ

العِدا الغرباء فى هذا الموضع ويقال للأعداء عِدًا والعُداةُ الأعداء لا غير وقال اعرابى من باهلة

سأُعمِلُ نصَّ العيسِ حتى يكُفَّنى • غِنَى المالِ يومًا أو غِنَى الحَدَثانِ

فلَلموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها • على المرءِ ذى العَلياءِ مَسُّ هَوانِ

متى يتكلَّمْ يُلْغَ حُكمٌ مقالُه • وان لم يقُلْ قالوا عديمُ بيانِ

كان الغِنى فى أهلِه بُورِكَ الغِنى • بغيرِ لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

ونظيرُ هذا الشعرِ ما حُدِّثْنا به فى أمرِ حارثةَ بنِ بدرٍ الغُدانىِّ فانا حُدِّثْنا عن حارثةَ بنِ بدرٍ وكان رَجُلَ بَنى تَميمٍ فى وقتِه وكان قد غَلَبَ على زيادٍ وكان الشرابُ قد غَلَبَ عليه فقيل لزيادٍ ان هذا قد غَلَبَ عليكَ وهو مُستهترٌ بالشرابِ فقال زيادٌ كيف لى باطِّراحِ رجلٍ هو يُسايِرُنى مُنذُ دخلتُ العراقَ لم يَصْحَبْ ركابى ركابُه ولا تقدَّمنى فنظرتُ الى قفاه ولا تأخَّرَ عنى فلَوَيتُ عُنُقى اليه ولا أخذَ على الشمسَ فى شتاءٍ قطُّ ولا الرَّوحَ فى صيفٍ قطُّ ولا سألتُه عن علمٍ الا ظننتُ أنه لم يُحسِنْ غيرَه فلما مات زيادٌ جفاه عبيدُ الله فقال له حارثةُ أيها الامير ما هذا الجفاءُ مع معرفتِك بالحالِ عند أبى المُغيرةِ فقال له عبيدُ الله ان أبا المغيرةِ كان قد بَرَعَ بِرُوعًا لا يلحقُه معه عيبٌ وأنا حَدَثٌ وانما أُنسَبُ الى مَن يَغلِبُ على وأنت رجلٌ تديمُ الشرابَ فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشرابِ منكَ لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى فَدَعِ النبيذَ وكُنْ أوَّلَ داخلٍ علىَّ وآخرَ خارجٍ عنى فقال له حارثةُ أنا لا أَدَعُه لمن يملكُ ضَرِّى ونَفعى أفأدَعُه للحالِ عندكَ قال فاختَرْ من عملى ما شئتَ قال تُوَلِّينى رامَ هُرمُزَ فانها أرضٌ عَذاةٌ وسُرَّقٌ فان بها شرابًا وُصِفَ لى فوَلَّاه اياها فلما خرج شيَّعَه الناسُ فقال أنسُ بنُ أبى أُنَيسٍ

أحارِ بنَ بَدرٍ قد وَلِيتَ امارةً • فكُنْ جُرَذًا فيها تخونُ وتَسرِقُ

ولا تحقِرَنَّ يا حارِ شيأً وَجَدتَّه • فحَظُّكَ من مُلكِ العراقَينِ صُرَّقُ

وباهِ تميمًا بالغِنى ان للغِنى • لِسانًا به المَرءُ الهيوبةُ يَنطِقُ

فان جميعَ الناسِ امَّا مُكَذِّبٌ • يقولُ بما يَهوَى وامَّا مُصَدِّقُ

يقولون أقوالًا ولا يَعلَمونها • ولو قيلَ هاتوا حقَّقوا لم يُحَقِّقوا

ورثَى حارثةُ بنُ بدرٍ زيادًا وكان زيادٌ مات بالكوفةِ ودُفِنَ بالثَّوِيَّةِ فقال

الحياطة عليهم من الأئمة لعادوا نثرا لا نظام لهم ومستكلبين لازاجر لهم ولكان من عزيز ومن قدر قهر ولما زال اليسر اكدا والهرج ظاهرا حتى يكون الثغاب والبوار وحتى تنطمس منهم الآثار ولكانت الانعام طعاما للسباع وكانت عاجزة عن حماية أنفسها جاهلة بكثير من مصالح شأنها فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجه الى الاستمتاع بها ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة فى صونها والدفاع عنها وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوها بالحراسة لها والذيادة عنها

صَلَّى الاله على قَبْرٍ وطَهَّرهُ * عند الثُّوَيَّةِ يَسْفي فَوْقَهُ المُورُ

زَفَّتْ اليه قُرَيْشٌ نَعْشَ سيدها * فَتَمَّ كلُّ التُّقَى والبِرِّ مَقْبُورُ

أبا المُغيرةِ والدنيا مُفَجِّعةٌ * وانَّ مَنْ غَرَّتِ الدنيا لَمَغْرورُ

قد كان عندكَ بالمعروف مَعْرِفةٌ * وكان عندكَ للنكراء تَنْكيرُ

وكنتَ تُغْشَى وتُعْطى المالَ من سَعَةٍ * ان كان بيتُكَ أضحى وهو مَهْجورُ

الناس بعدكَ قد خَفَّتْ حُلُومُهُمُ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

ونظير هذا قول مُهَلْهِلٍ يرثي أخاه كُلَيْبًا وكان كُلَيْبٌ اذا جلس لم يُرْفَعْ بحضرته صوت ولم يُسْتَبَّ بفنائه اثنان

ذَهَبَ الخيارُ من المَعاشِرِ كُلِّهِمْ * واسْتَبَّ بعدكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

وتَقاولوا في أمرِ كُلِّ عظيمةٍ * لو كُنْتَ حاضرَ أمرِهم لم يَنْبِسوا

قول حارثة الثُّوَيَّةُ فهي بناحية الكوفة ومن قال الثُّوَيَّة فهو تصغير الثَّوِيَّة وكل ياء اتَّصلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلَّةٌ طَرَفًا في التصغير فوَلِيَتْها ياء التصغير فهي محذوفة وذلك قولك في عَطاءٍ عُطَيٌّ وكان الاصل عُطَيِّيٌ كما تقول في سَحابٍ سُحَيِّبٌ ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول في تصغير أحْوَى أُحَيٌّ في قول من قال في أسْوَدَ أُسَيِّدٌ وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والاصل أيْوام وكذلك سيد والاصل سَيْوِدٌ ومن قال في تصغير أسود أُسَيْوِدٌ فهو جائز وليس كالاول قال في تصغير أحْوَى أُحَيْوٍ يا فتى فتثبت الياء لانه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع اليا آت ومن قال أُسَيْوِدٌ فانما أظهر الواو لانها كانت في التكبير متحركة ولا تقول في عَجوزٍ الا عُجَيِّزٌ لانها ساكنة وانما يجوز هذا على بُعْدٍ اذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جَدْوَلٍ وانما استجازوا اظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجَداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول في غَزْوَةٍ غُزَيَّةٌ وفي عُرْوَةٍ عُرَيَّةٌ فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهو مُسْتَقَصًى في الكتاب المقتضب وقوله يسفي فوقه المور فمعناه ان الريح تَسْفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سَقَاكَ الله الغَيْثَ ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سَقَاكَ الغيثُ يا فتى وقال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبَدَةَ

ويردفوبها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها وظالمها عن مظلومها وسفيهها عن حليمها فلولا السائس ضاع المسوس ولولا قوة الراعي لهلكت الرعية

(فصل منه) وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الامام بالامامة وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون الالفة ويصلح شأن الجماعة واذا كانت الجماعة انتهت الأعداء وانقطعت الأهواء

(فصل منه) ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو باكثر

سقالي يمان ذو حجي وعارض • تروح به جنح العشي جنوب

وقوله زفت اليه قريش نعش سيدها يقال زففت السرير وزففت العروس وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني الزيادي قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهي لغة وقوله نعش سيدها يريد موضعه من النسب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ويقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار فكان آل حرب اذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المواكب وأخليت لهم صدور المجالس الا رهط عثمان رضي الله عنه فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم أحد وفي يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش في يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور وقوله كأنما نفخت فيها الاعاصير هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا يعني الحمار الوحشي وذلك أن أجل شيء يصيده الصائد الحمار الوحشي فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ومن أمثالهم أنكحنا الفرا فسترى أي زوجنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة وجمعه في القولين جميعا فراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

يضرب كآذان الفراء فضوله • وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة ببولها يقال أوزغت به ايزاغا وأزغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فعند ذلك يقال لها خلفة وللجميع المخاض وقد مر هذا والبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهي حامل أم حائل وقال ضابئ بن الحرث البرجمي (من السجن)

ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويبخسونهن أكثر حقوقهن وان من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا ان ناسا يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلا على الضعف وبابا من الخور لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه في هذا الكتاب

وَمَنْ يَدُّ أَمْسَى بالمدينة رَحْلُهُ * فَانِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ

وما عاجلاتُ الطَّيْرِ تَدْنِي من الفَتَى * نَجاحًا ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

ورُبَّ أُمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً * وللقَلْبِ من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

ولا خَيْرَ فيمن لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ * على نائباتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

قوله فانى وقيارا بها الغريب أراد فانى لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلقٌ وعمرًا وعمرٌو فمن قال عمرا فانما رَدَّهُ على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فاما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لانك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فَرَدَدْتَهُ على الموضع ومثل هذا لَسْتُ بقائم ولا قاعدًا والباء زائدة لان المعنى لستُ قائما ولا قاعدًا ويقرأ على وجهين انَّ اللهَ بَرِيءٌ من المشركين ورسولُهُ ورسولَهُ والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر فى الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لان المضمر المرفوع انما يَحْسُنُ العطف عليه اذا أُكِّدَ نحو كما قال الله تعالى اذْهَبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا واسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجنةَ وانما قَبُحَ العطفُ عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكِنًّا فى الفعل بغير علامة أو فى الاسم الذى يَجْرِى مَجْرَى الفعل نحو ان زيدا ذَهَبَ وان زيدا ذاهِبٌ فلا علامة له أو تكون له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ سَكَنَتِ الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا يَنْفَكُّ أحدُهما من صاحبه فهما كالشئ الواحد ولكنَّ المنصوبَ يَجُوزُ العطفُ عليه ويَحْسُنُ بلا تأكيد لانه لا يُغَيِّرُ الفعلَ اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضَرَبْتُ وزيدًا فاما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانما يَحْسُنُ بغير توكيد لان لا صارت عوضا والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يَحْسُنُ فى الكلام قال عمر بن أبى ربيعة

قُلْتُ اذْ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهَادَى * كنِعاجِ المَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلا

وقال جرير ورجا الأَخْيَطِلُ من سَفاهةِ رَأْيِهِ * ما لم يَكُنْ وأَبٌ له لِيَنالا

فهذا كثير فاما النعت اذا قلتَ انَّ زيدا يقومُ العاقلَ فانتَ مخير ان شئت قلتَ العاقلَ فجعلته نعتا لزيد أو نصبته على المَدْحِ وهو باضمار أعنى وان شئتَ رفعتَ على أن تُبْدِلَهُ من المضمر فى

(فصل منه) كما نحب أن يخرج هذا الكتاب تاما ويكون للاشكال الداخلة فيه جامعا وهو القول فيما للذكور والاناث فى عامة أصناف الحيوان وما أمكن من ذلك حتى يحصل ما لكل جنس من الخصال المحمودة والمذمومة ثم يجمع بين المحاسن منها والمساوى حتى يستبين لقارئ الكتاب نقصان المفضول من رجحان الفاضل بما جاء فى ذلك من الكتاب الناطق والخبر الصادق والشاهد العدل والمثل السائر حتى يكون الكتاب عربيا اعرابيا وسنيا جماعيا وحتى يجتنب فيه

الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت ان زيدا قام فقيل من هو فقلت العاقل كما قال الله عز وجل قل هل أنبئكم بشر من ذلكم النار أي هو النار والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وعلام الغيوب وقوله وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا يقول اذا لم تعجل له طيرا سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ولا اذا أبطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفعه عنه انما له ما قدر له والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتتكره البارح وتتشاءم به والسانح ما أراك ميامره فامكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا ان ينحرف له وقد قال الشاعر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ٭ الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم ٭ مضللون ودون الغيب أقفال

وقوله ورب أمور لا تضيرك ضيرة ٭ وللقلب من مخشاتهن وجيب

فان العرب تقول ضاره يضيره ضيرة ولا ضير عليه وضره يضره ولا ضرر عليه ويقال أصابه ضر وأصابه ضر بمعنى والضر مصدر والضر اسم وقد يكون الضر من المرض والضر عاما وهذا معنى حسن وقد قال أحد المحدثين وهو اسمعيل بن القاسم أبو العتاهية

وقد يهلك الانسان من باب أمنه ٭ وينجو باذن الله من حيث يحذر

وقال الله عز وجل فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال رجل لمعاوية والله لقد بايعتك وأنا كاره فقال معاوية قد جعل الله في الكره خيرا كثيرا وقوله

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ٭ على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير أقول لها ياعز كل مصيبة ٭ اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وكان عبد الملك بن مروان يقول لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس وحكي عن بعض الصالحين ان ابنا له مات فلم ير به جزع فقيل له في ذلك فقال هذا أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية رحمه الله

العويص والطرق المتوعرة والألفاظ المستنكرة وتلزيق المتكلفين وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين حتى نظر المن لا يعلم مقادير ما استخزنها الله من المنافع وغشاها من البراهين وألزمها من الدلالة عليه وأنطقها به من الحجة له فمنع من ذلك فرط الكبوة وافراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة فلما وافق هذا الكتاب مناهذه الحال وألفى قلوبنا على هذه الاشغال اجتنبنا ان نقصد من جميع ذلك الى فرق ما بين الرجل والمرأة فلما اعتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على

يأخذه بالبيعة له فقال له انّ حولى من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ولكنى اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذرى يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتى شيأ وما أطمع لك فى معاوية فقال علىّ رضى الله عنه انما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير انّ المنافق لا يصلى حتى لا يجد من الصلاة بدّا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدّا فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبى عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلغنى ربقى فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية ألقاك بالفصل فى أول مجلس ان شاء الله تعالى ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطا فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريرا

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى ٭ لآت أتى بالترّهات البسابس

أتانى جرير والحوادث جمّة ٭ بتلك التى فيها اجتداع المعاطس

أكايده والسيف بينى وبينه ٭ ولست لأثواب الدنىّ بلابس

ان الشأم أعطت طاعة يمنية ٭ تواصفها أشياخها فى المجالس

فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة ٭ تفت عليه كل رطب ويابس

(الجبهة جماعة الخيل) وانى لأرجو خير ما نال نائل ٭ وما أنا من ملك العراق ببائس

وكتب الى علىّ رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر الى علىّ بن أبى طالب أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه ثم كتب اليه فى آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو

أبواب يكثر عددها وتبعد غايتها فرأينا والله الموفق ان نقتصر منه على ما لا يباغ بالمستمع الى السآمة وبالمألوف الى مجاوزة القدر وليس ينبغى للكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعانى الصعبة التى تستكد النفوس وتستفرغ المجهود وللصبر غاية وللاحتمال نهاية ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل على ان الكتاب اذا كثر هزله سخف كما انه اذا كثر جده ثقل ولا بد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط

أرى الشام تكره ملك العراق • وأهل العراق لهم كارهينا

وكلٌّ لصاحبه مبغضًا • يرى كلّ ما كان من ذاك دينا

اذا مارمونا رميناهم • ودنّاهم مثل مايقرضونا

فقالوا علىٌّ امامٌ لنا • فقلنا رضينا ابن هند رضينا

وقالوا نرى أن تدينوا له • فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد • وضربٌ وطعنٌ يقرّ العيونا

وأحسن الروايتين يفضّ الشؤونا وفى آخر هذا الشعر ذمٌّ لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه امسكنا عن ذكره قوله ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريته به وآسدته عليه وآسدت الكلب على الصيد وسدته ايسادًا ومن قال أشليت الكلب فى معنى أغريت فقد أخطأ انما أشليته دعوته الىّ وآسدته أغريته وقول ابن جعيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على أرى ومن قال وأهل العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقا وعمرٌو منطلقٌ الساعة خبّرت بخبر بعد خبر والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو ومنطلق تريد اذ عمرٌو ومنطلق وهذه الآية تحتمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم والمعنى والله أعلم اذ طائفةٌ فى هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ ولو أنّ ما فى الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمدّه من بعده سبعة أبحرٍ أى والبحرُ هذه حاله ومن قرأ والبحرَ فعلى أنّ وقوله ودنّاهم مثل مايقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون فى قوله عز وجل مالك يوم الدين قالوا يوم الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تُدان وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر)

واعلم وأيقن أنّ ملكك زائلٌ • واعلم بأنّ كما تدين تُدانُ

وللدين مواضع منها ماذكرنا ومنها الطاعة ودينُ الاسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان أى فى طاعته ويقال كانت مكة بلدًا لقاحًا أى لم يكونوا فى دين ملك وقال زُهيرٌ

لئن حللتُ بجوّ فى بنى أسدٍ • فى دين عمرو وحالت بيننا فدكُ

القارئ وينفى النعاس عن المستمع فمن وجد فى كتابنا هذا بعض ماذكرنا فليعلم ان قصدنا فى ذلك انما كان على جهة الاستدعاء لقلبه والاستمالة لسمعه وبصره والله تعالى نسأل التوفيق

(فصل منه فى ذكر العشق)

رجلان من الناس لا يعشقان عشق الاعراب أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه والملك الضخم الشان لان فى الرياسة الكبرى وفى جواز الأمر ونفاذ النهى وفى ملك رقاب الأمم مايشغل شطر قوى العقل عن التوغل فى الحب

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال مازال هذا دينى ودأبى وعادتى وديدنى

واجرياى قال المنقب العبدى تقول اذا درأت لها وضينى • أهذا دينه أبدا ودينى

أكل الدهر حل وارتحال • أما تبقى على ومايقينى

وقال الكميت بن زيد على ذاك اجرياى وهى ضريبتى • وان أجلبوا طرا على وأحلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعنى معاوية بن أبى سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أى أن تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجر شاك غليظ أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الأمر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهى مواصل قبائل الرأس وذلك ان للراس أربع قبائل أى قطع مشعوب بعضها الى بعض فوضع شعبها يقال الشؤون واحدها شأن وزعم الأصمعى قال يقال ان مجارى الدموع منها فلذلك يقال استهلت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر لاتحزنينى بالفراق فاننى • لاتستهل من الفراق شؤونى

ومن قال يقر العيون ففيه قولان أحدهما للاصمعى وكان يقول لايجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهداها الله وهذا قول حسن جميل والأول أغرب وأطرف فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم من على ابن أبى طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتانى منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت أنك انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعدا فأنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت انك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الى واما تميزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمرى ما الأمر فيما هناك الاسواء لانها بيعة شاملة لايستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفى فى

والاحتراق فى العشق

﴿فصل منه﴾ كثيرا ما يعترى العشاق والمحبين غير المحترقين كالرجل تكون له جارية وقد حلت من قلبه محلا وتمكنت منه تمكنا ولا يجتث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض وكثرة التأذى بالخلاف يكون منها فيوجد الفترة عنها بعض هذه الحالات التى تعرض فتظن انه قد سلا أو تظن انه فى عزاية على فقدها محتملا مبيعها ان كانت أمة أو طلاقها ان كانت زوجة فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول وذلك الأذى ان ينسى فتحمل له الدفائن

الاسلام وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من قريش فلعمرى لو استطعت
دفعته لدفعته ثم دعا النجاشى أحد بنى الحرث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشام
وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعنى قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر

فقال النجاشى يجيبه
دعايا معاوى ما لن يكونا * فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق * وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما نسد عنه قوله ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادى هو الذى يتقدم فيدل
والحادى الذى يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادى لتقدمه قال الأعشى

اذا كان هادى الفتى فى البلا * د صدر القناة أطاع الأميرا

يصف انه قد عمى فانما تهديه عصا الا تراه يقول

وهاب العشار اذا ما مشى * وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامى

انى وان كان قومى ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادى

وقال أيضا

قربن يقصرن من بزل محنية * ومن عراب بعيدات من الحادى

وقوله ولا قائد يرشده قد أبان به الأول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره
فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوى يهوى كما تقول
فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر
لان الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل فاما الهواء من الجو فممدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت
أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فعال وفعال وفعول وفعيل كما تقول فذال وأفذلة وحمار
وأحمرة فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فعل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل
وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل واتبعوا أهواءهم وقوله هذا هواء يافتى فى صفة الرجل
انما هو ذم يقول لا قلب له قال الله عز وجل وأفئدتهم هواء أى خالية وقال زهير

كان الرحل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤ هواء

وهذا من هواء الجو قال الهذلى

هواء مثل بعلك مستميت * على مافى وعائده كالحيال

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز ينشد على مافى اعائده ويقال وسادة وإسادة ووشاح

ويثمر ذلك الغرس فيتبعها
قلبه فاما ان يسترجع
الأمة من مبتاعها
باضعاف ثمنها أو يسترجع
الزوجة بعد أن نكحت
فان تصبر وأمكنه الصبر
لم يزل معذبا وان أطاع
هواه واحتمل المكروه
فهذا هو العقاب والنكس فليحذر الحازم
الفترة يجدها فى حب
حبيبه والغضبة التى
تفسيه عواقب أمره

(فصل منه) قال ابراهيم
ابن السيدى حدثنى
عبد الملك بن صالح قال
ان عيسى بن موسى قد
خلا بنفسه وهو قد
كان استكثر من النساء
حتى انقطع اذ مرت به

واشاحٌ وأما قوله فما أنتَ وعثمانُ فالرفع فيه الوجه لانه عطفَ اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مُجراه وليس ههنا فعلٌ فيُحمَلَ على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمانُ هذا تقديره في العربية ومعناه لَسْتَ منه في شيء قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجَعَلَه مفعولاً معه وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عنده ما كنتَ وفلاناً وهذا الشعر كما أصِفُ لكَ يُنشَدُ

وأنتَ امرُؤٌ من أهل نَجْدٍ وأهلُنا ● تِهامٍ وما النَجْدِيُّ والمُتَغَوِّرُ

وكذلك قوله (هو زيادٌ الأعجَم)

تُكلِّفُني سَوْيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ● وما جَرْمٌ وما ذاكَ السويقُ

فان كان الأول مضمراً متصلاً كان النصبُ لئلاّ يُحمَلَ ظاهرٌ على مضمر تقول ما لَكَ وزيداً وذلك أنه أضمَرَ الفعلَ فكأنه قال في التقدير وما لابَسَتْكَ زيداً وفي النحو تقديره مع زيد وانما صَلَحَ الاضمار لان المعنى عليه اذا قلتَ ما لَكَ وزيداً فانما نهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيدٍ وأُضمِرَتْ لان حروف الاستفهام للافعال فلو كان الفعل ظاهراً كان على غير اضمار نحو قولك ما زالتْ وعبدَ الله حتى فَعَلَ لانه ليس يريد ما زالتْ وما زال عبدُ الله ولكنه أراد ما زالتْ بعبد الله فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضُه وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه كما قال تعالى واختار موسى قَوْمَهُ سبعين رجلاً قالوا وفي معنى مع وليست بخافضة فكان ما بعدها على الموضع فعلى هذا يُنشَدُ هذا الشعرُ (هو لمسكين الدارمي)

فما لَكَ والتلدُّدَ حولَ نَجْدٍ ● وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجال

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً الاختيار النصب لان زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشيء أبداً في مثل حاله ولو قلت ما شأنُكَ وشأنُ زيدٍ لرفعتَ لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تُفَسَّرُ على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمِعوا أمرَكُم وشُرَكاءَكُم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جَمَعْتُ قومي وأجمَعْتُ أمري ويجوز أن يكون لما أدخَلَ الشركاءَ مع الأمر حَمَلَه على مثل لفظه لان المعنى يَرجِعُ الى شيء واحد فيكون كقوله (هو عبد الله بن الزِبَعْرى)

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدا ● مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحا

وقال آخر ● شَرَّابُ أَلْبانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ ● وهذا بَيِّنٌ ويروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال يا أخي لقد هَمَمْتُ اليوم أن أفتُكَ بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هَمَمْتَ به في ابن أمير المؤمنين وولي عَهْدِ المسلمين فقال ان خيلي مَرَّتْ به فعَبِثَتْ بها وأصْغَرَني فقال له خالد

جارية كأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها اجارة وكأنها قضيب فضة فتحركت نفسه وخاف ان تخذله قوته ثم طمع في القوة لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله لو عجز كيف يكون حاله فلما فكر فتر فاقبل كالمخاطب لنفسه فقال انك اتجلسيني هذا المجلس وتحمليني على هذا المركب ثم تخذليني هذا الخذلان وتغشيني مثل هذا الذل ولولا حيرة الخجل لم أستعمل ما لا يقتل وذلك انه حين رأى ان أبلغ الحيل في توهيمها ان العجز لم يكن من قبله ان

أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لساني لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال له خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فمن العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت أما قوله في العير فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشأم فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يا رسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند أم معاوية بنت عتبة

ومن أمثال العرب لست في العير يوم يحدون بالعير ولا في النفير يوم النفير

ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحفل به لا في العير ولا في النفير وقوله غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكم بن أبي العاصي بن أمية وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوي الى حبيلة وهي الكرمة وقوله رحم الله عثمان أي لرده اياه وقولنا أطرده أي جعله طريدا وطرده نحاه كما تقول حمدته أي شكرته وأحمدته أي صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى أفضى الأمر اليه روى ذلك الفقهاء

يقول لها تعرضين لي وأنت تفلة ثم لا ترجين بادئك ولا تستهدفين لسيدك ولا تعينين على نفسك حتى كانك عند عبد يشبهك أو سوقة لا يقدر الا على مثلك اما لو كنت من بنات ملوك العجم لألفاك سيدك على أجود صنعة وعلى أحسن طاعة اذ كل رجل ينبسط للمتمتع مع التغل ﴿فصل منه﴾ ولم أسمع ولم أقرأ في الأحاديث المولدة في شأن العشاق وما صنع العشق في القلوب والاكباد والاحشاء والزفرات والحنين وفي المدلية والتولية ومتى تستعر الدمعة ومتى

(باب)

قال أبو العباس قال رجلٌ من بنى أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النضر بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج وهو مالكٌ

ألا جعل الله اليمانين كلهم ... فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عريقٌ فى من عصبيةٍ ... لقلتُ وألفا من معدِّ بن عدنان

ولكن نفسى لم تطب بعشيرتى ... وطابت له نفسى بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط وحدثنى شيخ من الأزد ثقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال انها تميمية وسمع رجلٌ يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه فعوتب فقال هذه ضعيفةٌ وأبى رجل يحتال لنفسه وحدثنى المازنى عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وأمه على عنقه وهو يقول

أحمل أمى وهى الحمالة ... ترضعنى الدرة والعلالة ... ولا يجازى والد فعالة

قوله الدرة فهو اسم ما يدر من تذييها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال علّه يعلّه ويعلّه علّا والاسم العلالة وكل شئ كان على فعلت من المدغم فضارعه اذا كان متعديا الى مفعول يكون على يفعُل نحو رده يردّه وشبه يشبّه وفره يفرّه فاذا قلت فرّ يفرّ فانما ذلك لانه غير متعدّ الى مفعول ولكن تقول فررتُ الدابة أفرّها وجاء فعل يفعِل من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال علّه يعلّه ويعلّه وهرّه يهرّه ويهرّه اذا كرهه ويقال أحبه يحبه وجاء حبه يحبه ولا يكون فيه يفعُل قال الشاعر

لعمرك انّنى وطلاب مصر ... لكالمزداد مما حبّ بعدا

وقال آخر

وأقسم لو لا غمرة ما حبيبته ... وكان عياض منه أدنى ومشرق

وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتّبعونى يحببكم الله ففعل فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حببت والآخر أنه أدغم فى موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعةٌ من العرب يقولون ردّ يا فتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فبعضهم يتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول ردّيا فتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول ردِّيا فتى فيكسر لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فرّيا فتى للاتباع وللاصل فى التقاء الساكنين وفتح لان الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع

يعترى العين الجمود

(فصل منه) ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأة فى جملة القول فى الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغى لنا ان نقصر فى حقوق المرأة وليس ينبغى لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الاخوة والأخوات والبنون والبنات وانا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم

(فصل من احتجاجه للماء)

قال بعض من احتج للعلة التى من أجلها صار اكثر الاماء أحظى عند الرجال من أكبر المهيرات ان

ولانه أخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عَضِّ يافتى وعَضِّ يافتى فاذا لَقِيَتْهُ ألف ولام فالأجود الكسر من أجل مابعده وهى لام المعرفة نحو

فَغُضِّ الطَّرْفَ انَّكَ من نُمَيْرٍ ٭ (فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابًا)

ومنهم مَنْ يُجْرِيه مُجْرَى الأوّل فتقع لام المعرفة بعدا نقضاء الحركة فى الأول فيقول (هو جرير)

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلَةِ اللِّوَى ٭ والعَيْشَ بعدَ أولئكَ الأيّامِ

الرجل قبل ان يملك الامة قد تأمل كل شئ منها وعرفه ماخلا حظوة الخلوة فاقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة والحرة انما يستشار فى جمالها النساء والنساء لايبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا والرجال بالنساء أبصر وانما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة وأما الخصائص التى تقع بموافقة الرجال فانها لا تعرف ذلك وقد تحسن المرأة ان تقول كأن أنفها السيف وكان عينها عين غزال وكان عنقها ابريق فضة وكان ساقها جارة

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يَكْسِرَ فعلى ذلك وممّا جاء فى القرآن على لغة من يكسر قولُه عز وجل ومن يُشاقِّ اللهَ فان الله شديدُ العقاب وأما أهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصلى فيقولون اردُدْ واغْضُضْ ويقولون افرُرْ من زيد واعْضُضْ لما سكن الثانى ظهر التضعيف لانه لا يلتقى ساكنان وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ وقد شرحناه فى الكتاب المُقْتَضَبِ على حقيقة الشرح وقال الآخر

اذا ضَيَّقْتَ أمرًا ضاقَ جِدًّا ٭ وانْ هَوَّنْتَ ماقد عَزَّ هانا

فلا تَهْلِكْ لشئ فاتَ يأسًا ٭ فكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

سأصْبِرُ من رَفِيقِى انْ جَفانى ٭ على كلِّ الأذَى الا الهَوانا

فانَّ المرءَ يَجْزَعُ فى خَلاءٍ ٭ وانْ حَضَرَ الجماعةُ أنْ يُهانا

وقال آخر أحْسِبُهُ من لُصوص بنى سَعْد (قال أبو الحسن هو عُبَيْدُ بن أيّوبَ العَنْبَرِىُّ وأنشد هذا الشعر ثعلب)

فانِّى وتَرْكى الأنس من بعد حُبِّهم ٭ وصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ ما انْ أُزايِلُهْ

لكالصَّقْرِ جَلَّى بعدما صادَ فَتْيَةً ٭ قَدِيرًا ومَشْوِيًّا عَبِيطًا خَرادِلُهْ

أهابُوا به فازدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ ٭ عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابِلُهْ

ألَمْ تَرَنِى صاحَبْتُ صَفْراءَ نَبْعَةً ٭ لها رَبَذِىٌّ لم تُفَلَّلْ مَعابِلُهْ

وطال احْتِضانى السيفَ حتى كأنما ٭ يُلاطُ بكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمائِلُهْ

أخو فَلَواتٍ صاحَبَ الجِنَّ وانْتَحَى ٭ عن الانسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائِلُهْ

له نَسَبُ الانسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ٭ وللجِنِّ منه شَكْلُهُ وشَمائِلُهْ

قوله وصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ ما انْ أزايله ان زائدة وهى تُزادُ مُغَيِّرَةً للاعراب وتزاد توكيدا وهذا موضع

ذلك فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيدٌ أخاك وما هذا بَشَرًا فاذا أدخلت ان هذه بطل النصب بدخولها فقلت ما ان زيدٌ منطلق قال الشاعر (هو فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ المُرادِىُّ)

وما ان طِبُّنا جُبْنٌ ولكن ❁ مَنايانا ودَوْلَةُ آخرينا

فزعم سيبويه انها مَنَعَتْ ما العمل كما منعت ما ان الثقيلة أن تنصب تقول ان زيدا منطلق فاذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدا وخبره والأفعال نحو انما زيد أخوك وانما يَخْشَى اللهَ من عباده العُلَماءُ ولولا ما لم يقع الفعل بعد ان لان ان بمنزلة الفعل ولا يلى فِعْلٌ فِعْلًا لانه لا يَعْمَلُ فيه فأما كان يقوم زيدٌ وكاد تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهم ففى كان وكاد فاعلان مَكْنِيَّان وما تُزاد على ضربين فاحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كالغائها نحو فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم أى فبرحمة وكذلك مما خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقوا وكذلك مَثَلًا ما بَعوضةً وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ فَتُوجِبُ فى الشئ ما لولا هى لم يقع نحو رُبَّما يَنْطَلِقُ زيد ورُبَّما يَوَدُّ الذين كفروا ولولا ما لم تَقَعْ رُبَّ على الافعال لانها من عوامل الأسماء وكذلك جِئْتُ بعد ما قام زيد كما قال المَرَّارُ (هو المَرَّارُ الفَقْعَسِىُّ)

أَعَلاقَةٌ أُمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَما ❁ أَفْنانُ رَأْسِكِ كالثَّغامِ المُخْلِسِ

فلولا ما لم يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعدا اليه تقول جِئْتُكَ بَعْدَ زيدٍ وقوله كالصَّفْرِ جَلَّى تأويل التَّجَلِّى أن يكون يُحِسُّ شيأ فيَتَشَوَّفُ اليه فهذا معنى جَلَّى قال العجاج

❁ تَجَلِّىَ البازِى اذا البازى كَسَرْ ❁ أى نَظَرَ ويقال تَجَلَّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّيًا واجتلاها اجتلاءً أى نَظَرَ اليها وتأملها والأصل واحد وقوله قَدِيرًا هو ما يُطْبَخُ فى القِدْرِ يقال قَدِير ومَقْدور كقولك قَتِيلٌ ومَقْتولٌ وقوله عَبِيطًا خِرادِلَهُ فالعَبيط الطَّرِىُّ يقال لحم عَبِيطٌ اذا كان طَرِيًّا وكذلك دَمٌ عَبِيطٌ ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بِكْرَتَهُ اذا نَحَرَها شابَّةً من غير عِلَّةٍ وكذلك اعْتُبِطَ فلان اذا مات شابا قال أُمَيَّةُ (بن أبى الصَّلْت الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعى)

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِمًا ❁ المَوْتُ كأْسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها

وحدثنى الزِّيادِىُّ ابراهيم بن سُفْيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال تَحَدَّثَ رجل من الأعراب قال نزلت برجل من طَيِّئٍ فنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلتُ انَّ عندك من اللحم ما يُغْنِى ويَكْفِى فقال انى والله لأُطْعِمُ ضيفى الالحما عَبِيطًا قال وفَعَلَ ذلك فى

وكان شعرها العناقيد وكان أطرافها المدارى وما أشبه ذلك وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض

﴿فصل منه﴾ وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شئ تشبه به ولكنهم اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ويقول بعضهم كانها الشمس وكانها القمر والشمس وان كانت بهية فانما هى شئ واحد وفى وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب

اليوم الثالث وفى كل ذلك آكل شيأ ويأكل الطائى أكل جماعة ثم نُوِّقَ باللبن فاشرب شيأ ويشرب عامة الوطب فلما كان فى اليوم الثالث ارتقبت غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فأقبلته الفج فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف لى فى مضيق منه فألقم وتره فوق سهمه ثم نادى بى لتطب نفسا عنها قلت أرنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فانى واضع سهمى فى مغرز ذنبه فرماه فأندر ذنبه فقلت زدنى فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فأثبت سهمه فى الموضع ثم قال لى الثالثة والله فى كبدك قال فقلت شأندا بالك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيك فلم أجد لى عندك ترة تطالبنى بها وما احسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذا والله لا أفعل حتى تسمع مدحى والله ما رأيت رجلا أكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفا ولا أكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه وقوله خرادله يعنى قطعه يقال ضربه ضربا خردله وتأويله قطعه كما قال * والضرب يمضى بيننا خرادلا * وقوله أهابوا به يقول دعوه يقال أهبت به وأهاب به أى ناداه قال القرشى

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله ضوء برق ووابله أراد صده عنهم ضوء برق ووابله فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشئ على جهة التضمين ولا يضاف الشئ الى الشئ الا وهو غيره أو بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خز وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وانهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان كذا على السعة كما قال الشاعر

حتى أنخت فلوصى فى ديارهم * بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فاضاف الحافى الى النعل والتقدير حاف منها وقوله ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم وتحسن بمنابتها فما كان فى قلة الجبل منها فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشوحط وما كان فى الحضيض فهو الشريان وقوله لها ربذى يريد وترا شديد الحركة عند دفع السهم يقال رجل ربذ اليدا ذا كان يكثر التحريك يديه والعبث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان

العجيب ومن يشدان عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة وأن جيدها أحسن من جيد الظبية والأمر فيما بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم (فصل منه) ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون فى منزلة بين السمينة والممشوقة ولابد من جودة القد وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد من أن تكون كاسية العظام بين

الأصل رَبِذِيٌّ لانه رَبِذٌ ولكن ما كان من فَعِلٍ فَنُسِبَ اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءى النَّسَبِ وكسرة اللام لان ياءى النسب تكسران ما تليانه فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول فى النسب الى النَّمِرِ بن قاسط نَمَرِيٌّ والى الحَبِطاتِ حَبَطِيٌّ والى شَقِرَةَ وهو الحرث بن تميم بن مُرٍّ شَقَرِيٌّ وفى النسب الى عَمٍ عَمَوِيٌّ يافتى وقوله لم تُفَلِّلْ معابلُه يريد لم ينكسر حَدُّها من الفُلول ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ سأل عبد الملك أن يَرُدَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فاخرجه اليه فى سيوف مُنْتَضاةٍ فاخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عَرَفْتَهُ فقال بما قال النابغةُ

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ انَّ سيوفَهم ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ

والمِعْبَلَةُ واحدة المعابل وهى سهم خفيف قال عَنْتَرَةُ

وآخَرَ منهم أُجْرَرْتُ رُمْحى ... وفى اليَحْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ

باسكان الجيم لاغير (قال أبو الحسن يَحيلة قبيلة من بنى الهُجَيْمِ من اليَمَنِ)

(باب)

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُنَّ شَرَفٌ من هُنَّ منه منهن أُمُّ كُلْثُومٍ بنت عبد الله بن جَعْفَرِ بن أبى طالب وآمِنَةُ بنت سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ ورَمْلَةُ بنت الزُّبَيْرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلِدِ بن أَسَدِ بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ فى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبد الملك

عَلَيْكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... فى خالدٍ عما تُحِبُّ صُدودُ

اذا ما نَظَرْنا فى مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذى يَنْوِى وأَيْنَ يُرِيدُ

فَطَلَّقَ آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك فى ذلك يقول خالد

فَتاةُ أبوها ذو العصابة وابنُهُ ... وعُثْمانُ ما اكْفاؤُها بكَثيرِ

فان تَقْتُلوها والخلافةُ تَنْقَلِبْ ... بأكْرَمَ عِلْقٍ مِنْبَرٍ وسَرِيرِ

قوله أبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ وذلك أن قومه يذكرون انه كان اذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ اعظاما له ويُنْشِدون

أبو أُحَيْحَةَ من يَعْتَمُّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وان كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ

ويزعم الزُّبَيْرِيُّونَ ان هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تقتلوها يقول تأخذها خُفارَةً ومن ذلك

المثلثة والقضيفة وانما يدون بقولهم مجدولة جودة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول ولذلك قالوا خصانة وسيقانة وكانها جان وكانها جدل عنان وكانها قضيب خيزران والتثنى فى مشيها أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة وذات الفضول والزوائد على ان الخفافة فى المجدولة أعم وهى بهذا المعنى أعرف ولم أر المجدولة أعم وهى بهذا المعنى تجب على السمان الضخام وعلى الممشوقات والقضاف كما يجب هذه الأصناف

قول الشاعر

مَنْ يَأْمَنِ الأَيَّامَ بعدَ صُبَيْرَةَ القُرَشِيِّ ماتا

سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ المَشِيبَ وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة وبالضاد معجمة رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام) وفى الحديث أن رجلا قال يارسول الله ان أمى افتلتت أى ماتت فجاءة ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال أبو العباس وبلغنى أنها سعت بها احدى ضراتها الى الوليد بانها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أكنت قائلة ماذا أقول بالليتة كان بقى حتى يقتل أخا لى آخر كعمرو بن سعيد وفى رملة بنت الزبير يقول خالد

تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

فلا تكثروا فيها الملام فانني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بنى العوام طرا لحبها * ومن أجلها أحببت اخوالها كلبا

وزيد فيها فان تسلمى أسلم وان تتنصرى * يعلق رجال بين أعينهم صلبا

فيروى ان عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أترى هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين على قائله لعنة الله وذكر العتبى ان الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة ففكر عبد الله بن جعفر فى الانفكاك منه فألقى فى روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخر فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى ياأبا هاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتهدد على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك قال وما هو قال أتعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجى الى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى فما أهل بيت أحب الى منهم قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزونه عنها فكان

على المجدولات ووصفوا المجدولة بالكلام المنشور فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب

(فصل من صدر رسالته الى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة)

وفقك الله وأرشدك وأعانك على شكره وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا واياك ممن يقول بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل ما فيه مما قد يصد عنه ولا يكون حظه الوصف له والمعرفة به دون الحث عليه والانقطاع اليه وكشف القناع فيه وايصاله الى

فيمن أتاه عمرو بن عُتبة بن أبي سُفيان فأوقع الحجّاج بخالد فقال كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لا تقل ذا أيها الامير فانّ لخالد قديما سبق اليه وحديثا لم يُغلب عليه ولو طلب الأمر لطلبه بجدّ وجدّ ولكنه علم علما فسلّم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان انتم تحبون أن تحلوا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نُغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوّجنّ من هو آمس به رحما لم يمكنه فيه شيء فتزوّج أم الجُلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد أما قوله ألتي في روعه فان العرب تقول أُلقي في روعي وفي قلبي وفي خَيفي وفي تامُوري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أنّ لهذه الأشياء مواضع مختصة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انّ روح القُدُس نفث في رُوعي فالروع والخَيف غير مختلفين والعرب تقول أذهب الله قَلْبَه ولا قلب له ولا تقول لا رُوعَ له فكأنّ الرُوع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قَلْبَ الطائر ولا يقال رأيت روعَ الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يُفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان ما بقي يقال ضَعْه في تامورك وفي قَلْبك وفي رُوعك وفي خَيفك والذَماء ممدود مثل التامور سواء تقول العرب ليس في الحيوان أطولُ ذماء من الضَبّ وذلك انه يُذبح ثم يُطرح في النار بعد ان ظُنّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار وقال رجل لابراهيم بن أدهم عظني فقال اتّخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال سعيد بن المُسيّب كنت بين القبر والمنبر مُفكّرا فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم انى أسألك عملا بارًّا ورزقا دارًّا وعيشا قارًّا قال سعيد فلزمتهنّ فلم أر الا خيرا وقال الأصمعيّ كان من دعاء أبي المجيب اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي قال وكان يقول في دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال وحدثني أبو عثمان المازنيّ قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكّر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحُمل على المكروه ولا يُمرضون مريضهم ولا يدفنون ميّتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جُعْتُ حتى أكلتُ النوى المُحرق ولقد مشيتُ حتى انتعلتُ الدم وحتى خرج من قدمي بَخَصٌ ولحم كثير أفلا رجلٌ يرحم ابن سبيل وذلّ طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الأجر ولا

أهله والصبر على المحافظة في ان لا يصل الى غيرهم والتثبت في تحقيقه لديهم فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون ان يكونوا عاملين وانما علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف والوقوع في المضار والتوسط في المهالك فلذلك طلب الناس التبيين وحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم ونجلوا مكروه ثقل المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين قال الأولون العارفون أكثر من الواصفين والواصفون أكثر من

غنى عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذى يقول جل ثناؤه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ملىء وفى ما جدوا جدوا لا يستقرض من عوز ولكنه يبلوا الاخبار قال فبلغنى انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا قوله بخص يريد اللحم الذى يركب القدم هذا قول الاصمعى وقال غيره هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل ولا تبخسوا الناس أشياءهم وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس ويدل على انه اللحم الذى قد خالطه الفساد قول الراجز (قال أبو الحسن على بن سليمان الأخفش الراجز هو أبو شراعة)

يا قدمى لا أرى لى مخلصا ٭ مما أراه أو تعودا بخصا

وقوله فل فالفل فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفى خبر كعب بن معدان الاشعرى (الاشقرى بالقاف لا غير) انا آثرنا الحد على الفل يعنى مجاهدتهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم فطريا لانه كان منهزما وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو غريب بينهم انما هو أحد بنى سليم بن منصور ثم أحد بنى بهز فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غيرا لحق فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول كما قال الله عز وجل أم يقولون تقوله فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا ابلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا نرى ان نكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم وانما بادرت لجمع مالى لعلى أصيب به من قتل محمدا وأصحابه قبل أن يسبقنى اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهدوا فى أن جمعوا الى مالى أسرع جمع وسروا أكثر السرور وقالوا ابلا رقيم وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ما تقول قال فقلت أكاتم أنت على خبرى فقال اى والله قال فقلت فالبث على شيأ حتى يخف موضعى قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على

العاملين وانما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لان ثواب العمل مؤجل واحتمال ما فيه مجهول وقد أعجبنى ما رأيت من شغف بطاعة امامك واحتجاجك لتدبير خليفتك واشفاقك من كل خلل يدخله وان دق ونول سلطانه وان صغر ومن كل أمر خالف هواه وان خفى مكانه وجالب رضاه وان قل ضرره ومن تخوفك ان تجد المتأول اليه متطرقا والعدو عليه متعلقا فان السلطان لا ينفك من متأول ناقم ومن محكوم عليه ساخط ومن معزول عن الحكم زار ومن متعطل متصفح

خلاف ما قلتُ لهم خلّفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبرَ وخلّفتُه والله مُعرِسًا بابنة ملكهم وما جئتُكَ الا مُسلمًا فاطوِ الخبر ثلاثا حتى أُعجِزَ القومَ ثم أشِعْه فانه والله الحق فقال العباس ويحكَ أحقٌّ ما تقول قلتُ اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلّقَ العباسُ وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلُّدُ لحرّ المصيبة فقال كلّا ومَن حلفتُم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرسَ بابنة ملكهم فقالوا مَن أتاكَ بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاءنا مُسلمًا ثم أتت الاخبارُ من النواحى بذلك فقالوا أفلتَنا الخبيثُ أوَلى له وأصل الفَلّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ اذا كسرتَ حدَّها والنضوُ البالى المجهود ويقال ناقة نضوٌ اذا جهَدها السيرُ وجمعه أنضاءٌ وفلان نضوٌ من المرض وقوله لا يستقرض من عَوَز فالعَوَزُ تعذُّرُ المطلوب يقال أعوزَ فلان فهو مُعوِزٌ اذا لم يجد والمَعاوزُ فى غير هذا الموضع الثياب التى تُبتذَلُ ليُصانَ بها غيرها وقوله ولكن ليبلوا الاخبار يقال الله يبلوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملًا قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال رأيت أبا فرعون العَدَوىَّ ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطّارين بالبصرة يقول

بُنَيَّتَىَّ صابِرا أباكما ۞ انَّكُما بعَيْنِ مَن يَراكما

اللهُ رَبّى سَيِّدى مولاكما ۞ ولو يشاءُ عَنْهُمُ أغْناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عَدِىّ الرِباب بن عبد مَناة بن أُدّ وقال اليزيدى هو مولاهم وكان فصيحا وقدِم قوم من الأعراب البصرة من أهله فقيل له تعرَّضْ لمعروفهم فقال

ولَسْتُ بسائلِ الأعرابِ شيأ ۞ حَدَتْ اللهَ اذْ لَمْ يأكلونى

وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالْحاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه وتعذُّر أمواله التى كانت له عند الناس فسأل جماعةً من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسِرًا من أولاد أجوادهم ليَسُدَّ من خَلّته فساروا اليه فجلسوا فى الصحن فخرج اليهم يَخطِرُ بقضيب فى يده حتى ثَنَى وسادةً فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخَلّةَ صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخَطَرَ بالقضيب ثم قال مُتمثّلًا (الشعر لنُصَيْب وقيل لكُثَيِّر والأول أثبت)

اذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عَطاءَهُ ۞ صَنيعةَ تُقْوَى أو صَديقٌ تُوامِقُه

ومن معجب برأيه ذى خطل فى بيانه مولع بتهجين الصواب وبالاعتراض على التدبير حتى كانه رائد لجميع الأمة ووكيل لسكان جميع المملكة يضع نفسه فى مواضع الرقباء وفى مواضع التصفح على الخلفاء والوزراء لا يعذر وان كان مجاز العذر ظاهرا ولا يقف فيما يكون الشك محتملا ولا يصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ومستدبره من لم يعرف مستقبله ومن

بَخِلْتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ • فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ الا حَقائِقُهْ

ثم أقبل على القوم فقال انا والله ما نَحْمَدُ عن الحق ولا نَتَمَدَّقُ فى الباطل وان لنا لحقوقا نَشْغَلُ فُضولَ أموالنا وما كُلُّ مَنْ أفلَسَ من الصَّيارفة احْتَلْنا لجَبْرِه قوموا رحمكم الله قال فابْتَدَرَ القومُ الأبوابَ قوله فلم يفتلذك المال يقول لم يَقْتَطِعْ منك يقال فَلَذَ له من العطاء أى قَطَعَ له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان فى القوم عُتْبَةُ بن رَبيعة وشَيْبَةُ بن رَبيعةَ وأبو الحَكَمِ بن هشام وأُمَيَّةُ بن خَلَف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألْقَتْ اليكم أفلاذَ كَبِدِها وقال أبو قُحافة أعْشَى باهلة يعنى المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهلىَّ

تَكْفيه فِلْذَةُ كَبِدٍ ان أَلَمَّ بها • من الشِّواءِ ويَكْفى شُرْبَهُ الغُمَرُ

قال عبد الملك بن عُمَيْرٍ استعمل عُتْبَةُ بن أبى سفيان رجلا من آله على الطائف فظَلَمَ رجلا من أَزْدِ شَنوءَةَ فأتى الأزدىُّ عُتْبَةَ فَمَثَلَ بين يديه فقال

أَمَرْتَ مَنْ كان مظلوما لِيَأْتِيَكُمْ • فقد أتاكم غريبُ الدارِ مظلومُ

ثم ذكر ظُلامَتَهُ فقال له عتبة انى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحْسِبُكَ تَدْرِى كم تصلى فى كل يوم وليلة فقال أرأيتَ ان أنبأتُكَ ذلك أتجعل لى عليك مسئلة قال نعم فقال الاعرابى

انَّ الصَّلاةَ أَرْبَعٌ وأَرْبَعُ • ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعُ • ثم صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيَّعُ

فقال صدقتَ فاسئل فقال كم فَقارُ ظَهْرِكَ فقال لا أدرى فقال أفَتَحْكُمُ بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك قال رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ قوله فَقار انما هو جمع فَقارة ويقال فِقْرَةٌ فمن قال فى الواحد فِقْرَةٌ قال فى الجميع فِقَرٌ كقولك كِسْرَةٌ وكِسَرٌ ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فَقارٌ كقولك دَجاجةٌ ودَجاجٌ وحَمامةٌ وحَمامٌ وشهد اعرابى عند معاوية بشئ كرهه فقال له معاوية كَذَبْتَ فقال الأعرابى الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك فقال معاوية وتَبَسَّمَ هذا جزاء من عَجِلَ قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتَّوَّزِىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المُثَنَّى التَّيْمِىِّ قال كانت السَّواقِطُ تَرِدُ اليَمامةَ فى الأشهر الحُرُمِ لطلب الثمر فان وافقتْ ذلك والا أقامتْ بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه فى شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قَدِمَ يأتى رجلا من بنى حَنيفةَ وهم أهل اليَمامة أعنى بنى حَنيفةَ بن لُجَيْمِ بن صَعْب بن على بن بَكْر بن وائِل بن قاسِطِ بن هِنْب بن أفْصَى بن

محروم قد أضغنه الحرمان ومن لئيم قد أفسده الاحسان ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه وهو لجهله بقدره ولضيق ذرعه ولقلة شكره يظن ان الذى بقى له أكثر ولحقه أوجب ومن مستزيد لوارتجع السلطان سالف أياديه البيض عنده ونعمته السالفة عليه لكان لذلك أهلا وله مستحقا قد غره الأمل وأبطره دوام الكفاية وأفسده طول الفراغ ومن صاحب للفتنة خامل فى الجماعة رئيس فى الفرقة نعاق فى الهرج

دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من ورد اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها فأجارهم مرارة بن سُلمي الحنفي ثم أحد بني ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه

زعم ابن سُلمي مرارة انه ٭ مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامة حزنها وسهولها ٭ من كل ذي تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عُمير بن سُلمي أنه له جار وكان أخو هذا الكلابي جميلا فقال له قرين أخو عمير لا ترد نّ أبياتنا بأخيك هذا فرآه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قرينا أخا عُمير كان يتحدث الى امرأة أخي الكلابي فغار عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله وكان عمير غائبا فأتى الكلابي قبر سُلمي أبي عمير وقرين فاستجار به وقال (قال أبو الحسن الأخفش قال أبو العباس قرين ووجدته بخط دماذ صاحب أبي عبيدة قُرين)

واذا استجرت من اليمامة فاستجر ٭ زيد بن يربوع وآل مجمع
وأتيت سُلميا فعذت بقبره ٭ وأخو الزمانة عائذ بالأمنع
أقرين انك لو رأيت فوارسي ٭ بعمايتين الى جوانب ضلفع
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ٭ للغدر خائنة مغل الاصبع

فلجأ قرين الى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادة الى الكلابي ديات مضاعفة وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابي أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهي أم قرين لا تقتل أخاك وسق الى الكلابي جميع ماله فأبى الكلابي أن يقبل وقد لجأ قرين الى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميرا منه فأخذه عُمير فمضى به حتى قطع الوادي فربطه الى نخلة وقال للكلابي أما اذ أبيت الا قتله فأمهل حتى أقطع الوادي وارتحل عن جواري فلا خير لك فيه فقتله الكلابي ففي ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا ٭ وكان أبونا قد تجير مقابره
وقالت أم عمير تعد معاذر الا عذر فيها ٭ ومن يقتل أخاه فقد الاما

قد أقصاه عز السلطان وأقام صغره ثقاف الأدب وأذله الجهل بالحق فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع ولا يتشقى بغير الأرجاف ولا يستريح الا الى الامانى ولا يأنس الا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وخارص لا خير فيه وخالف لا غناء عنده يريد ان يسوى بالكفاة ويرفع فوق الحماة لا أب سلف له ولا احسان كان من غيره وليس ممن يربه قديم مجد ولا يحفل به رؤس شرف ولا يفصل بين ثواب المحسنين وكيف يعرف فرق ما بين حق

قوله ولم تكن للغدر خائنة ولم يقل خائنا فانما وضع هذا فى موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أى من أجل الغدر وقال المفسرون والنحويون فى قوله الله عز وجل وانه لحب الخير لشديد أى لشديد من أجل حب الخير والخير ههنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله لشديد أى لبخيل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أى بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ٭ عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجىء المصدر على فاعل فمما جاء على وزن فاعل قولهم عوفى عافية وفلج فالجا وقم قائما أى قم قياما وكما قال ٭ ولا خارجا من فى زور كلام ٭ أى ولا يخرج خروجا وقد مضى تفسير هذا والمغل الذى عنده غلول وهو ما يختان ويختجن ويستعمل مستعارا فى غير المال يقال غل يغل كقول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ويقال أغل فهو مغل اذا صودف يغل أو نسب اليه ومن قرأ وما كان لنبى أن يغل فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ يغل فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذى نختار أن يخون فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبى أن يغل فيغل لغيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه فى التقدير على معنى ما ينبغى لنبى أن يخون كما قال وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيدا الراجع اليه وكان جيدا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا فى الآية والاصبع أفصح ما يقال وقد يقال أصبع واصبع واصبع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان عليك يد ولفلان عليك اصبع وكل جيد وانما يعنى ههنا النعمة وأما قوله قتلنا أخانا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فخم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذى يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعد كبرا ولا ينبغى على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وانا أوحينا اليك وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فما استعمل فى المخلوقين على تلك الألفاظ وان خالفت فى الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه

الذمام وثواب الكفاية من لا يعرف طبقات الحق فى مراتبه ولا يفصل بين طبقات الباطل فى منازله ثم اعلم بعد ذلك انك بنفسك بدأت فى تعظيم امامك والحفظ بمناقب أنصار خليفتك واياها حطت لحياطتك لاشياعه واحتجاجك لأوليائه ونعم العون انت ان شاء الله على ملازمة الطاعة والموازرة على الخير والكفاية لأهل الحق وقد استدللت بالذى أرى من عنايتك وفرط اكترائك ولفقدك لأجناس الأعداء وبحثك

عيبا ونقصا وذلك لمخالفتها بين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبدئ المعيد الخالق البارئ ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشبعة وتنقصه اللحظة وهو في كل أموره مدبر وأما القول الآخر في البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتل أخاه فقد ألاما تقول أتى ما يلام عليه يقال ألام الرجل اذا تعرض لان يلام

(باب)

قال أبو العباس أنشدني السعدي أبو محلم

انا سألنا قومنا فخيارهم * من كان أفضلهم أبوه الأول

أعطى الذي أعطى أبوه قبله * وتبخلت أبناء من يتبخل

وأنشدني أيضا لطلحة بن حبيب حين تسأله * أندى وأكرم من فند بن هطال

وبيت طلحة في عز ومكرمة * وبيت فند الى ربق وأجمال

ألا فتى من بني ذبيان يحملني * وليس يحملني الا ابن حمال

فقلت طلحة أولى من عمدت له * وجئت أمشي اليه مشي مختال

مستيقنا أن حبلي سوف يعلقه * في رأس ذيالة أو رأس ذيال

قوله الى ربق وأجمال انما أراد جمع جمل على القياس كما تقول في جميع باب فعل جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله ألا فتى من بني ذبيان يحملني يعني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر وأنشد بعضهم * وليس حاملني الا ابن حمال * وهذا لا يجوز في الكلام لانه اذا نون الاسم لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا للتنوين تقول هذا ضارب زيدا غدا وهذا ضارب بد غدا ولا يقع التنوين ههنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انا مخرجوك واهلك وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا في الضرورة لما ذكرت من انفصال الكناية والبيتان اللذان رواهما سيبويه

هم القائلون الخير والآمرونه * اذا ما خشوا يوما من الأمر معظما

عن مناقب الأولياء على ان ما ظهر من نحلة أم في جنب ما بطن من اخلاصه فامتع الله بد خليفته ومنحنا وايالك محبته وأعاذنا وايالك من قول الزور والتقرب بالباطل انه حميد مجيد فعال لما يريد وذكرت انك جالست أخلاطا من جند الخلافة وجماعات من أبناء الدعوة وشيوخا من جملة الشيعة وكهولا من أبناء رجال الدولة المنسوبين الى الطاعة والمناصحة والمحبة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة وان رجلا من عرض تلك

وأنشد ولم يرتفقوا والناس محتضرونه * جميعا وأيدي المعتفين رواهقه

وانما جاز أن تبين الحركة اذا وقفت فى نون الاثنين والجميع لانه لا يلتبس بالمضمر تقول هما رجلانه وهم ضاربونه اذا وقفت لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لا يقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربته وأنت تريد ضربتْ والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لبسا فاما قولهم ارمه واغزه فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفت من أصل الفعل ولا يكون فى غير المحذوف وقوله فى رأس ذيالة يعنى فرسا انثى أو حصانا والذيال الطويل الذنب وانما يحمد منه طول شعر الذنب وقصر العسيب وأما الطويل العسيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضا أعنى ذيالا قال امرؤ القيس

فجال الصوار واتقين بقرهب * طويل القرا والروق أخنس ذيال

ويقال أيضا للرجل ذيال اذا كان يجر ذيله اختيالا ويقال له فضفاض فى ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤدبه كيف كانت طاعتى اياك وأنت تؤدبنى فقال أحسن طاعة قال فاطعنى الآن كما كنت أطيعك اذ ذاك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار فى النار وقال آخر

* مالدد مالددماله * يبكى وقد أنعمت ماباله * مالى أراه مطرقا ساميا
ذا سنة يوعد أخواله * وذاك منه خلق عادة * أن يفعل الأمر الذى قاله
ان ابن بيضاء وترك الندى * كالعبد اذ قيد أجماله * آليت لا أدفن قتلاكم
فدخنوا المرء وسربالة * والدرع لا أبغى بها نثرة * كل امرئ مستودع ماله
والرمح لا أملأ كفى به * والليث لا أتبع تزواله

قوله مالدد يعنى رجلا ودد فى الأصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست من دد ولا ددٌ منى وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذا من العادة وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لزيد فيعلم انه شئ فى ملك زيد فان قلت ان هذا لزيدٌ فى الوقف علم قبل الادراج انه زيدٌ ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر فى الوقف وأما المضمر فبين فيه لان علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت وقوله وقد أنعمت ماباله

الجماعة ارتجل الكلام ارتجال مستبد وتفرد به تفرد معجب وانه تعسف المعانى وتهكم على الألفاظ فزعم ان جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراسانى وتركى ومولى وعربى وبنونى وانه أكثر حمد الله وشكره على احسانه ومنته وعلى جميع أياديه وسبوغ نعمه وعلى شمول عافيته وجزيل مواهبه حين ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والأجناس المتباينة والأهواء المتفرقة وانك اعترضت على هذا المتكلم

فما زائدة والبالُ ههنا الحال وللبال موضع آخر وحقيقته الفكرُ تقول ما خطر هذا على بالى وقوله مطرقا سامیا فالسامی الرافع رأسه يقال سَمَا يَسْمُو اذا ارتفع والمُطرِقُ الساكت المُفكّرُ المُنكّسُ رأسَهُ فانما أراد سامیا بنفسه وقوله ذاسَنَةٍ يقول كأنه لطول اطراقه فى نَعْسة وقوله كالعبد اذ قَيَّدَ أجماله يريد أنه غير مُكْتَرِثٍ لاكتساب المَجْد والفضل وذلك أن العبد الراعى اذا قَيَّدَ أجماله لَفَّ رأسه ونام حَجْرَةً وهذا شبيه بقوله • واقْعُدْ فانَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى • وقوله فدخنوا المرءَ وسربالَه يروى أنه طَعَنَ فارسا منهم فاحْدَثَ فقال نَظِّفوهُ فانى لا أَدْفِنُ القتيلَ منكم الا طاهرا وقوله والدرع لا أبغى بها نثرة فالنَّثْرَةُ الدِّرعُ السابغة يقول درعى هذه تكفينى وقوله كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ أى مُسْتَرْهَنٌ بأَجَلِهِ وهو كقول الأعشى

كُنْتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ • بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أبطالَها

وعَلِمْتَ أنَّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها • ما كانَ خالَقُها الفَضِيلُ قَضَى لها

وقوله الرمح لا أملأ كنى به يتأوّلُ على وجهين أحدهما أنّ الرمح لا يملأ كنى وحده أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمح وبالقَوْسِ وغير ذلك والقول الآخر أنى لا أملأ كنى به انما أَخْتَلِسُ به اختلاسا كما قال الشاعر

ومُدَجَّجٍ سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ • تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنَةٍ خَلِسِ

وقوله واللبد لا أتبع نَزْوَاله يقول ان انْحَلَّ الحِزامُ فما اللبدُ لى مَعَه أى أنا فارس ثَبْتٌ وقال الفَرَزْدَقُ ونزل به ذِئْبٌ فأضافه

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صاحِبًا • دَعَوْتُ لنارى مَوْهِنًا فأتانى

فَلَمَّا دنا قلتُ ادْنُ دونَكَ انَّنى • وإيَّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكانِ

فَبِتُّ أُقُدُّ الزادَ بينى وبينَه • على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً ودُخانِ

وقلتُ له لما تَكَشَّرَ ضاحِكًا • وقائِمُ سَيْفِى من يَدِى بمَكانِ

تَعَشَّ فانْ عاهَدْتَنى لا تَخُونُنى • نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ

وأنتَ امْرُؤٌ يا ذِئْبُ والغَدْرُ كُنْتُما • أَخَيْنِ كانا أُرْضِعا بلِبانِ

ولو غيرُنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى • رَمَاكَ بسَهْمٍ أو شَباةِ سِنانِ

قوله وأطلسَ عسال فالأطلسُ الأغبرُ وحدثنى مسعود بن بشر قال أنشدنى طاهر بن علىّ الهاشمى

المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان وفصل بين انسابهم وانك انكرت ذلك عليه أشد الانكار وقذعته أشد القذع وزعمت انهم لم يخرجوا من الاتفاق وانك نفيت التباعد فى النسب والتباين فى السبب وقلت بل ازعم ان الخراسانى والتركى اخوان وان الجيز واحد وان حكم ذلك الشرق والقضاء على ذلك الصقع متفق غير مختلف ومتقارب غير متفاوت وان الاعراق فى

قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب

بَهْمٌ بنى مُحارِبٍ مُذْدارُهُ * أطْلَسُ يُخْفى شَخْصَهُ غُبارُهُ * فى شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونارُهُ

قوله يخفى شخصه غباره يقول هو فى لون الغبار فليس يُتَبَيَّنُ فيه وقوله عَسَّال فانما نسبه الى مشيته يقال مرَّ الذئب يَعْسِلُ وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلة قال الشاعر (هو ساعدة) يصف رمحا

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ * فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لَبِيدٌ عَسَلانَ الذئبِ أمْسَى قارِبًا * بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة نَسَلَ فى معنى عَسَلَ وقال الله عز وجل فاذا هُمْ من الأجداث الى ربهم يَنْسِلون وخَفَضَ بهذه الواو لانها فى معنى رُبَّ وانما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها فى معنى رب لانها حرف خفض وهى أعنى الواو تكون بدلا من الباء فى القسم لان مَخْرَجها فى مَخْرَج الباء من الشَّفَة فاذا قلت والله لأفعلَنَّ فمعناه أُقْسِمُ بالله لافعلنَّ فان حذفتها قلت الله لأفعلنَّ لان الفعل يقع على الاسم فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لميقاتنا وَصَلَ الفعلُ فعَمِلَ والمعنى معنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء وتكون فى معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج وقوله رفعتُ لنارى من المقلوب انما أراد رَفَعْتُ لها نارى والكلام اذا لم يَدْخُلْه لَبْسٌ جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل وآتيناه من الكُنوز ما انْ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أولى القُوَّةِ والعصبة تَنُوءُ بالمفاتيح أى تستقل بها فى ثِقَل ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتُها والمعنى لَتَنُوءُ بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة للأخْطَلِ

أمَّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها * عند التفاخُرِ إرادٌ ولا صَدَرُ

مُخَلَّفونَ ويَقْضِى الناسُ أمْرَهُمُ * وهُمْ بَغِيبٍ وفى عَمْياءَ ما شَعَروا

مِثْلُ القَنافِذِ هَدَّاجونَ قد بَلَغَتْ * نَجْرانُ أو بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة ويروى أن يونس بن حَبيب قال لأبى الحسن الكسائى كيف تُنْشِدُ بيت الفَرَزْدَق فأنشده

غَداةَ أحَلَّتْ لابنِ أصْرَمَ طَعْنَةٌ * حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائِفِ والخَمْرُ

فقال الكسائى لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تَمَّ الكلام فحمل

الأصل اذا لم تكن كانت راسخة فقد كانت متشابهة وحدود البلاد المشتملة عليهم الا تكن متساوية فانها متناسبة وكلهم خراسانى فى الجملة وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه وزعمت ان اختلاف التركى والخراسانى ليس كاختلاف ما بين الرومى والصقلى والزنجى والحبشى فضلا عما هو أبعد جوهرا وأشد خلافا بل كاختلاف ما بين المدرى والوبرى والبدوى والحضرى والسهلى والجبلى وكاختلاف ما بين

الخمر على المعنى أراد وحلّت له الخمر فقال له يونس ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب والذى ذهب اليه الكسائى أحسن فى محض العربية وان كان انشاد الفرزدق جيدا وقوله فلما دنا قلت ادن دوندك أمر بعد أمر وحسن ذلك لان قوله ادن للتقريب وفى قوله دوندك أمره بالاكل كما قال جرير لعيّاش ابن الزبرقان

أعيّاش قد ذاق القيون مواسمى ٭ وأوقدت نارى فادن دوندك فاصطل

(جمع ميسم وهو حديدة يصنع بها البيطار) وقوله على ضوء نار مرة ودخان يكون على وجهين أحدهما على ضوء نار وعلى دخان أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت وجائز أن يعطف الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياء ولكن للاشتراك كما قال الشاعر

يا ليت زوجك قد غدا ٭ متقلدا سيفا ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال ٭ شراب ألبان وتمر وأقط ٭ فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والشواظ اللهب لا دخان له والنحاس الدخان وهو معطوف على النار وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك قال النابغة الجعدى

تضىء كمثل سراج الذبا ٭ ل لم يجعل الله فيه نحاسا

أى دخانا وقوله لم تكن مثل من يا ذئب يصطحبان (من يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذى ويصطحبان صلته) فمن تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حملت خبرها على لفظها فقلت من فى الدار يجدّ عنيت جميعا أو اثنين أو واحدا أو مؤنثا وان شئت حملته على المعنى فقلت يجدّان ويجدّن اذا عنيت امرأة ويجدّون اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى وقال فعمل على المعنى ومنهم من يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فحمل الأول على اللفظ والثانى على المعنى وفى القرآن بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على المعنى وقوله أو شباة سنان فالشبا والشباة واحد وهو الحدّ ومما يستحسن فى وصف الجود والحث على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول النمر بن تولب

من نزل البطون وبين من نزل البحور وبين من نزل الاغوار وزعمت ان هؤلاء وان اختلفوا فى بعض اللغة وقارب بعضهم بعضا وبعض الصورة فقد نجد أن عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن وكذلك الصورة والصورة والشمائل والشمائل والاخلاق والاخلاق وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ولا معلهج ولا مربوع ولا مزلج ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

العُكْلِيّ أحد بنى عُكْل بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن الياس بوصل الألف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يَأْسٌ مشتق من يَئِسْتُ)

أعاذِلَ انْ يُصْبِحْ صَدايَ بِقَفْرَةٍ * بَعِيدًا نَآنِى صاحِبِى وقَرِيبِى

تَرَى أنّ ما أَبْقَيْتُ لم آكُ رَبَّهُ * وأنّ الذى أَنْفَقْتُ كان نَصِيبِى

وذِى إِبِلٍ يَسْعَى ويَحْسِبُ أنّهُ * أخى نَصَبٍ فى رَعْيِها وذُؤُوبِ

غَدَتْ وغَدا رَبٌّ سِواهُ يَقُودُها * وبُدِّلَ أحجارًا وجالَ قَلِيبِ

قوله ان يصبح صداى بقفرة فالصَدَى على ستة أوجه أحدها ماذكرنا وهو ما يبقى من الميت فى قبره والصَدَى الذَكَر من البُوم قال ابن مُقَرِّغ (اسمه رَبيعة وسمى مقرفا لانه شَرِبَ سِقاءين ففَرَّغَهُما)

وشَرِيتُ بُرْدَ اليتنى * من بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هامَهْ

هَتَّافَةً تَدْعُو صَدَى * بين المُشَقَّرِ واليَمامَهْ

ويقال فلان هامةُ اليوم أو غَدٍ أى يموت فى يومه أو فى غَدِه ويقال ذلك للشيخ اذا آسَنّ والمريض اذا طالت عِلَّتُهُ والمُحْتَقَرُ لمدة الآجال (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويُضْمِرُ الخبر فيكون التقدير والمحتقرُ لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) وفى الحديث أن حِسْلًا أبا حُذَيْفَةَ بن حِسْلِ بن اليمان قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه فى غَزْوَةِ أُحُدٍ انهَضْ بنا نَنْصُرْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامةُ اليوم أو غَدٍ وكانا قد آسَنّا (حِسْلٌ أبو حُذَيْفَةَ هو حِسْلُ بن جابر وهو اليَمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذى تخلف معه ثابت ابن وَقْشٍ الانصارىّ) والصَدَى حُشْوَةُ الرأس يقال لذلك الهامةُ والصَدَى وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قُتِلَ فلم يُدْرَكْ به الثَأْرُ أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهى الهامة والذكر الصَدَى فيَصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قُتِلَ قاتله كَفَّ ذلك الطائر قال ذو الإصْبَعِ العَدْوانىّ أحد بنى عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر (هو حُرْثان بن مُحَرِّث سمى بذى الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته فى اصبعه)

يا عَمْرُو إلّا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتِى * أَضْرِبْكَ حيث تَقُولُ الهامةُ اسْقُونِى

والصَدَى ما يَرْجِعُ عليك من الصوت اذا كنت بمُتَّسَعٍ من الارض أو بقُرْبِ جبل كما قال

قحطان وعدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم لأهل كل جزيرة من الشكل والصورة ومن الاخلاق واللغة فان قلت وكيف صار أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الابوة قلنا ان الجزيرة لما كانت واحدة استووا فى التربة وفى اللغة وفى الشمائل والهمة وفى الأنفة والحمية وفى الاخلاق فسبكوا سبكا واحدا فتشابهت الاجزاء وتباينت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها فى باب الأعم

إنّى على كلّ إيسارى ومَعْسَرَتى * أدعو حُنَيْفًا كما تُدْعى ابنةُ الجبَلِ

يعنى الصَدَى وتأويله انه يجيبنى فى سرعة اجابة الصَدَى وقال آخر

كأنّى إذ دعوتُ بنى سُلَيْمٍ * دعوتُ بدعوتى لهمُ الجبالا

والصَدَا مهموز صَدَأُ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذُبيانىّ

سَهْكين من صَدَإِ الحديد كأنّهم * تحت السَنَوّر جنّةُ البقّارِ

وقال الأعشى فأمّا إذ ركبوا فالوُجو * هُ فى الرَوْعِ من صَدَإِ البَيْضِ حُمّ

والصَدَى مصدر الصَدِى وهو العطشان يقال صَدِىَ يَصْدَى صَدًى وهو صَدٍ قال طَرَفَةُ

۞ ستَعْلَمُ إنْ مِتْنا صَدًى أيُّنا الصَدِى ۞ (ويروى صَدًى أيّنا بخفض أينا على الاضافة فصَدًى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصَدِى الخبر) وقال القُطامىّ

فهُنّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به * مواقعَ الماءِ من ذى الغُلّةِ الصادى

تأويل قوله نأنى يكون على ضربين يكون أبْعَدَنى وأحسنُ ذلك أن يقول أنأنى وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الأخرى وليست بالحَسَنة وانما جاءت فى حروف يقال فاضَ الماءُ وغضْتُهُ ونَزَحَتِ البئرُ ونَزَحْتُها وهَبَطَ الشئُ وهَبَطْتُهُ وبنو تميم يقولون أهْبَطْتُهُ وأحْرُفٌ سوى هذه يسيرة والوجه فى فَعَلَ أفْعَلْتُهُ نحو دَخَلَ وأدْخَلْتُهُ ومات وأماتَهُ الله فهذا الباب المُطَّرِدُ ويكون نأنى فى موضع نأى عنى كما قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقوله ودُوُوبٍ يقول والِحاحٍ عليه تقول دَأَبْتُ على الشئ قال الشاعر (هو الراعى)

دَأَبْتُ الى أن يَنْبُتَ الظلُّ بعدَما * تَقَاصَرَ حتى كاد فى الآلِ يَمْصَحُ

وقوله جل ثناؤه كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسُنَّتِهم ومثله الدِين والدَيْدَن وقد مرّ هذا وقوله وبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبٍ فالجالُ الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جالٌ وجُولٌ وقال مُهَلْهِلٌ كان رماحَهُم أشطانُ بئرٍ * بعيدٍ بين جاليها جرورِ

ويقال رجل ليس له جُولٌ أى ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائى

أمَاوِىَّ ان يُضْحِ صَدَاىَ بقَفْرةٍ * من الارض لا ماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ

تَرَىْ أنّ ما أبقَيْتُ لم أتْ ربَّهُ * وانّ يَدَى مما بخَلْتُ به صِفْرُ

والأخص وفى باب الوفاق وفى البنية من بعض الأرحام وجرى عليهم حكم الاتفاق وفى الحسب وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو اسماعيل وجازوا بذلك فى جميع الدهر وكبنى قحطان ففى اجماع الفريقين على التناكح والتصاهر ومنعهما ذلك جميع الأمم كعكسرى فمن دونه دليل على أن النسب عندهم متفق وان هذه المعانى

وقال الحرث بن حلزة اليشكري في هذا المعنى

قلتُ لعمرٍ حين أرسلتُه • وقد حبا من دوننا عالجُ

لا تكسعِ الشولَ بأغبارها • انكَ لا تدري من النائجُ

واصبُبْ لأضيافكَ ألبانها • فانّ شرَّ اللبنِ الواليجُ

قوله لا تكسع الشول باغبارها فان العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لاولادها التي في بطونها والغبر بقية اللبن في الضرع فيقول لا تبق ذلك اللبن لسمن الاولاد فانك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالي مالي وما لكَ من مالك الا ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ ويروى عن بعضهم انه قال اني أحبُّ البقاء وكالبقاء عندي حسنُ الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا • ومن الحديث متالفٌ وخلودُ

وأنشد فأثنوا علينا الآبالآبيكم • بافعالنا ان الثناء هو الخلدُ

وقال معاوية لابن الاشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطى الاعشى فقال أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطاكم الاعشى لا ينسى وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم بن سنان المري ما وهب أبوك لزهير فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون في قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا وفي قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلامٌ على ابراهيم أي يقال له هذا في الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم أي فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (حدثنا يموت بن المزرع البصري قال حدثنا رفيع بن سلمة المنبجي بدمذ قال حدثنا أبو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعماير العرب وهم في مجلسه ما أحسب هذا المزوني يناصحنا في حربنا يعني المهلب والرأي مشترك فقالوا

قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة وزعمت انه أراد الفرقة والتحزب وانك أردت الألفة والتقرب ثم زعمت أيضا ان البنوني خراساني وان نسب الابناء نسب آبائهم وان حسن صنيع الآباء وقديم فعال الأجداد هو حسب الأبناء وان الموالي بالعرب أشبه واليهم أقرب وبهم أمس لان النسبة قد تنقلت الموالي الى العرب في كثير من المعاني لانهم عرب في المدعى وفي العاقلة وفي الراية وهذا تأويل قوله

الرأى للامير أصلحه الله أن يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الارضين فاذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعنى فقد آن لك فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال ياغلام ازبر هذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها فتهدد قطرى الصعداء فقال ياغضبان ألفيتنى محزونا وأنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما ● ووا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ● طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ● وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدنا ● وآب عميد الازد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال ياغلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من خرب من نال الشبع واتكأ فاتدع اما والله لئن أبرز الله صفحتك وأظهر لى صلعتك لتنكرن شيعك ولتعلمن أن مقارعة الابطال ليس كتسطير الامثال)

(باب)

قال أبو العباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم قال وحدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى

مولى القوم منهم والولاء لحمة كلحمة النسب ثم زعمت ان الاتراك قد شاركوا القوم فى هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى بانوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال على أن ولاء الاتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف وفى سر هاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس ومحل العقد من لبة الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح

آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه مُتَقَلِّدًا سيفا مُتَنَكِّبًا قوسا يؤُمّ المنبر فقام الناس نحوه حتى صَعِدَ المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبّح الله بني أُمَيَّة حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عُمَيْرُ بن ضابئ البُرْجُمِيُّ ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (هو لسُحَيْم بن وَثِيل الرياحي)

أنا ابن جَلا وطَلّاعُ الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يا أهل الكوفة اني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (الشعر لوَرْدِ بن رُمَيْض العَنْبَري)

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدّي زِيَمْ * قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ

ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ * ولا بجزّارٍ على ظَهْرٍ وضَمْ

ثم قال قد لفّها الليلُ بعَصْلَبِيّ * أروعَ خَرّاجٍ من الدَّوِيّ * مُهاجِرٍ ليس بأعرابيّ

وقال قد شمّرت عن ساقها فشُدّوا * وجَدّت الحربُ بكم فجِدّوا

والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ * مثلُ ذراعِ البَكْرِ أو أشَدُّ

(لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ)

انى والله يا أهل العراق ما يُقعقَع لي بالشنان ولا يُغمز جانبي كتغماز التين ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتِّشْتُ عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنّكم حزم السلمة ولأضربنّكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت ولا أهمّ الا مضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وان أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلّب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من

من البدن وهم الأنف المقدم والسنام الاكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الأحمر فقد شاركوا العرب في أنسابهم وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضل وان برع بل لا يشرفه شرف وان عظم ولا مجد وان قدم فزعمت ان انساب الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكافئة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة وذكرت انه ذكر جملا من

بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (زعم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير انى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى فتقبله بدلا منى فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ٭ تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما ردوه فلما رد قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا حرسى اضرب بن عنقه فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى (الأسدى أسد خزيمة وليس من أسد قريش)

تجهز فاما ان تزور ابن ضابئ ٭ عميرا واما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ٭ ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه ٭ رآها مكان السوق أو هى أقربا

(دونه الها عائدة على المهلب وأقربا ظرف وقيل مفعول ثان) قوله انا ابن جلا انما يريد المنكشف الامر ولم يصرف جلا لانه أراد الفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ٭ بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت أقتربت الساعة وانشق القمر لانك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر والله ما زيد بنام صاحبه ٭ (ولا مخالط الليان جانبه)

وقوله ٭ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ٭ لسحيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج متمثلا وقوله

مفاخر هذه الأجناس وجمهرة من مناقب هذه الأصناف وانه جمع ذلك وفصله وأجله وفسره وانه ألغى ذكر الاتراك فلم يعرض بهم وأضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل وعن برهان كل صنف فذكر أن الخراسانى يقول نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل ان تظهر نقابة أو تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباداة وقبل كشف القناع وزوال النقبة وبنازال ملك أعدائنا

وطلاع الثنايا الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال له الخلّ وانما أراد به انه جلد يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دريد بن الصمة يعنى أخاه عبد الله

كميش الازار خارج نصف ساقه ٭ بعيد من السوآت طلاع انجد

والنجد ما ارتفع من الارض وقد مضى تفسير هذا وقوله انى لأرى رؤساقد أينعت يريد أدركت يقال أينعت الثمرة اينانا وينعت ينعا وينعت ينعا ويقرأ انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه وينعه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه الى الاحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو

ولها بالماطرين اذا ٭ أكل النمل الذى جمعا خرفة حتى اذا ربعت ٭ سكنت من جلق بيعا

فى قباب حول دسكرة ٭ حولها الزيتون قد ينعا

(قال أبو الحسن أول هذه الابيات طال هذا الهم فاكتنعا ٭ وأمر النوم فامتنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها) قال أبو العباس وقوله هذا أوان الشد فاشتدى زيم يعنى فرسا أو ناقة والشعر للحطم القيسى وقوله قد لفها الليل بسواق حطم فهو الذى لا يبقى من السير شيأ ويقال رجل حطم للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تبقى حطمة وقوله على ظهر وضم فالوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر (هو عمر بن أبى ربيعة)

وفتيان صدق حسان الوجو ٭ لا يجدون لشئ ألم

من ال المغيرة لا يشهدو ٭ ن عند الجزار لحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبى أى شديد وأروع أى ذكى وقوله خراج من الدوى يقول خراج من كل غماء شديدة (غماء مقصور رواية عاصم) ويقال للصحراء دوية وهى التى تكاد تنقض وهى منسوبة الى الدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا امارة قال الحطيئة (يصف خيلها وأنث على معنى المرأة) وانى اهتدت والدو بينى وبينها ٭ وما خلت سارى الليل بالدو يهتدى

والداوية المقفعة التى تسمع لها دويا بالليل وانما ذلك الدوى من أخفاف الابل تنفسح أصواتها فيها وتقول جهلة الاعراب ان ذلك عزيف الجن وقوله والقوس فيها وتر عرد فهو الشديد ويقال

عن مستقره وثبت ملك أوليائنا فى نصابه وبين ذلك ما قتلنا وشردنا ونهكنا ضربا وطلبا وبضعنا بالسيوف الحداد وعذبنا بألوان العذاب وبناشفى الله تعالى الصدور وأدرك الثار ومنا الاثنا عشر النقباء والسبعون النجباء ونحن الحندقية وأبناء الحندقية ونحن الكنفية وأبناء الكنفية ومنا المستجيبة ومنا مرج التيمية ومنا قيم خزان وأصحاب الحوزتين ومنا الزنغندية والامزامردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا

عُرْنُدٌ فى هذا المعنى وقوله انى والله ما يُقَعْقَعُ لى بالشنان واحدها شَنٌّ وهو الجلد اليابس فاذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الابل منه فضرب ذلك مَثَلًا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أُقَيْشٍ • يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنِّ

(أُقَيْشٌ حَىٌّ من عُكْل) وقوله ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء يعنى تَمام السن والذكاء على ضربين أحدهما تمام السن والآخر الحِدَّة حِدَّةُ القلب فما جاء فى تمام السن قول قَيْس بن زُهَيْر جَرْىُ المُذَكِّيات غِلابُ (ويروى غلاء) وقال زُهَيْرٌ يُفَضِّلُهُ اذا اجتهدا عليه • تمامُ السِّنِّ منه والذكاءُ وقوله فجَمَّ عيدانها يقول مَضْغها لينظر أيُّها أصلب يقال عَجَمْتُ العود اذا مضغته وكذلك فى كل شئ قال النابغة فظَلَّ يَجْمُ أعلى الرَّوْقِ منقبضًا • فى حالكِ اللون صَدْقٍ غيرِ ذى أَوَدِ والمصدر العَجْمُ يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا ويقال لنَوَى كلِّ شئ عَجَمٌ مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ كما قال الأعشى (غَزانَّكَ بالخَيْلِ أرضَ العَدُوِّ) • وجُذْعانُها كالقَطِيعِ العَجَمْ وقوله طال ما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضَرْبٌ من السَّيْرِ وقوله فأضحى ولو كانت خراسانُ دونه يعنى دون السفر رآها مكان السَّوْقِ للخوف والطاعة وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئَ بن الحارث البُرْجُمِىَّ وَجَبَ عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأَدَبٌ وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحَّاشًا فرمى أُمَّهُمْ به فقال فى بعض كلامه

وأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ • فانَّ عُقوقَ الوالداتِ كَبِيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به فلما دُعِىَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان فَعُثِرَ عليه فأحسن أدبه ففى ذلك يقول

وقائلةٍ ان ماتَ فى السجنِ ضابئٌ • لَنِعْمَ الفَتَى تَحْنُو به وتُواصِلُهْ

وقائلةٍ لا يَبْعَدَنْ ذلك الفَتَى • ولا تَبْعَدَنْ أخلاقه وشَمائلُهْ

وقائلةٍ لا يُبْعِدِ اللهُ ضابئًا • اذا الكَبْشُ لم يوجد له مَنْ يُنازِلُهْ

وقائلةٍ لا يُبْعِدِ اللهُ ضابئًا • اذا الخَصْمُ لم يوجد له مَنْ يُقاوِلُهْ

فلا تُتْبِعِينى انْ هلكتُ مَلامةً • فليس بعارٍ قَتْلُ مَنْ لا أقاتله

هَمَمْتُ ولم أفعل وكِدْتُ وليتنى • تَرَكْتُ على عُثْمانَ تَبْكِى حلائلُه

العدو بكل واد ونحن أصل هذه الدولة ومنبت هذه الشجرة وأصحاب الدعوة ومن عندنا هبت هذه الريح والانصار أنصاران الأوس والخزرج نصروا النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الزمان وأهل خراسان نصروا ورثته فى آخر الزمان غذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا وصار لنا نسبا لا نعرف الا به ودينا لا نوالى الا عليه ثم نحن على وتيرة واحدة ومنهاج غير مشترك نعرف بالشيعة وندين بالطاعة ونقتل فيها

وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذى ٭ تخبر من لاقيت أنك فاعله

قال أبو العباس وشيبه بقوله ما حدثنا به عن أبى شجرة السلمى وكان من فتاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبرى اسمه سليم بن عبد العزى) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمرو من أنت فقال أنا أبو شجرة السلمى فقال له عمر أى عدى نفسه ألست القائل حيث ارتددت

ورويت رمحى من كتيبة خالد ٭ وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

(ويروى أن أعمر بكسر الميم ومعناه أن افعل ذلك بكتيبة عمر)

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ٭ ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها وأقبلها حرة بنى سليم باحت السير هربا من الدرة وهو يقول قد ضن عنها أبو حفص بنائله ٭ وكل مختبط يوما له ورق

ما زال يضربنى حتى خذيت له ٭ وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت اليها وهى حانية ٭ مثل الرتاج اذا مالزه الغلق

أقبلتها الحل من شوران مجتهدا ٭ انى لأزرى عليها وهى تنطلق

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيأ فجعل يقول

ها ان رمى عنهم لمعبول ٭ فلا صريح اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى نسب ٭ يوما ولا معدم من خابط ورقا

(قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ٭ ولا ناعب الا ببين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى خذيت له يقول خضعت له وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيت له وزعم الأصمعى أنه شد فيها وأنه أحب أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لاعرابى أتقول استخذيت أم استخذأت قال

وغوث عليها سيمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن أصحاب الرايات السود فى الروايات الصحيحة والأحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة وينتزعون الملك من أيدى الظلمة وفينا تقدم الخبر وصح الأثر جاء فى الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها ويقتلون مقاتلتها ويسبون ذراريها حيث قالوا فى نعتهم شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعل القول وحقق الخبر

لا أقولهما قلت ولم فقال لان العرب لا تستخذى وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء ويمة خذواء أى مسترخية (قال أبو الحسن اليمة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الابل فتكثر عنه ألبانها) قال الاصمعى وقلت لاعرابى اتهمز الغارة قال تهمزها الهرة وقوله انى لازرى عليها يقول استحثها يقال زرى عليه أى عاب عليه وازرى به أى قصر به فيقول انها المجتهدة وانى لازرى عليها أى أعيب عليها لطلبى النجاء والسرعة وقال الاخطل

فظل يفديها وظلت كأنها * عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله ها ان رمى عنهم لمعبول يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشب بماء ويقال عربى صريح ومولى صريح أى خالص قال وحدثنى محمد بن ابراهيم الهاشمى فى اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى سأخبركم عنى وعن أبى بكر انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رآه على هذا فقلنا نعم فقال والله لان أخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون هذا رأيى ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت أيها الناس أن كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو افردت من جميعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذرا أو أقتل قتلا والله أيها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد فى الله حق جهاده حتى اذعنت العرب بالحق قوله كم من فئة فهى الجماعة وهى مهموزة وتخفيف الهمز فى هذا

العيان ونحن الذين ذكرنا وذكر بلادنا امام الأئمة وأبو الخلائف العشرة محمد بن على حين أراد توجيه الدعاة الى الآفاق وتفريق شيعته فى البلدان اما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها على وشيعة على فليس فيها من شيعتنا الا القليل وأما الشام فشيعة بنى مروان وآل أبى سفيان وأما الجزيرة فخارجية وحرورية ومارقة

الموضع أن تُقلَب الهمزة ياء وان كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قلبتها واوا نحو جُؤن تقول جُونٌ (الجُؤنة الحُقَّة يجعل فيها الحلى) وقوله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المُصدِّق اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالا واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقدا قال الشاعر

أتانا أبو الخطّاب يضرب طبله * فردّ ولم يأخذ عقالا ولا نقدا

(كانت الامراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول) والذى تقوله العامة تأويله لو منعونى ما يساوى عقالا فضلا عن غيره وهذا وجه والأول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يُعقَل به البعير فيطلبه فيمنعه ولكن مجازه فى قول العامة ماذكرنا ومن كلام العرب أتانا يجفنة يقعد عليها ثلاثة أى لو قعد عليها ثلاثة لصلح وكان ارتداد من ارتدّ من العرب أن قالوا نقيم الصلاة ولا نؤتى الزكاة فمن ذلك قول الخُطَيئة

ألا كلُّ أرماحٍ قصارا ذلّة * فداءٌ لأرماحٍ نُصبْنَ على الغمرِ

فبِستْ بنى عبسٍ واستاه طيّئٍ * وبِستْ بنى دودانَ حاشا بنى نصرِ

أبو أغبرَ ضربٍ يجثم الهام وقعُه * وطعنٍ كأفواه المُزفّتة الحُمرِ

(المزفتة المطليّة بالزفت وهو القطران يعنى الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزقاق)

أطعنا رسولَ الله اذ كان بيننا * فيالهفتا ما بالُ دينِ أبى بكرِ

أيورثها بكرا اذا مات بعده * فتلك وبيت الله قاصمة الظهرِ

فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة * وقوموا ولو كان القيام على الجمرِ

فدى لبنى نصرٍ طريفى وتالدى * عشيّة ذادوا بالرماح أبا بكرِ

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذب انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرّت) قوله يجثم الهام وقعه انما هو مثل يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بنى سعد فقسم ما كان فى يده من أموال الصدقات على بنى منقر وقال فمن مبلغ عنى قريشا رسالة * اذا ما أتتها محكمات الودائعِ

حبوتُ بما صدّقتُ فى العام منقرا * وأيأستُ منها كلّ أطلس طامعِ

ولكن عليكم بهذا الشرق فان هنالك صدورا سليمة وقلوبا باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تخامرها الأدواء ولم تعتقبها البدع وهم مغبطون موتورون وهنالك العدد والعدة والعتاد والنجدة ثم قال وأنا أتفاءل الى حيث ما تطلع فكنا خير جند لخير امام وصدقنا ظنه وثبتنا رأيه وصوبنا فراسته وقال مرة أخرى ان أمرنا هذا شرقى لا غربى ومقبل غير مدبر يطلع كطلوع الشمس ويمتد على الآفاق امتداد النهار حتى تبلغ

قوله فاجمع رأينا كلنا أصحاب محمد فانما خفض كلا على انه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يعنى به المتكلم نفسه أو يعنى به المخاطب لا يجوز أن تقول مررت بى زيد لان هذه الياء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لانا نحتاج الى أن نعرفنا مبينا من صاحب الهاء لانها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله أصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد ❁ نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ❁ أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العرب أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليك لاطاقة بنا على المروءة ويختار فى هذا الشعر (هو لعمرو بن الأهتم)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب ❁ فينا سراة بنى سعد ونادبها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم

(باب)

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكمية مستحسنة يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب قال عبد الصمد بن المعذل

تكلفنى اذلال نفسى لعزها ❁ وهان علىها أن أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم ❁ فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

(بالثاء مثلثة لا غير وكذلك أكثم بن صيفى ويقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى) وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة وهو أبو المغيرة أخو الملوى المتكلم قال وقال المازنى لم أر أعلم من الملوى بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظام

خليلى من كعب أعينا أخاكما ❁ على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه ❁ مخافة أن يرجى نداه حزين

كأن عبيد الله لم يلق ماجدا ❁ ولم يدر أن المكرمات تكون

فقل لابى يحيى متى تدرك العلى ❁ وفى كل معروف عليك يمين

اذا جئته فى حاجة سد بابه ❁ فلم تلقه الا وأنت كمين

حيثما تبلغه الاخفاف وتناله الحوافر قالوا ونحن قتلنا الصحيحة والداالغيبة والذكوانية والراشدية ونحن أصحاب الخنادق ونباتة بن حنظلة وعامر بن ضبابة وأصحاب ابن هبيرة فلنا قديم هذا الأمر وحديثه وأوله وآخره ومنا قاتل مروان ونحن قوم لنا أجسام وأجرام وشعور وهام ومناكب عظام وجباه عراض وقصر غلاظ وسواعد طوال ونحن أولد للذكورة وأنسل بعولة وأقل ضوى وصولة وأقل أنا وأنتق أرحاما

نظيرُ قوله ❁ وفي كلّ معروف عليك يمينُ • قولُ جرير

ولا خيرَ في مالٍ عليه أليّةٌ • ولا في يمينٍ عُوقِدَتْ بالمآثمِ

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية)

أطِعِ اللهَ بجُهدِكَ • عامدًا أو دونَ جُهدِكْ أعطِ مَولاكَ كما تطـ ـلُبُ من طاعةِ عَبدِكْ

وقال محمود تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حُبَّهُ • هذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ

لو كان حُبُّكَ صادقًا لأطَعتَهُ • إنّ المُحبَّ لمَن يُحبُّ مُطيعُ

وقال أيضا انّي شَكَرتُ لظالمي ظُلمي • وغَفَرتُ ذاكَ لهُ على علمي

ورأيتُه أسدى اليَّ يدًا • لمّا أبانَ بجهلِهِ حِلمي

رجَعتْ إساءتُهُ عليهِ وإحـ ـساني فعادَ مُضاعَفَ الجُرمِ

وغَدَوتُ ذا أجرٍ ومَحمدةٍ • وغَدا بكَسبِ الظُلمِ والإثمِ

فكأنّما الإحسانُ كانَ لهُ • وأنا المُسيءُ إليهِ في الحُكمِ

ما زالَ يَظلِمُني وأرحَمُهُ • حتى بَكَيتُ لهُ من الظُلمِ

أخذَ هذا المعنى من قول رجل من قُريشٍ لرجل قال له انّي مررتُ بقوم من قريش من آل الزُبَير أو غيرهم يَشتمونكَ شَتمًا رحمتُكَ منه قال افسمعتني أقول الاخيرًا قال لا قال إيّاهُم فارحَم وقال أبو بكر الصدّيق رحمه الله لرجل قال له لأشتمنّكَ شَتمًا يدخُلُ معكَ في قبرك قال معكَ والله يدخُلُ لا معي وقال ابن مسعود ان الرجل ليظلمني فأرحَمُهُ وقال رجل للشعبي كادما أقذَعَ له فيه فقال له الشعبي ان كنتَ صادقًا فغفرَ الله لي وان كنتَ كاذبًا فغفرَ الله لك ويروى انه أتى مسجدًا فصادفَ فيه قومًا يغتابونه فأخذ بعضادتَي الباب ثم قال

هَنيئًا مَريئًا غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ❁ لعَزّةَ من أعراضِنا ما اسْتَحلّتِ

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلا راكبا على بغلة لم أرَ أحسن وجهًا ولا سَمتًا ولا ثوبًا ولا دابةً منه فمالَ قلبي اليه فسألتُ عنه فقيل لي هذا الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما فامتلأ قلبي له بُغضًا وحَسَدتُ عليًّا أن يكون له ابن مثله فصرتُ اليه فقلتُ له أأنتَ ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلتُ فيَدٌ وبأبيدٍ أسبُّهُما فلما انقضى كلامي

وأشدّ عصبا وأتم عظاما
وأبداننا أحمل للسلاح
وأخفافنا أملأ للعيون
ونحن أكثر مادة وأكثر
عددا وعدة ولو أن
يأجوج ومأجوج كاثروا
من وراء النهر منا الظهروا
عليهم بالعدد فأما الأيد
وشدة الأسر فليس لأحد
بعد عاد وثمود والعمالقة
والكنعانيين مثل أيدنا
وأسرنا ولو أن خيول
الآفاق وفرسان جميع
الأطراف جمعوا في حلبة
واحدة لكنا أكثر في العيون
وأهول في الصدور ومتى
رأيت مواكبنا وفرساننا
وبنودنا التي لا يحملها

قال لى أحسبك غريبا قلت أجل قال فهل بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاونّاك قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحد أحبّ الىّ منه وقال محمود الورّاق

يا ناظرا يرنو بعينى رافد * ومشاهدا الامر غير مشاهد
منّيت نفسك ضلّة وأبحتها * طرق الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

وقال الحكمىّ (هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حكم قبيلة من مذحج) للفضل بن الربيع

ما من يد فى الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
نام الكرام على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمّنى * من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عنى عفو مقتدر * حلّت له نقم فألغاها

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة لذى اليمينين (سمى ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين)

لمّا رأيتك قاعدا متقبلا * أيقنت أنك للهموم قرين
فارفض بها وتعرّ من أثوابها * ان كان عندك للقضاء يقين
مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
يسعى الذكىّ فلا ينال بسعيه * حظّا ويحظى عاجز ومهين
سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة متعب محزون
الله يعلم أن فرقة بيننا * فيما أرى شئ على يهون

وقال صالح بن عبد القدّوس (صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة أعنى صالحا)

ان يكن ما به أصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجلّ
كلّ آت لاشكّ آت وذو الجهل معنّى والغمّ والحزن فضل

وأنشد مفيد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام بن عبد الملك)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

ومنها قول ابن أبى وهيب

وانى لأرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظنّ ما الله صانع

وقال آخر

ويعرف وجه الحزم حتى كأنما * تخاطبه من كلّ أمر عواقبه

غيرنا علمت انا لم نخلق الا لقلب الدول وطاعة الخلفاء وتأييد السلطان ولو أن أهل تبت ورجال وفرسان الهند وحلبة الروم هجم عليهم هاشم ابن أشتاخيج لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب فى البلاد ونحن أصحاب اللحى وأرباب النهى وأهل الحلم والحجى وأهل الثجانة فى الرأى والبعد من الطيش ولسنا بجند الشام المتعرضين للحرم والمنتهكين لكل محرم ونحن ناس لنا أمانة وفينا عفة ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة

وقال أشجع السُّلمى رأى سرى وعيون الناس راقدة * ما آخر الحزم رأى قدم الحذرا

وقال آخر فلله منى جانبٌ لا أضيعه * وللهو منى والبطالة جانبُ

وقال آخر فلو عاب نفسى غير نفسى لسؤته * فكيف ونفسى قد أتت ما يعيبها

وقال آخر يرى فلتات الرأى والرأى مقبلٌ * كان له فى اليوم عينًا على غد

وقال عبد الصمد بن المعذّل

أمنٌ على المجتدى * وما اتبع المنّ من كان لم يزل ما أتى * وما قد مضى لم يكن

أرى الناس أحدوثة * فكونى حديثًا حسن

وقال أيضا زعمت عاذلتى أنى لما * حفظ البخل من المال مضيع

كلفتنى عذرة الباخل اذ * طرق الطارق والناس هجوع

ليس لى عذر وعندى بلغة * انما العذر لمن لا يستطيع

وقال الحسن بن هانئ الحكمى

اليدُ غدت بى حاجة لم أبح بها * أخاف عليها شامتا فأدارى

فأرخ عليها ستر معروف الذى * سترت به قدما على عوارى

وقال أيضا قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكرى به ومعترفا

أنت امرؤ جللتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فاليدُ بعد اليوم تقدمة * لا تقتدى بالتصريح منكشفا

لا تحدثنّ الى عارفة * حسبى أقوم بشكر ما سلفا

وقال دعبل بن على الخزاعى

أحببت قومى ولم أعدل بحبهم * قالوا تعصبت جهلا قول ذى جهت

دعنى أصل رحمى ان كنت قاطعها * لابدّ للرحم الدنيا من الصلة

فاحفظ عشيرتك الأدنين ان لهم * حقا يفرق بين الزوج والمرة

قومى بنو مذحج والأزد اخوتهم * وآل كندة والأحياء من عدنت

ثبت الحلوم فان سلت حفائظهم * سلوا السيوف فاردوا كل ذى عنت

والصبر على الخدمة وعلى التحمز وبعد الشقة ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن أصحاب التحافيف والأجراس والبازفكند واللبود الطوال والأعمدة والحقفة والقلانس الشاشية والخيول الشهرية ولنا الكافركوبات والطبرزينات فى الاكف والخناجر فى الأوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل ولنا الاصوات التى تسقط الحبالى وليس فى الأرض صناعة عراقية ولا

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن * ما راضه قلبه أجراه في الشفة

فرب قافية بالمزح جارية * مشؤمة لم يرد اغماؤها نغمت

اني اذا قلت بيتا مات قائله * ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال أيضا نعوني ولما ينعني غير شامت * وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره * وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

(البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمن) وقال اسمعيل بن القاسم

يا من يعيب وعيبه منشعب * كم فيك من عيب وأنت تعيب

لله درك كيف أنت وغاية * يدعوك رب عندها فتجيب

وقال أيضا يا علي بن ثابت بان مني * صاحب جل فقده يوم بنتا

يا علي بن ثابت أين أنتا * أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمري حكمت لي غصص الموت * وحركتني لها وسكنتا

وقال أيضا صاحب كان لي هلك * والسبيل التي سلك

(والسبيل التي سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا علي بن ثابت * غفر الله لي ولك كل حي ممالك * سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا * شكوت اليك ما صنعت الينا

بكيتك يا أخي بدمع عيني * فلم يغن البكاء عليك شيا

كفى حزنا بفندك ثم اني * نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا انما

جازية من أدب وحكمة وحساب وهندسة وارتفاع بناء وصنعة وفقه ورواية نظرت فيها الخراسانية الا فرغت منها الرؤساء وبدت فيها العلماء ولنا صنعة السلاح عدة للحرب وتثقيفا ودربة للجاولة والمشاولة وللكر بعد الغر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغارا ومثل الطبطاب والصوالجة كباراثم رمى الجمة والبرجاسبار والطائر الخاطف فنحن أحق بالأثرة وأولى بشرف المنزلة قلت وزعم ان

أخذه من قول المؤيد لقباذ الملك حيث مات فانه قال فى ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله

قد لعمرى حكيت لى غصص الموت وحركتنى لها وسكنتنا

من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركنا بسكونه وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهية)

ياعجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لاغير رواية عاصم)

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر ... والموعد الموت وما بعده الـ
ـحشر فذاك الموعد الاكبر ... لا فخر الا فخر أهل التقى ... غدا اذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى ... والبر كانا خير ما يذخر ... عجبت للانسان فى فخره
وهو غدا فى قبره يقبر ... مابال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الامر الى غيره ... فى كل ما يقضى وما يقدر

أما قوله ياعجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يابنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجى فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرنى يارسول الله فقال خذ ما عرفت ودع ما أنكرت وعليك بخويصة نفسك وايالك

العربى يقول ان تكن القربى تستحق بالانساب الثابتة والارحام الشابكة وبالقدمة وبطاعة الآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمدلج الباقى وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء الدهر ويلوح مالاح نجم وينشد ماأهل بالحج وماهبت الصبا وماكان للزيت عاصر وبالكلام المنثور والقول المأثور وبصفة مخرج الدولة والاحتجاج للدعوة وتقييد المآثر اذلم يكن ذلك من عادة العجم ولا كان يحفظ ذلك معروفا لسوى العرب

وعوامّها قوله صلى الله عليه وسلم فى حثالة من الناس أما الحثالة فهو ما يبقى فى الاناء من ردىّ الطعام وضربه مثلا وقوله مرجت عهودهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مذهب يقال مرج الماء اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان وقوله

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حشر الناس فى صعيد واحد نادى منادٍ من قبل العرش ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله

ما بال من أوله نطفة • وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه وما ابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه وقال ابن أبى عيينة

ما راح يوم على حى ولا ابتكرا • الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا

ولا أتت ساعة فى الدهر فانصرمت • حتى تؤثر فى قوم لها أثرا

(فانصرفت أشبه للمطابقة والمشهور انصرمت)

ان الليالى والايام أنفسها • عن غير أنفسهم تكتم الخبرا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائى وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال

عمرى لقد نصح الزمان وانه • لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبى عيينة شيأ طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

من قول الخليل بن أحمد (قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذى ولد فيه أحد أبو الخليل أحدا سمى باحمد غيره)

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد • ذخرا يكون كصالح الأعمال

لكان قد قال قولا وقال العباس بن الفرج أملى من دونه أجلى • فتى أفضى الى أملى

ونحن نرتبطها بالشعر المقفى ونقيدها بحفظ الأميين الذين لا يتكلمون على الكتب المدونة والخطوط المطرسة ونحن أصحاب التفاخر والتنافر والتنازع فى الشرف والتحاكم الى كل حكم مقنع وكاهن شجاع ونحن أصحاب التعاير بالمثالب والتفاخر بالمناقب ونحن أحفظ لانسابنا وأدعى لحقوقنا وتقييدها أيضا بالمنثور المرسل بعد الموزون المعدل بلسان امضى من السنان وارهف من السيف الحسام حتى نذكرهم ما قد درس رسمه

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر فى النجوم فأبعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عنى المنجم أنى ... كافر بالذى قضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كا ... ن بحتم من المهيمن واجب

وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشد نيه الرياشى

ياسائلى عن مقالة الشيع ... وعن صنوف الاهوا والبدع

دع من يقود الكلام ناحية ... فما يقود الكلام ذو ورع

كل أناس بدؤهم حسن ... ثم يصيرون بعد للشنع

أكثر ما فيه أن يقال له ... لم يدن فى قوله بمنقطع

وأنشد فى الرياشى لغيره

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا ... فى الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بحق الله أكثرهم ... وفى الذى حملوا من حقه شغل

وقال محمد بن يسير ويل لمن لم يرحم الله ... ومن تكون النار مثواه

ياحسرتى فى كل يوم مضى ... يذكرنى الموت وأنساه

من طال فى الدنيا به عمره ... وعاش فالموت قصاراه

كأنه قد قيل فى مجلس ... قد كنت آتيه وأغشاه

صار اليسير الى ربه ... يرحمنا الله واياه

وقال أيضا أى صفو الا الى تكدير ... ونعيم الا الى تغيير

وسرور ولذة وحبور ... ليس رهنا لنا بيوم عسير

عجبا لى ومن رضاى بدنيا ... أنا فيها على شفا تغرير

عالم لا أشد أنى الى الله اذا مت أو عذاب السعير

ثم أهوى ولست أدرى الى أيهما بعده يصير مصيرى

أى يوم على أفظع من يو ... م به تبرز النعاة سريرى

كلما مر بى على أهل نادٍ ... كنت حينا جهم كثير المرور

وعفا أثره وبين القتال من جهة الرغبة والرهبة فرق وليس المعرق فى الحفاظ كمن هذى فيه حادثا وهذا باب يتقدم التالد القديم الطارف الحديث وطلاب الطوائل رجلان سجستانى واعرابى وهل أكثر النقباء الا من صميم العرب ومن حلية هذا النسب كعبد الحميد بن قحطبة ابن شبيب الطائى وأبى محمد سليمان بن كثير الخزاعى وأبى نصر مالك ابن الهيثم الخزاعى وأبى داود خالد بن ابراهيم الذهلى وكابى عمرو لاهز بن قريط

قيل من ذا على سرير المنايا • قيل هذا محمد بن يسير

وقال الحكمي أبو نواس

أخي ما بال قلبك ليس يبقى • كأنك لا تظن الموت حقا • ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا
أما والله ما ذهبوا لتبقى • وما أحد بزادك منك أحظى • وما أحد بزادك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد • اذا جعلت الى اللهوات ترقى

ومما يستحسن من شعره قوله لا أذود الطير عن شجر • قد بلوت المر من ثمره

فمثل هذا لو تقدم لكان في صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا • منك المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساده وكتمانه من المنعم عليه كفره وفي هذا الشعر أبيات مختارة فمنها واذا عجت القنا علقا • ورأى الموت في صوره • راح في ثنيي مفاضته
أسد يدمى شباطفره • تتأنى الطير غدوته • ثقة بالشبع من جزره
فاسل عن قوم تؤمله • حسب العباس من مطره • لا تغطى عنه مكرمة
بربا وادولا خمره • ذلت تلك الفجاج له • فهو مجتاز على بصره

وقد عابوا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل • من رسول الله من نفره

وهو لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه عسر موضوع في غير موضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا انه من القبيل الذي أنا منه فقد أضافه الى نفسه وكذلك يقول القرشي لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال في الاسلام من آل هاشم • دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليس منهم جعفر وابن أمه • علي ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم وأما قول حسان منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو وقدمت وأخرت

المزني ومن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزني وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل نباتة بن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ومن فتح السند الاموي بن كعب ومن فتح افريقية الا محمد بن الاشعث وقلت وقال ويقول الموالي لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع الثقة عند الشدة وعلل المولى من تحت موجبة لمحبة المولى

قال الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال اسجدى واركعى مع الراكعين ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذى يليه واحدا فواحدا وأما قوله فى هذا الشعر

وكريم الخال من يمن ٭ وكريم العم من مضر

فاضاف مضر اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث أحد النخع بن عمرو بن عملة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل فى أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فى المضرية فكشف من بازائه فقال على رضى الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضرى ويمنى فاضاف القبيلتين الى نفسه قال جرير

ان الذين ابتنوا مجدا ومكرمة ٭ تلكم قريشى والانصار أنصارى

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحق بن خلف البهرانى ونسبه فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه بقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعرى المعروف بالقمى (منسوب الى قم وهى بلدة أو قرية من خراسان)

وللكرد منك اذا زرتهم ٭ بكيدك يوم كيوم الجمل
ومازال عيسى بن موسى له ٭ مواهب غير النطاف المكل
لسل السيوف وشق الصفوف ٭ لنقض الترات وضرب القلل
ولبس الجحافة والخافقات ٭ تريد المنابر رؤس الاسل
وقد كشرت عن شباناتها ٭ عروس المنية بين الشعل
وجاءت نهادى وأبناؤها ٭ كان عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت ٭ جهول تطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها ٭ رؤسا تحادر قبل النفل
ألذ اليه من المسمعات ٭ وحث الكؤس فى يوم طل
وشرب المدام ومن يشتهيه ٭ معاط له بمزاج القبل
بعثنا النواعج تحت الرحال ٭ تسافه أشداقها فى الجدل

من فوق لأن شرف مولاه راجع اليه وكرمه زائد فى كرمه وخموله مسقط لقدره وبوده أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه لان ذلك كلما كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر كان هو بها أشرف وأنبل ومولاك أسلم لك صدرا وأود ضميرا وأقل حسدا وأبعد فالولاء لحمة كلحمة النسب فقد صار لنا النسب الذى تقوى به العربى ولنا الأصل الذى يفتخر به العجمى قال والصبر ضروب فأكرمها كلها الصبر على افشاء السر والمولى فى

اذا ما حُدِينَ بِمَدحِ الامير • سَبَقْنَ لِحاظَ المُحِبِّ الجَمِلْ

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أَحَثَّ يقال حث وأحث على فَعَلَ وعلى أَفْعَلَ لغتان) قوله تريد المَنَايِر يريد المنايا وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعي انه سمع العرب تقول دَرَسَ المَنَايِر يريدون المنازل وجاء في التخفيف أعجبُ من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله ولكنّ الاصمعي قال كان اخوان متجاورين لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فيريد ألا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض وحكى سيبويه في هذا الباب

بالخير خيراتٍ وإن شرًّا فا • ولا أُريدُ الشرَّ الا أن تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (قال ش قول أبي العباس الا أن تريدَ هَمُ وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ • وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال قال لي محمد بن الجَهْم لما كانت أيام الرُّطَ أدمنتُ الفكرَ وأمسكت عن القول فاصابتني حُبْسَةٌ في لساني وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم

كأنَّ فيه لَفَفًا اذا نَطَقْ • من طول تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفْوان انك لتُكْثِرُ فقال أُكْثِرُ لضربين أحدهما فيما لا تُغْنِي فيه القِلَّةُ والآخر لئلا يرث اللسان فان حبسه يورث العُقْلَةَ وكان خالد يقول لا تكون بليغا حتى تتكلم امتلأ السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المُهِمَّة بما تتكلم به في نادي قومك فانما اللسان عُضْوٌ اذا مَرَنْتَهُ مَرَنَ واذا أهملته خار كاليد التي تُخَشِّنُها بالممارسة والبدن الذي تُقَوِّيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه والرِّجْلِ اذا عُوِّدَتِ المشيَ مشت وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تزالون أصحاءَ ما نَزَعْتُمْ ونَزَوْتُمْ فنزعتم في القِسِيِّ ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يُخْلِيَ نفسه من ثلاث في غير افراط الاكل والمشي والجماع فاما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصِلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وصَبِرٍ ليَفْتُقَ امعاءه قال أبو العباس قال الاول والمشي ان لم تتعهده أوشكت ان تطلبه فلا تجده والجماع كالبئر ان نُزِحَتْ جَمَّتْ وان

هذه المكرمة ما ليس لأحد ونحن أخص مدخلا وألطف في الخدمة مسلكا ولنا مع الطاعة والخدمة والاخلاص وحسن النية خدمة الأبناء للآباء والأجداد للأجداد وهم بموالهم آنس وبناحيتهم أوثق وبكفايتهم أسر وقد كان المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبد الله يخصون موالهم بالمؤاكلة والبسط والايناس لا يبهرجون الاسود لسواده ولا الدميم لدمامته ولا ذا الصناعة الدنيئة لدناءتها ويوصون بحفظهم أكابر أولادهم

تُرِكَتْ مَحَبِّرًا مَأْوَاهَا وحقٌّ هذا كله القَصْدُ وقوله • كأنَّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ • يريد تألُّقَ الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وان لم تكن شمس وأحسن من هذا قول سَلامة بن جَنْدَل

كأنَّ النعامَ باضَ فوق رؤسهم • وأعينُهم تحت الحديد جواحِمُ

(أي مُتَّقِدَةٌ) فهذا التشبيه المصيب وأما قوله • أحب اليه من المسمعات • فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دُلَف العِجْلِيُّ

يَوْمَاىَ يومٌ فى أوانِسَ كالدُّمَى • لَهْوِى ويومٌ فى قتالِ الدَّيْلَمِ

هذا حليفُ غلائلٍ مَكْسُوَّةٍ • مِسْكًا وصافيةً كَنَضْحِ العَنْدَمِ

ولذاكَ خالصةُ الدُّروعِ وضُمَّرٌ • يكسونَ نارَ هَجِ الغُبارِ الأقْتَمِ

وليومهنَّ الفضلُ لولا لَذَّةٌ • سبقتْ بطعنِ الدَّيْلَمِيِّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو

طواه الهوى فطَوَى مَنْ عَدَلْ • وحالف ذا الصَّبْوةِ المُخْتَبَلْ

وأما قوله • تَسَافَهُ أشداقُها فى الجُدُلْ • فتسافه من السفه وانما يصفها بالمَرَح وأنها تميل كذا مرة وكذا مرة كما قال رُؤْبَةُ • يَمْشِى العَرَضْنَى فى الحديدِ المُتْقَنِ • وكما قال الآخر

اذا رأى السَّوْطَ مَشَى الهَيْدَبَى • ويَتَّقِى الأرضَ بمُعْجٍ رِفَاقِ

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بمعج رفاق يريد قليلة اللحم) وكما قال الحُطَيْئَةُ

وان آنَسَتْ حِسًّا من السوط عارَضَتْ • بِىَ الجَوْرَ حتى تَسْتقيمَ ضُحَى الغَدِ

والجُدُلُ جمع جَدِيلٍ وهو الزِّمامُ المجدول كما تقول قتيل ومقتول وأدنى العدد أجْدِلَةٌ كقولك قضيب وقُضُبٌ وأقضبةٌ وكذلك كَثِيبٌ ورَغِيفٌ وجَرِيبٌ وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير يقال قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ ومثل قوله • تسافه أشداقها فى الجدل • قول حَبِيب بن أوس الطائى

سفيهُ الرُّمْحِ جاهلُه اذا ما • بَدَا فَضْلُ السفيه على الحليم

ومما يُستحسن من شعر اسحق هذا قوله فى الحسن بن سَهْلٍ

بابُ الأمير عَراءٌ ما به أحَدٌ • الا امْرُؤٌ واضعٌ كفا على ذَقَنِ

قالت وقد أمَلَتْ ما كنتُ آمُلُه • هذا الأمير ابنُ سَهْلٍ حاتمُ اليمنِ

ويجلون الكثير من موتاهم فى الصلاة على جنائزهم وذلك بحضرة من العمومة وبنى الأعمام والاخوة ويتذاكرون اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة مولاه حين عقد له يوم مؤته على جلة بنى هاشم وجعله أمير كل بلدة يطؤها ويتذاكرون حبه لأسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب وعقده له على عظماء المهاجرين وأكابر الانصار ويتذاكرون صنيعه بسائر مواليه كابى أنسة وشقران وفلان وفلان

كَفَيْتُكَ النَّاسَ لا تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ • بَنِى دارِكَ يَسْتَعْدِى على الزَّمَنِ

ان الرجاء الذى قد كنت آمله • وضَعْتُهُ ورجاءَ الناس فى كَفَنِ

فى الله منه وجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ • ليس السَّدَى والنَّدَى فى راحةِ الحَسَنِ

واسحق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف

أَلْقَى بجانب خَصْرِهِ • أَمْضَى من الأَجَلِ المُتَاحْ

وكأنما ذَرَّ الهَبَا • ءَ عليه أنفاسُ الرِياحْ

واسحق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية

النَّحْوُ يَبْسُطُ من لسان الأَلْكَنِ • والمَرْءُ تُكْرِمُهُ اذا لم يَلْحَنِ

واذا طَلَبْتَ من العلوم أَجَلَّها • فأَجَلُّها منها مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله • والمرء تكرمه اذا لم يَلْحَنِ • من حديث حدثناه أبو عثمان الخُزاعىّ عن الأصمعى قال كان يقال ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حتى يُدْرَى مَنْ هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يُعْرِبُ أو شَمِمْتَ منه طيبا وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ وهم رجل شَمِمْتَ منه رائحة نَبِيذٍ فى مَحْفِلٍ أو سمعته فى مِصْرٍ عَرَبِىٍّ يتكلم بالفارسية أو رجلٌ رأيته على ظهر طريق ينازع فى القَدَرِ قال أبو العباس أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّىِّ يُكْنَى أبا يزيد شيأ يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ وقَصَدَ بالمدح الى مَعْدِنِهِ واختاره لأهله

اشْرَبْ هَنِيأً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقا • فى شاذَهَرَ ودَعْ عُمْدانَ لليمنِ

فانتَ أَوْلَى بتاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ • من هَوْذَةَ بنِ علىٍّ وابنِ ذى يَزَنِ

فأَحْسَنَ الترتيب جدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر وانما ذكر ابنَ ذى يَزَنَ لقول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِىِّ حيث يقول

اشْرَبْ هنيأً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقا • فى رأس غُمْدانَ دارا منذ مُحْلالا

وقال الأَعْشَى فى هَوْذَةَ بن علىٍّ وان لم يكن هوذة مُلْكًا

مَنْ يَرْهَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ • اذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعَا

له أكاليلُ بالياقوتِ فَصَّلَها • صَوَّاغُها الآتَرَى عَيْبًا ولا طَبَعَا

قالوا ولنا صاحب الدولة أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وأبو سلمة حفص بن سليمان وأبو مسلم مولى الامام وعليهما دارت رحى الدولة وتم الأمر واتسق نظام الملك قالوا ولنا من رؤساء النقباء أبو منصور مولى خزاعة وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة وأبو حمزة عمر بن أعين مولى خزاعة وأبو النجم عامر بن اسماعيل مولى أبى معيط فلنا مناقب الخراسانية ولنا مناقب الموالى فى هذه الدعوة ونحن منهم واليهم ومن أنفسهم

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتزوج معدي قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال انما كانت خرزات تنظم له قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يجبر لطيمة كسرى في البر بجنبات اليمامة واللطيمة الابل تحمل الطيب والبز ووفد هوذة بن علي على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك في بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادي الذين يغتذون اللبن والتمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد هممت أن لا أقبل هدية ويروى أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي وروى بعضهم أو دوسي وذلك أن أعرابيا أهدى اليه هدية فمن بها فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادي وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب رجلا من الأشراف

أتيتك زائرا لقضاء حق ... فحال الستر دونك والحجاب

وعندك معشر فيهم أخ لي ... كأن اخاه الآل السراب

ولست بساقط في قدر قوم ... وان كرهوا كما يقع الذباب

ورائي مذهب عن كل ناء ... بجانبه اذا عز الذهاب

وقال أيضا

كنا ملوكا اذ كان أولنا ... الجود والبأس والعلى خلقوا

كانوا جبالا عزا يلاذ بها ... ورائحات بالوبل تنبعق

كانوا بهم ترسل السماء على الـ ... ـارض غيثا ويشرق الأفق

لا يرتقي الراقون ان فتقوا ... فتقا ولا يفتقون ما رتقوا

ليسوا كمعزى مطيرة بقيت ... فما بها من سحابة لثق

(اللثق البلل)

والضعف والجبن عند نائبة ... تنوبهم والحذار والفرق

هذا زمان بالناس منقلب ... ظهرا لبطن جديده خلق

الأسد فيه على براثنها ... مستأخرات تكاد تمزق

لا يدفع ذلك مسلم ولا ينكره مؤمن خدمناهم كبارا وحملناهم على عواتقنا صغارا هذا مع حق الرضاع والخؤولة والنشوء في الكتاب والتقلب في تلك العراص التي لم يبلغها الاكل سعيد الجدوجيه في الملوك فقد شاركنا العربي في فخره والخراساني في مجده والنبوي في فضله ثم تفردنا بعالم يشاركونا فيه ولا سابقونا اليه قالوا ونحن أشكل بالرعية وأقرب الى طباع الدهم وهم بنا آنس والينا أسكن والى لقائنا أحن ونحن بهم أرحم وعليهم

وكان سبب قوله هذا الشعر أن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس كان له صديقا وكان عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَةَ من رؤساء مَنْ أخذ البَصْرَةَ للأمون فى أيام الخلوع وكان معاضداً لطاهر بن الحسين فى حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا فى مواليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فولاّه البصرة وولّى ابن أبى عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر فلما رجعا الى البصرة تنكّر اسمعيل لابن أبى عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبى عيينة فلم يزل يهجو اسمعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضنّ بالرجل فكان يهجو من أهله مَنْ يواصل اسمعيل وكان أكبر أهله قدراً فى ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطّلع على علّته الا بشعر ابن أبى عيينة وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عبّاد بن عباد بن حبيب بن المُهَلَّب ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَةَ وكان قصيرا وكان ابن عباد أحولَ فذلك حيث يقول ابن أبى عيينة فى هذا الشعر الذى أمليناه

تَسْتَقْدِمُ النَّجْمَتانِ والبَرَقُ • فى زمنٍ سَرْوُ أهلِهِ المَلَقُ

عُورٌ وحُولٌ وثالثٌ لَهُمُ • كأنّهُ بين أسْطُرٍ لَحَقُ

ولهم يقول ولا ثنين ظن أنهما معهم وقدم وابه يريدون اسمعيل بن جعفر

ألا قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسَةٍ أو ثلاثةٍ • يُعَدُّونَ من أبناء آل المُهَلَّبِ

على باب اسمعيل رُوحوا وبَكِّروا • دَجاجَ القُرَى مبثوثةً حولَ ثَعْلَبِ

وأثْنُوا عليه بالجميل فانه • يُسَرُّ لكم حُبّاً هوالحبُّ واقْلِبِ

يلينُ لكم عند اللقاء مُوارِباً • ويَخْلُفُكُمْ منه بناب ومِخْلَبِ

ولولا الذى تُولُونَهُ لتَكَشَّفَتْ • سَريرتُهُ عن بِغْضَةٍ وتَعَصُّبِ

أبَعْدَ بلائى عنده اذ وَجَدْتُهُ • طريحا كنَصْلِ القِدْحِ لمّا يُرَكَّبِ

• به صَدَأٌ قد مابَهُ فَجَلَوْتُهُ • بكَفّى حتى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ

وركّبْتُهُ فى خُوطِ نَبْعٍ وريشْتُهُ • بقادِمَتَىْ نَسْرٍ ومَتْنِ مُعَقَّبِ

فما إنْ أتانى منه الا مُبَوَّأٌ • الىَّ بنَصْلٍ كالحريق مُذَرَّبِ

أعطف وجوههم أشبه فمن أحق بالأثرة وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال له وهذه الخلال فيه وقلت وذكرت ان النبوى قال نحن أصل خراسانى وهو مخرج الدولة ومطلع الدعوة ومنها نجم هذا القرن وصباهذا الناب وتفجر هذا الينبوع واستفاض هذا البحر حتى ضرب الحق بجرانه وطبق الآفاق بضيائه فابرأ من السقم القديم وشفى من الداء العضال وأغنى من العيلة وبصر من العمى وهذه بغداد وهى مستقر الخلافة

فَقَلَّتْ منه حَدَّهُ وتركتُهُ • كهُذْبة ثوب الخَزِّ لما يُهَدَّبِ

رَضيتم بأخلاقِ الدَنِيِّ وعِفْتُمُ • خلائقَ ماضيكم من العَمِّ والابِ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالى رأيتُكَ تُدْنِى كلَّ مُنْتَكِثٍ • اذا تَغَيَّبَ مُلْتاثٌ اذا حَضَرا

اذا تَنَسَّمَ ريحَ الغَدْرِ قابلها • حتى اذا نَفَخَتْ فى أنفه غَدَرا

ومَنْ يجىء على التقريب مندلَه • وأنتَ تَعْرِفُ فيه المَيْلَ والصَعَرا

أَحَلَّكَ اللهُ من قَحْطانَ مَنْزِلَةً • فى الرأس حيثُ أَحَلَّ السمعَ والبَصَرا

فلا تُضِعْ حَقَّ قَحْطانٍ فتُغْضِبَها • ولا رَبيعةَ كَلَّا ولا مُضَرا

أَعْطِ الرجالَ على مقدارِ أنفسهم • وأَوْلِ كُلًّا بما أَوْلَى وما صَبَرا

ولا تقولَنَّ انى لَسْتُ من أَحَدٍ • لا تَمْحَقِ النيِّرَيْنِ الشمسَ والقمرا

ويقول له فى أخرى

هو الصَبْرُ والتسليمُ لله والرضا • اذا نَزَلَتْ بى خُطَّةٌ لا أَشاؤُها

اذا نحن أُبْنَا سالمين بأنفُسٍ • كِرامٍ رَجَتْ أمرَ الخَباءِ رجاؤُها

فانفُسُنا خيرُ الغنيمةِ انها • تَؤُوبُ وفيها ماؤُها وحياؤُها

هى الأنفُسُ الكُبْرَى التى ان تقدمتْ • أواستأخرتْ فالقتلُ بالسيف داؤُها

سيعلم اسمعيلُ أن عداوتى • له رِيقُ أفعى لا يُصابُ دَواؤُها

ولما حُمِلَ اسمعيلُ مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسمعيل أيام الخُضْرة فقال ابن أبى عُيَيْنَة فى ذلك

مَرَّ اسمعيلُ وابنا • هُ مَعًا فى الأَسْراءِ جالسا فى مَحْمِلٍ ضَنْـ • ـدٍ على غير وطاءِ

يتغنَّى القيدُ فى رجـ • ـلَيْهِ ألوانَ الغناءِ باكيا لا رَقَأَتْ عَيْـ • ـناه من طول البكاءِ

يا عُقابَ الدَجْنِ فى الأَمْـ • ـنِ وفى الخوف ابنَ ماءِ

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله

لا تَعْدَمِ العَزْلَ يا أبا الحَسَنِ • ولا هُزِلْتَ فى دولةِ اليَمَنِ

والقرار بعد الجولة وفيها بقية رجال الدعوة وأبناء أبناء الشيعة وهى خراسان العراق وبيت الخلافة وفيها بقية رجال الدعوة وموضع المادة وأنا أعرف فى هذا الأمر من أبى وأكثر تردادا فيه من جدى وأحق بهذا الفضل من المولى والعربى ولنا بعد فى أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح ولنا المواجأة بالسكاكين وتلقى الخناجر بالعيون

ولا انتقالا من دار عافية • الى ديار البلاء والفتن

ولا خروجا الى القفار من الارض وترك الاحباب والوطن

كم روحة فيك لى مهجرة • ودلجة فى بقية الوسن

فى الحر والقر كى تولى على • بصرة عين الامصار والمدن

انى أحاجيك يا أبا حسن • ما صورة صورت فلم تكن

وما بهى فى العين منظره • لو وزنوه بالزيف لم يزن

ظاهره رائع وباطنه • ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسمعيل وولده وكان لا يبلغ ابن أبى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على • فطرة باع الرباح بالغبن

وما شيخ من تحت سدرته • معلق نعله على الغصن

وما سيوف حمر مصقلة • قد عريت من مقابض السفن

وما سهام صفر مجوفة • تحشى خيوط الكتان والقطن

وما ابن ماءان يخرجوه الى الارض تسل نفسه من الاذن

وما عقاب زوراء تلجم من • خلف فتهوى قصدا على سنن

لها جناحان يخفزان بها • نيطا اليها بجذوى رسن

باذا اليمينين اضرب علاوته • يدفع ومانى فى النار فى قرن

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم علم وكان رأسا من رؤس الزنادقة) فأجابه ابراهيم السواق مولى آل المهلب وكان مقدما فى الشعر بابيات لا احفظ أكثرها منها

قد قيل ما قيل فى أبى حسن • فانحر وانى تطاول الزمن

وهذا السواق هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

سماؤك تمطر الذهبا • وحربك تلتظى لهبا وأى كتيبة لاقت • لكم تستحسن الهربا

ونحن حماة المستلهم
وأبناء المضائق ونحن
أهل الثبات عند الجولة
والمعرفة عند الخبرة
وأصحاب المشتهرات
وزينة العساكر وحلى
الجيوش ومن يمشى فى
الرمح ويختال بين الصفين
ونحن أصحاب الفتك
والاقدام ولنا بعد
التسلق ونقب المدن
والتقحم على ظبات
السيوف وأطراف الرماح
ورضخ الجندل وهشم
العمد والصبر تحت
الجراح وعلى جر السلاح
اذا طار قلب الاعرابى
وساء ظن الخراسانى ثم

ومن شعره السائر هَبِينِي يا مُعَذِّبَتِي أَسَأْتُ • وبالهجران قبلكم بدأتُ

فاين الفضل مندفدتك نفسى • على اذا أسأت كما أسأتُ

ولابن أبي عُيَيْنَةَ فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين وهجاء اسمعيل وغيره سنذكرها بعدُ فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ومن شعره المستحسن قوله فى عيسى بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هَزَارَمَرْدَ (وقعت الرواية كما فى الاصل وصوابه هَزَاذَمَرْدَ بالزاى والذال معجمة ولا خلاف فى الزاى) وهو من ولد قَبيصةَ بن أبي صُفْرَةَ ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ وكان يقال لابى صُفْرَةَ ظالم بن سَرَّاق

أفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأيقنى • بذُلٍّ لديه عاجلٍ غيرِ آجلِ

فانكِ قد زُوِّجْتِ عن غيرِ خِبْرَةٍ • فَتًى من بَنى العباس ليس بعاقلِ

فان قُلْتِ من رَهْطِ النبىِّ فانه • وان كان حُرَّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ

فقد ظَفِرَتْ كَفَّاهُ منكِ بطائلٍ • وما ظَفِرَتْ كَفَّاكِ منه بطائلِ

وقد قال فيه جعفرٌ ومحمدٌ • أقاويلَ حتى قالها كلُّ قائلِ

وما قلتُ ما قالا لأنَّكِ أُخْتُنا • وفى السِّرِّ منا والذُّرا والكواهلِ

لَعَمْرِى لقد أَنْبَتِّهِ فى نصابِهِ • بأن صِرْتِ منه فى مَحَلِّ الحلائلِ

اذا ما بَنُو العباسِ يوما تبادَرُوا • عُرَا المَجْدِ وابتاعوا كِرامَ الفضائلِ

رأيتُ أبا العباسِ يَسْمُو بنفسه • الى بيعِ بَيَّاعاتِهِ والمَبَاقلِ

يُرَخِّمُ بَيْضَ العامِ تحتَ دَجاجِهِ • ليُخْرِجَ بَيْضًا من فَرارِيجَ قابلِ

قال أبو العباس وولدُ عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدةُ أبدانٍ وفاطمة التى ذكرنا هى التى كان يَنْسِبُ بها أبو عُيَيْنَةَ أخو عبد الله ويكنى عنها بدُنْيا ومن ذلك قوله لها

دَعَوْتُ دُنْيا بالقَرابةِ والجِوارِ • دُعاءَ مُصْرِحٍ بادى السرارِ

لأنِّى عندُ مُشْتَغِلٌ بنفسى • ومُحْتَرِقٌ عليكِ بغيرِ نارِ

وأنتِ تَوَقَّرِينَ وليس عندى • على نارِ الصَّبابةِ من وَقارِ

فأنتِ لأنَّ مابِكِ دونَ مابى • تُدارِينَ العيونَ ولا أُدارِى

الصبر تحت العقوبة والاحتجاج عند المسألة واجتماع العقل وصحة الطرف وثبات القدمين وقلة التكنى بحبل العقابين والبعد من الفرار وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفاء الاقارب والاخوان ولنا القناعند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب ولنا المواجأة فى الازقة والصبر على قتال السجون فسل عن ذلك الخلدية والسكتفية والبلالية والحزبية ونحن أصحاب المكابدات

ولو والله تستاقين شوقى • جمحت الى خالعة العذار

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الامير رسالة • محصورة عندى عن الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الحساد
واظن لى منها لديك خبيئة • ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديك كانه • من ثقله طود من الاطواد
وأراك ترجيه وتمضى غيره • فى ساعة الاصدار والايراد
الله يعلم ما أتيتك زائرا • من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائرا لك راجيا • بك رتبة الآباء والأجداد
قد كان لى بالمصر يوم جامع • لك مصلح فيه لكل فساد
ودعوت منصورا فاعلن بيعة • فى جمع أهل المصر والاجناد
بارت مسارعتى اليك بطاعتى • كل البوار وآذنت بكساد
فى الارض منفسح ورزق واسع • لى عندك فى غورى وفى انجادى

وقال أيضا يعاتبه

أياذا اليمينين ان العتا • ب يغرى صدورا ويشفى صدورا
وكنت أرى ان ترك العتا • ب خير وأجدر أن لا يضيرا
الى أن ظننت بأن قد ظننت • بأنى لنفسى أرضى الحقيرا
فاضمرت النفس فى وهمها • من الهم همّا يكد الضميرا
ولا بد للماء فى مرجل • على النار موقدة أن يفورا
ومن أشرب اليأس كان الغنى • ومن أشرب الحرص كان الفقيرا
علام وفيم أرى طاعتى • لديك ونصرى لك الدهر بورا
ألم أك بالمصر أدعو البعيد • اليك وأدعو القريب العشيرا
ألم أك أول آت أتاك • بطاعة من كان خلفى بشيرا
والزم غرزك فى ما قط الحروب عليها مقيما صبورا

وأرباب البينات وقتل الناس جهارا فى الاسواق والطرقات ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة وبين أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة والمطارد القصار ما كنا فرسانا فان صرنا كمينا فالحتف القاضى والسم الذعاف وان كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ونقاتل فى الماء كما نقاتل على الأرض ونقاتل فى القرية كما نقاتل فى المحلة ونحن أفتك وأخشب ونحن أقطع للطريق واذكر فى الثغور

مع حسن القدود وجودة الخرط ومقادير اللحى وحسن العمة والنفس المرة وأصحاب الفتوة ثم الخط والكتابة والفقه والرواية ولنا بغداد باسرها تسكن ماسكنا وتتحرك ماتحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى مغناها فاذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتاكها لفتاكها وخلاعها لخلاعها ورؤساؤها لرؤسائها وصلحاؤها لصلحائها ونحن تربية الخلفاء وجيران

❁ فقيم تقدم جحفلة • اليدأ أمامي وأدعى أخيرا

كأنك لم تر أن الفتى الحمي اذا زار يوما أميرا

❁ فقدم من دونه قبله • ألست تراه بسخط جديرا

ألست ترى ان سف التراب • به كان أكرم من أن يزورا

ولست ضعيف الهوى والمدى • أكون الصبا وأكون الدبورا

ولكن شهاب فان ترم بي • مهما تجد كوكبي مستنيرا

فهل لك في الاذن لي راضيا • فاني أرى الاذن غنما كبيرا

وكان لك الله فيما ابتغيت • له من جهاد ونصر نصيرا

❁ ولا جعل الله في دولة • سبقت اليها وريح فتورا

❁ فان ورائي لي مذهبا • بعيدا من الارض قاعا وقورا

به الضب تحسبه بالفلاة • اذا خفق الآل فيها بعيرا

ومالا ومصرا على أهله • يد الله من جائر أن يجورا

❁ واني لمن خير سكانه • وأكثرهم بنفيري نفيرا

وقال عبد الله لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله

أعلي الذ جاهل مغرور • لا ظلمة لك لا ولا لك نور

أكتبت توعدني ان استبطأتني • اني بحرب ما حييت جدير

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري • أطنين أجنحة البعوض يضير

واذا ارتحلت فان نصري المدلى • أبواهم المهدي والمنصور

نبئت عليه لحومنا ودماؤنا • وعليه قد رسعينا المشكور

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفنى غيما سعدها وربابها • بالسند قتل مغيرة بن يزيد

صعقت عليهم صعقة عتكية • جعلت لهم يوما كيوم ثمود

ذاقت تميم عركتين عذابنا • بالسند من عمر ومن داود

فدنا الجياد من العراق اليهم • مثل القطا مستنة لورود

يحملن من ولد المهلب عصبة • خلقت قلوبهم قلوب أسود

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطولة

اذا كرة فيهم كرة أفرجوا له • فرار بغاث الطير صاد فن أجدلا

وما نيل الا من بعيد بحاصب • من النبل والنشاب حتى تجدلا

وانى لمثن بالذى كان أهله • أبو حاتم ان ناب دهر فاعضلا

فتى كان يستحيى من الذم أن يرى • له مخرجا يوما عليه ومدخلا

وكان يظن الموت عارا على الفتى • يد الدهر الا أن يصاب فيقتلا

منية أبناء المهلب انهم • يرون بها حتما كتابا مؤجلا

وقد أطلق الله اللسان بقتل من • قتلنا به منهم ومن وأفضلا

أناخ بهم داود يصرف نابه • ويلقى عليهم كلكلا ثم كلكلا

يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا • وتقريهم هوج المجانيق جندلا

وهذا شعر عجيب من شعره وفى هذه القصة يقول

أبت الابكاء وانتحابا • وذكرا للمغيرة واكتئابا

ألم تعلم بان القتل وردا • لنا كلما حين صفا وطابا

وقلت لها قرى وثقى بقولى • كأنك قد قرأت به كتابا

فقد جاء الكتاب به فقولى • ألا لا تعدم الرأى الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا • عوابس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أغر مهلبى • تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخى حفاظ • اذا يدعى لنائبة أجابا

فما بلغت قرى كرمان حتى • تخدد لحمها عنها فذابا

وكان لهن فى كرمان يوم • أمر على الشراة بها العرابا

الوزراء ولدنا فى أفنية ملوكنا ونحن أحدثة خلفائنا فاخذنا بآدابهم واحتذينا على مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا أنتهم بغيرهم ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم وممن يترشح للاعتراض عليهم فمن أحق بالأثرة وأولى بالقرب فى المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له ان ذهبنا حفظ الله بعقب هذه الاحتجاجات وعند منقطع هذه الاستدلالات تستعمل المفاوضة بعناقب الاتراك

وانّا تاركون غدًا حديثًا • بأرض السِّند سعدًا والربابا

تُفاخِرُ بابن أحوزها تميمٌ • لقد حان المُفاخِرُ لى وخابا

وفى مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عُيَيْنَة

أعاذِلُ صَه لستَ من شيمتى • وان كنتَ لى ناصحا مُشْفِقا

أراكَ تُفَرِّقُنى دائبًا • وما ينبغى لىَ أن أفرقا

أنا ابنُ الذى شاد لى منصبًا • وكان السِّماكَ اذا حَلَّقا

قريعُ العراقِ وبِطريقُهم • وعِزُّهُمُ المُرتجَى المُتَّقَى

فَمَنْ يستطيعُ اذا ما ذَهَبْتُ أن أنطِقَ فى المَجدِ أن يَنْطِقا

انا ابن المُهَلَّبِ ما فوقَ ذا • لعالٍ الى شَرَفٍ مُرتَقَى

فَدَعْنى أُغلى ثيابَ الصِّبا • بجِدَّتِها قبلَ أن تَخلَقا

(قال أبو الحسن وهذا شعر حسن أوله

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسًا أن تَعشَّقا • وما أنتَ والعشقُ لولا الشَّقا

أمِن بَعدِ شَرْبِكَ كأسَ النُّهى • وشِيمَكَ رَيحانَ أهلِ التُّقَى

عَشِقتَ فأصبحتَ فى العاشقيـ • ـن أشهرَ من فَرَسٍ أبلقا

ثم قال • أعاذِلُ صَه لستَ من شيمتى • ثم قال بعد قوله • فَدَعْنى أُغلى ثيابَ الصِّبا •

أدنياى من غمرِ بحرِ الهوى • خُذى بيدى قبلَ أن أغرقا

أنالكِ عبدٌ فكونى كمَنْ • اذا سَرَّهُ عبدُهُ أعتَقا

قال أبو الحسن قوله انالكِ عبدٌ فوصَلَ بالالف فهذا انما يجوز فى الضرورة والالف تُثبَتُ فى الوقف لبيان الحركة فلم يُحتَجْ الى الالف ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يَدُ غَمٍّ أو سَمِينًا فانّنى • سأجعَلُ عَينَيهِ لنَفسِهِ مَقْنَعا

لانه اذا وُقِفَ وُقِفَ على الهاء وَحْدَها فأجرَى الوصل على الوقف وأنشدوا قول الأعشى

فكيف أنا وانتِحالُ القوا • فى بَعدَ المَشيبِ كَفَى ذاكَ عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوا • فى بعد المشيب

والمقاربة بين خصال هم وخصال كل صنف من هذه الأصناف سلكنا فى هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات فى كتبهم وطريق أصحاب الأهواء فى الاختلاف الذى بينهم وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ولنزيد فى الألفة ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت فى النسب كم مقدار الخلاف فى الحسب

سَقَى اللهُ دُنْيا على نأيها ٭ من القطرِ منبعقارِ يقا

ألم أخدعِ الناسَ عن حبها ٭ وقد يخدعُ الكيسُ الأحمقا

بلى وسبقتهمُ انني ٭ أحبُّ الى المجدِ أن أسبقا

ويومَ الجنازةِ اذ أرسلتْ ٭ على رقبةٍ أن جنى الخندقا

الى السالِ فاختر لنا مجلسا ٭ قريباً واياكَ ان تخرقا

هذا مما يغلطُ فيه عامةُ أهل البصرة يقولون السالَ بالتخفيف وانما هو السالُّ باهذا وجمعه سُلَّانٌ وهو الغالُّ وجمعه غُلَّانٌ وهو الشقُّ الخفيُّ فى الوادى

فكنا كغصنين من بانةٍ ٭ رطيبين حدثانَ ما أورقا

فقالت لتربٍ لها استنشديه ٭ من شعرِه الحسنِ المنتقى

فقلتُ أمرتُ بكتمانه ٭ وحُذِّرتُ ان شاعَ ان يُسرقا

فقالت بعيشكِ قولي له ٭ تمتَّعْ لعلَّكَ أن تُنفقا

قوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تُنفقُ لان لعلَّ من اخوات انَّ فاجريتَ مُجراها ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى كما قال مُتمِّم بن نُوَيرة

لعلَّكَ يوماً ان تلمَّ ملمَّةٌ ٭ عليكَ من اللاتى بدعنكَ أجدعا

وهو كثير) قال أبو العباس وزعم أبو مُعاذ النحوىُّ انه كان يعتادُ عبدَ الله بن محمد بن أبى عيينة ويكثر المُقامَ عنده وكان راوية لشعره وأمُّ ابن أبى عُيَيْنَةَ بن المهلب يقال لها خَيْرةُ وهى من بنى سَلِمَة الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ فابطأتْ عليه أياما فكتب الىَّ

تمادَى فى الجفاء أبو مُعاذٍ ٭ وراوَغنى ولاذَ بلا ملاذِ

ولولا حقُّ اخوالى قُشَيْرٍ ٭ أتتْه قصائدٌ غيرُ اللذاذِ

كما راح الهلالىُّ بن حَرْبٍ ٭ به سمةٌ على عُنُقٍ وحاذِ

يعنى محمد بن حرب بن قَبيصة بن مُخارق الهلالىَّ وكان من أقعد الناس ولقبيصة بن المخارق صحبةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فاكرمه وبسط له رداءه وقال مرحبا بخالى فقال يارسول الله رقَّ جلدى ودقَّ عظمى وقلَّ مالى وهُنْتُ على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

لئلا يغير بعضهم مغير ويفسده عدو باباطيل مموهة وشبهات مزورة فان المنافق العليم والعدو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل فى صورة الحق ويلبس الاضاعة ثياب الحزم الا أنا على حال سنذكر جملا من أحاديث رويناها وأمورا رأيناها وشاهدناها وقصصا تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالا

لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الادب غزيره فاغضب ابن أبي عيينة في حكم جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى وكان على شرطته اذذاك فني ذلك يقول عبد الله بن أبي عيينة

بأخوالي وأعمامي أقامت ... قريش ملكها وبها انتهاب
متى ما أدع أخوالي لحرب ... وأعمامي لنائبة أجابوا
أنا ابن أبي عيينة فرع قومي ... وكعب والدي وأبي كلاب
خلا ابن عكابة الظربان سهل ... له فسو تصاد به الضباب
وآخر من هلال قد تداعى ... فصار كأنه الشئ الخراب

وجها أشد استقلالا ومن أثقب حسبا وأيقظ عينا وأزكى نفسا وأشد غورا وأهم خواطر وأكثر نفعا في الحروب وضرا وأدرب دربة وأعمض مكيدة وأشد احتراسا وألطف احتيالا حتى يكون الخيار في يد الناظر في هذا الكتاب المتصفح لمعانيه والمقلب لوجوهه والمفكر في أبوابه والمقابل بين أوله وآخره ولا نكون نحن انتحلنا شيأ دون شئ ونقلدنا تفضيل بعض على بعض بل لعلنا ان لا نخبر عن خاصة ما عندنا

(باب)

قال أبو العباس كان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال صحابته ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع قال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المصائب كلها ... الا عليك فانه مذموم

قال أبو العباس واحسب ان حبيبا الطائي سمع هذا فاستوقفه في بيتين أحدهما قوله في ادريس بن بدر الشامي

دموع أجابت داعي الحزن همع ... توصل منا عن قلوب تقطع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما ... فاصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله

قالوا الرحيل فما شكت بانهم ... نفسي عن الدنيا تريد رحيلا
الصبر أجمل غير أن تلددا ... في الحب أخرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربري

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضا

اصبر على القدر المجلوب وارض به ... وان أتاك بما لا تشتهي القدر
(فما صفا لامرئ عيش يسر به ... الا سيتبع يوما صفوه كدر)

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له أتحدثني

أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت قال التوزي فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الاعراب وكف بصره فكان اذا مر به موكب بلال يقول ما هذا فيقال له الامير فيقول خالد ❁ سحابة صيف عن قليل تقشع ❁ فقيل ذلك لبلال فاجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به بلال فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فاقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد فضربه مائتي سوط وقال بعضهم بل أمر به فدبس بطنه قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاقى كما لاقت بنو أسد ❁ فقد أصابتهم منها بشؤبوب

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أي صبها عليهم قال ابن هرمة

كم بازل قد وجأت لبتها ❁ بمستهل الشؤبوب أو جدل

يريد ما وجأها به من حديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الشؤبوب أو ما أشبه ذلك وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال

أبو مالك جارلها وابن برثن ❁ فيالك جاري ذلة وصغار

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه) فاعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو في الوقت الذي أعرض فيه عنه والي البصرة وعم الخليفة المنصور والشعر الذي تمثل به خالد ليزيد بن مفرغ الحميري قال

سقى الله دارا لي وأرضا تركتها ❁ الى جنب دارى معقل بن يسار

أبو مالك جارلها وابن برثن ❁ فيالك جاري ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له أن يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أو له وخالد لم يكن يقول الشعر ويروى انه وعد الفرزدق شيأ فأخره عنه وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه

بحرف واحد فاذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعا على هذه الصفة كان العدل له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهواء وقد ظن ناس كثير أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت في الصورة والخط والهجاء كانت حقائقها ومعانيها على حسب ذلك وليس الأمر على ما يتوهمون ألا ترى ان اسم الشاكرية وان خالف في الصورة والخط والهجاء اسم الجند فان المعنى فيهما ليس ببعيد لانهم يرجعون الى

سطحا وملأ الاخرى سلحا وقال ان عمرتم سطحي والا نخمتكم بسلحي وقال اياس بن معاوية المزني أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغي أن نجتمع في مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا أحب ان أسمع وخاصم الى اياس رجل رجلا في دين وهو قاضي البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استحر وكيع بن أبي سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترئ على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتي لاعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما نفعل الموالي والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذن والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد اغما خذ عدة فقال أولى لابن اللخناء وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن أرضى واختلف نصراني الى أبي دلامة مولى بني أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه ان يعطيه ألف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندي ولكن والله لأوصلنها اليك ادع على جاري فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابني نشهد لك فليس دون أخذها شيء فصار النصراني بالجار الى ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضي فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان الناس غطوني تغطيت عنهم * وان بحثوني كان فيهم مباحث

(وان حفروا بئري حفرت بآرهم * ليعلم قوم كيف تلك النبائث)

فقال ابن شبرمة من ذا الذي يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعي قد عرفت شاهدك فخل عن خصمك ورح العشية الي فراح اليه فغرمها من ماله وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبري على شهادة ورجل عدل فقال عبيد الله للمدعي أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدني شاهدا وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة في شيء قال فلقيني يدخل من باب المسجد ويريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (للبعيث)

طمعت بليلى أن تريع واغما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فأنشدني معرضا تاركا لما قصدت له

معنى واحد وعلم واحد والذي يرجعون اليه طاعة الخلفاء وتأييد السلطان واذا كان المولى منقولا الى العرب في أكثر المعاني ومجعولا منهم في عامة الاسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والدا والحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد جعل الله ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوبا الى أمه وقد جعل اسماعيل وهو ابن أعجميين عربيا لان الله تعالى لما فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التعيين

وبايعت ليلى فى خلاء ولم يكن • شهود على ليلى عدول مقانع

وكان ابن عائشة يتحدث عنه حديثا عجيبا ثم عرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثنى عنه جماعة لا أحصيهم كثرة ان عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بنى نهشل على أمر أحسبه دينا فقال له أترى قول الاسود بن يعفر • نام الخلى فما أحس رقادى • فقال له الرجل لا فرد شهادته وقال لو كان فى هذا خير لروى شرف أهله فحدثنى شيخ من الازد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوار بن عبد الله وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن يدعى دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعى بشاهدين يعرفهما سوار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسئلة فحمد الشاهدان فلم يزل يريث أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة والشاهدان قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله انا أحضر مجلس الحكم معك فاتئد بالجلية ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضى ان يسألكما كيف شهدتما ولكن انا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه دارى فان حدث بى حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو أدرتكما على دار سوار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لى ففهما انهما قد اغترا فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسئلة ان يقول أجائز العدالة هو فظننت أن عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه وحدثنى أحد أصحابنا ان رجلا من الاعراب تقدم الى سوار فى أمر فلم يصادف عنده ما يحب فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الاعرابى وكانت فى يده عصا

رأيت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا

بأننى أخبط فى ليلتى • كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى منع منه قال فما عاقبه سوار بشئ قال وحدثت ان اعرابيا من بنى العنبر سار الى سوار فقال ان أبى مات وتركنى وأخالى وخط خطين فى الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف نقسم المال فقال أههنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عنى انه تركنى وأخى وهجينا فقال سوار المال بينكم اثلاثا قال فقال

والترتيب وفطره على الفصاحة العجيبة على غير التشؤ والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى بدنه تلك الاجزاء وركبه اختراعا على ذلك التركيب وسواه تلك التسوية وصاغه تلك الصيغة ثم حماه من طبائعهم ومنعه من أخلاقهم وشمائلهم وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأسناها وأشرفها وأعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته وصار أحق بذلك النسب

الاعرابى أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى قال ثم أقبل على سواره فقال تعلم والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذا لا يضيرنى ذلك عند الله شيأ (قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر) وكان عقيل بن علفة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال أما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

رددت صحيفة القرشى لما ... أبت اعراقه الا احمرارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحه بن عبيد الله قد مبيت عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده

وقالوا ياجميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك ان نزلت جبال حسمى ... وان ناسبت بنته من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فاما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد

بالركبانية ... وكيف نوائى بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا فلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (قال ش وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وانما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد) وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لابى خراش الهذلى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثق فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش

فاقسم لو لاقيته غير موثق ... لاثبت بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل أسوأ الناس صرعة ... ولكن أقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وأولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم أبا لمن لم يلد فالنبوى خراسانى من جهة الولادة والمولى عربى من جهة المدعى والعاقلة ولو أحاط علمنا بان زيدا لم يخلق الا من نجل عمرو لنفيناه عنه وان أيقنا انه لم يخلق الا من ماء صلبه وكما جعل النبى أزواجه أمهات المؤمنين وهن لم يلدنهم ولا أرضعنهم وفى بعض القراآت وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم على قوله ملة أبيكم ابراهيم وجعل المرأة من جهة

وعادا لفتى كالكهل ليس بقائل * سوى الحق شيئا فاستراح العواذل

قوله أسوأ الناس صرعة أى الهيئة التى يُصرَع عليها كما تقول جلست جلسة وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القعدة والنعمة وقوله لآبدك أى لعادك وأصل هذا من الإياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا إيابهم وقال عبيد بن الأبرص

وكل ذى غيبة يؤوب * (وغائب الموت لا يؤوب)

وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فسمى العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) والنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشئ والآخر الذى قد شرب شربة فلم يروفاحتاج الى أن يعلّ كما قال امرؤ القيس

إذ هنّ أقساط كرجل الدبى * أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الاعلى وجهها وكان يقال ان أول من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة وكان أميرا لبصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رؤبة

وأنت يا ابن القاضيين قاضى * (معتزم على الطريق ماضى)

وكان بلال يقول أن الرجلين ليتقدمان الىّ فأجد أحدهما على قلبى أخف فاقضى له ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بحُناصرة فسدك (ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البُندار ان يكن شر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مُدافع فقال العلاء أنا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لى اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالى من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بدّ على ولاية العراق فاجعل لى قال لك عمالتى سنة وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم (العُمالة بضم العين أجرة العامل) قال فاكتب لى بذلك قال فارقد (معناه أسرع) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والى الكوفة أما بعد فان بلالا غرّنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام ويروى أنه كتب الى عبد الحميد اذا ورد

الرضاع أما واجعل امرأة البعل أم ولد البعل من غيرها وجعل الراب والدا وجعل العم فى كتاب الله أباوهم عبيده لا يتقلبون الا فيما قلبهم فيه وله ان يجعل من عباده من شاء عربيا ومن شاء أعجميا ومن شاء قرشيا ومن شاء زنجيا كما ان له ان يجعل من شاء ذكرا ومن شاء أنثى ومن شاء خنثى ومن شاء أخرجه من ذلك فجعله لا ذكرا ولا أنثى ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وهم أكرم على الله من جميع الخليقة فلم

عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى قال أبو العباس وكان بلال داهية لقينا أديبا ويقال أن ذا الرمة لما أنشده

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

تناخي عند خير فتى يمان * اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله * فقلت لصيدح انتجعي بلالا * قال يا غلام مر لها بقت ونوى أراد ان ذا الرمة لا يحسن المدح قوله سمعت الناس ينتجعون حكاية والمعنى اذا حققت انما هو سمعت هذه اللفظة أي قائلا يقول الناس ينتجعون غيثا ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم * أحق الخيل بالركض المعار

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره وكذلك الناس ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا في الكلام قرأت الحمد لله رب العالمين انما حكيت ما قرأت وكذلك قرأت على خاتمه الله أكبر يا فتى فهذا لا يجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباء تناوح الشمال فهي آية الشتاء ومعنى تناوح تقابل يقال تناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سميت لانها تقابل صاحبتها وقال يحيى بن نوفل الحميري ويقال أنه لم يمدح أحدا قط

فلو كنت ممتدحا للنوال * فتى لامتدحت عليه بلالا

* ولكنني لست ممن يريد * بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفي الكريم أخاه الكريم * ويقنع بالود منه نوالا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله

تقول عجوز مذ رجي متروحا * على بيتها من عند أهلي وغاديا

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة * أراك لها بالبصرة العام ثاويا

فقلت لها ان أهلي لجيرة * لكتبة الدهنا جميعا ومالیا

(قوله لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لا تقع الا في جواب أو انما سألته بام وهي لم يستقر

يجعل لآدم أبا ولا أما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حواء من ضلع آدم وجعلها له زوجا وسكنا وخلق عيسى من غير ذكر ونسبه الى أمه التي خلقه منها وخلق الجان من نار السموم وآدم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والأرض من الماء وخلق اسحاق من عاقر وأنطق عيسى في المهد وأنطق يحيى بالحكمة وهو صبي وعلم سليمان منطق الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة

عندها علم) وما كنتُ مذ أبصرتني في خصومة * أراجعُ فيها يا ابنة الخير قاضيا

ولكنني أقبلتُ من جانبي قسا * أزورُ فتى نجدا كريما نبيا

من آل أبي موسى ترى القوم حوله * كأنهم الكروان أبصرن بازيا

مُريتين من ليث عليه مهابةٌ * تفادى أسودُ الغاب منه تفاديا

وما الخُرقُ منه يرهبون ولا الخنى * عليهم ولكن هيبةٌ هي ماهيا

قوله مذ درجي يقول مُرورى فأما قولهم في المثل خيرُ من دبَّ ومن درج فمعناه من حيي ومن مات يريدون من دبَّ على وجه الأرض ومن درج منها فذهب وقوله أراك لها بالبصرة العلم ثاويا فانه يقال في هذا المعنى ثوى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى اذا أقام وهي أكثر ويقال أثوى فهو مُثوٍ يا فتى وهي أقلُّ من ثلاث قال الأعشى

أثوى وقصَّر ليلة ليُزوَّدا * فمضى وأخلف من قُتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بني تميم وقوله لأكثبة الدهنا فأكثبةٌ جمع كثيب وهو أقلُّ العدد والكثير كُثُبٌ وكُثبانٌ والدهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعضُ من يروي مدَّها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حنَّت الى نعم الدهنا فقلتُ لها * أُمِّي هلالاً على التوفيق والرشد

يعني هلالَ بن أحوزَ المازني وقال جرير * بازٍ يُصعصعُ بالدهنا قطاً جونا * وقوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا فالكروانُ جماعة كَرَوان وهو طائر معروف وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كَرَوانٌ وكِرْوانٌ كما تقول أخٌ وإخوانٌ وودٌّ وودلانٌ وبرقٌ وبِرقانٌ والبَرقُ أعجميٌّ ولكنه قد أُعرب وجُمع كما تُجمعُ العربية واستعمل الكَرَوانُ جمعا على حذف الزيادة واستُعمل في الواحد كذلك تقول العرب في مَثَل من أمثالها

أطرِق كَرا أطرِق كَرا * إنَّ النعامَ في القُرى

يريدون الكَرَوانَ وقوله من آل أبي موسى ترى القوم حوله فقال تَرى ولم يقل ترَيْن وكانت المخاطبةُ أولاً لامرأة الا تراه يقول

وما كنتُ مذ أبصرتني في خصومة * أراجعُ فيها يا ابنة الخير قاضيا

جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط ونطقوا بكل لسان وأنطق ذئب أهبان بن أوس والمؤمنون من جميع الأمم اذا دخلوا الجنة وكذلك أطفالهم والمجانين منهم يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلام أهل الجنة على غير الترتيب والتنزيل والتعليم على طول الأيام والتلقين فكيف يتعجب الجاهلون من انطاق اسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء وتأديب الحواضن وهذه المسألة ربما سأل عنها بعض القحطانية

ثم حوّل المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكأنّ التقدير والله أعلم كان للناس ثم حوّلت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال عنترة بن شدّاد شطّت مزار العاشقين فأصبحت * عسرا عليّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتي * واذا أردن سوى هواك عصينا

قال أولا رجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

فدى لك والدي وسراة قومي * ومالي أنه منه أتاني

على تحويل المخاطبة وقوله مرّ مين يريد سكوتا مطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدي منه بعضها ببعض وفي الخبر ان سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجّاج وحرمته الى يزيد بن المهلّب فتفادى منهم تأويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى * عليهم ولكن هيبة هي ساهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن أمره هيبة كما قال الله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أي ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل طاعة وقول معروف يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعة وقول معروف والوجه الآخر طاعة وقول معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر أي ولكن يهاب هيبة وأحسن ما قيل في هذا المعنى

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلّم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعني يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم * خضع الرقاب نواكس الأبصار

وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون في جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل لم يأت ذلك الا في حرفين أحدهما في جمع فارس فوارس لان هذا مما لا يستعمل في النساء فأمنوا الالتباس ويقولون في المثل هو هالك في الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون

ممن لا علم له بعض العدنانية وهي على حال القحطانية أشد فاما جواب العدناني فسلس النظام سهل المخرج قريب المعنى لان بني قحطان لا يدعون لقحطان نبوة فيعطيه الله تعالى مثل هذه الاعجوبة وما الذي قسم الله بين الناس من ذلك الا كما صنع في طينة الأرض فجعل بعضها حجرا وبعض الحجر ياقوتا وبعضه ذهبا وبعضه نحاسا وبعضه رصاصا وبعضه صفرا وبعضه حديدا وبعضه

مثل هذا أبدا الا فى ضرورة

﴿ باب ﴾

قال جرير ونزل بقوم من بنى العنبر بن عمرو بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول

يامالكَ بنَ طَريفٍ انَّ بَيْعَكُمُ * رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ للدِّينِ والحَسَبِ
قالوا نبيعكه بيعا فقلتُ لهم * بيعُوا الموَالِى واسْتَحْيُوا من العرب
لولا كرامُ طَريفٍ ما غَفَرْتُ لكم * بَيْعِى قِرَاىَ ولا أنسأتُكُمْ غَضَبِى
هل أنتمُ غيرُ أوْشابٍ زَعانفةٍ * رِيشُ الذُّنابَى وليس الرأسُ كالذَّنَبِ

قوله يامالكَ بنَ طَريفٍ فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعا لما قبله كالشئ الواحد وهو أكثر فى الكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى اسم علم جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشئ الواحد ومثل ذلك * ياحَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجارود * ومن وقف على الاسم الأول ثم جعل الثانى نعتا لم يكن الا الرفع لانه مفرد نُعِتَ بمضاف فصار كقولك يازيدُ ذا الجُمَّة وقوله ولا أنسأتُكُمْ غَضَبِى يقول لم أُؤَخِّرْه عنكم يقال نَسَأَ اللهُ فى أَجَلِكَ وأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَكَ والنَّسِىءُ من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بن كِنانةَ فأنزل الله عز وجل انما النَّسِىءُ زِيادةٌ فى الكُفْرِ لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيُحَرِّمون غيرَ الحرام ويُحِلُّونَ غيرَ الحلال لما يُقَدِّرونه من حُروبهم وتَصَرُّفِهِمْ فاسْتَوَتِ الشهورُ لَمَّا جاء الاسلام وأبان ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قوله انَّ الزمان قد استدار كهيئته يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السموات والأرضَ وقوله هل أنتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ فالأشابةُ جماعةٌ تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأَشِبِ أى المختلط ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِبَ يقال بالفارسية وَقَعَ القومُ فى آشُوب فى اختلاط ثم تَصَرَّفَ فقيل تَأَشَّبَ النبتُ فصُنِعَ منه فِعْلٌ (هذا وَهْمٌ من أبى العباس ليس الأُشابةُ ولا الأَشِبُ من الأَوْشابِ لان فاء الفعل من الأُشابة همزة ومن أَوْشابٍ واوٌ ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وُشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزَّعانِفُ فأصلها أَجْنِحَةُ السَّمَكِ سمى بذلك الأدْعِياءُ لانهم التصقوا بالصَّمِيمِ كما التصقت تلك الاجنحة بعظام السمك قال أَوْسُ بن حَجَرٍ

(ومازالَ يَغْرِى الشَّدَّ حتى كأنَّما) * قَوائِمُهُ فى جانِبَيْهِ زَعانِفُ

ترابا وبعضه نخارا وكذلك الزاج والمغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار والتوتيا والنوشادر والمرقشيشا والمغناطيس ومن يحصى عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز واذا كان الامر على ما وصفنا فالنبوى خراسانى واذا كان الخراسانى مولى والمولى عربيا فقد صار الخراسانى والنبوى والمولى مولى والعرب شيأ واحدا وأدنى ذلك ان يكون الذى معهم من خصال الوفاق غامر لما معهم من خصال الخلاف

وتزعم الرواة أن ما أنفت منه جلة الموالى هذا البيت يعنى قول جرير

• بيعوا الموالى واستحيوا من العرب • لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيبا ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الاشراف ما علمت ولدك قال الفرائض قال ذلك علم الموالى لا أبالك علمهم الرجز فانه جرت أشدا قهم ومن ذلك قول الشعبى ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فما وجدونا بالفروق أشابة • ولا كشفا ولا دعينا موالیا

ومن ذلك قول الآخر

يسمونا الاعراب والعرب اسمنا • وأسماؤهم فينا رقاب المزاود

يريد أسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر يريد العربى والعجمى وقال المختار لابراهيم بن الاشتر يوم خازر (وقعت الرواية كما فى الاصل ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله جازر بالجيم) وهو اليوم الذى قتل فيه عبيد الله بن زياد ان عامة جندك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم ومن ذلك قول الاشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رحمه الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلى على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك قال فركض على المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدى مالنا ولهذا يعنى الاشعث ليقول ان أمير المؤمنين اليوم فى العرب قول لا يزال يذكر فقال على من يعذرنى من هذه الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويجر جر قوم للذكر فيأمرنى أن أطردهم ما كنت لاطردهم فأكون من الجاهلين والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الاحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

وتركب خيل لا هوادة بينها • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما قال جرير لبنى العنبر • هل أنتم غير أوشاب زعانفة • لان النسابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم انما هو ابن عمرو بن بهراء وأمهم أم خارجة الجحلية التى يقال لها فى المثل أسرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت فى العرب فى نيف وعشرين حيا من آبائه متفرقين وكان يقول

بل هم فى معظم الأمر وفى كبر الشأن وعمود النسب متفقون فالاتراك خراسانية وموالى الخلفاء قصرة فقد صار فضل التركى الى الجميع راجعا وصار شرفهم زائدا فى شرفهم واذا عرف سائر الاجناد ذلك سامحت النفوس وذهب التعقيد ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال فلم يبق الا التحاسد والتنافس الذى لا يزال يكون بين المتقاربين فى القرابة وفى الصناعة وفى المجاورة على ان التوازر والتسالم فى القرابات وفى

لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس بن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم قد ورد بلادهم فأحسوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تزوجها وسبقهم لانه كان راكبا فقال لها ان فيه لبقية فقالت ان شئت فجاؤا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فتزعم الرواة أنها جاءت بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء فانزلوا مائحا من تميم فجعل المائح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيد والقليب فاذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

فدرا بني من دلوي اضطرابها ٭ والنأي عن بهراء واغترابها ٭ الا تجيئ ملأي يجئ قرابها

فهذا قول النسابين ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت نذرت أن تعتق قوما من ولد اسمعيل فسبي قوم من بني العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سرك أن تعتقي الصميم من ولد اسمعيل فأعتقي من هؤلاء فقال النسابون فبهراء من قضاعة وقد قيل قضاعة من بني معد فقد رجعوا الى اسمعيل ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسمعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله عليه فقد رجعوا الى اسمعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة وقيل من الأنصار ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهميثم بن الأسود النخعي وكان العريان تزوج زباد من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال

أعريان ما يدري أمر وسيل عنكم ٭ أمن مذحج تدعون أم من اياد

فان قلتم من مذحج ان مذحجا ٭ لبيض الوجوه غير جد جعاد

وأنتم صغار الهام جعد كأنما ٭ وجوهكم مطلية بمداد

فان قلتم الحي اليمانون أصلنا ٭ وناصرنا في كل يوم جلاد

فأطول بأير من معد ونزوة ٭ نزت بإياد خلف دار مراد

بني الأعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادي ولحب التناصر والحاجة الى التعاون انضم بعض القبائل في البوادي الى بعض ينزلون معا ويظعنون معا ومن فارق أصحابه أقل ومن نصر ابن عمه أكثر ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة فيها أكثر ممن بغاها الغوائل وتمنى انقطاعها وزوالها ولابد في اضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل الا ان ذلك قليل من كثير وليس يكون ان تصفو الدنيا

لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ اذْ يَنْكِحُونَهُ • زِيَادٍ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزِيَادِ

أَبَعْدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ • كَمُنْزِيَةٍ عِيرًا خِلَافَ جَوَادِ

وَأَنْكَحَهَا لَا فِي كِفَاءٍ وَلَا غِنًى • زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَ زِيَادِ

قوله أمن مذحج تدعون أم من اياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد ابن نزار بن معد بن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا أخوان من اياد فأما ثقيف فهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم وكثرة مناكحهم قريش وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون أنا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال الحجاج يوما لابى العسوس الطائى أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها وان كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس (رواية عاصم رحمه الله العسوس والعسوس وفى رواية ش كما فى دخل الكتاب)

يؤدبنى الحجاج تأديب أهله • فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لأخشى ضربة ثقفية • يقد بها من عصاه المقلدا

على أننى مما أحاذر آمن • اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدا

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء متزهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لأطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فأى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الأرض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما يتيمها الى اياد والآخر

ويبقى من الفساد والمكروه وحتى يموت جميع الخلاف ويستوى لاهلها ويتمهد لسكانها على ما يشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضى الله عنه ونضر وجهه فلم يصل اليه لأسباب يطول ذكرها فلذلك لم أعرض للاخبار عنها وأحببت ان يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب اسراف فى مديح قوم واغراق فى هجاء

الى بكر بن هوازن فقضى بها الدبادى وقال

ان ثقيفا لم تكن هوازنا ٭ ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فنى بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء وقالت أخت الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو ٭ مكاثرة ونقطع بطن واد

ونصحب مذحجا بأخاء صدق ٭ وان تنسب فنحن ذرا اياد

ثقيف عمنا وأبو أبينا ٭ واخوتنا ازار أولو السداد

قوله وأنتم صغار الهام حذل فالاحذل المائل العنق يقال قوس حذلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولها فارض ٭ حذلاء كالرمح نحاه الماخض

(كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لا تكون للانثى قاله ش) وأما قوله زياد يافتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر وقوله لقد ما قصروا فما زائدة مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولو قال لقد ما قصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم وقوله كمنزية عيرا خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لافى كفاء يقال هو كفؤك وكفؤ لك وكفيئك وكفاؤك اذا كان عديلك فى شرف أو ما أشبهه كما قال الفرزدق ٭ وتنكح فى أكفائها الحبطات ٭

(أول هذا البيت ۞ بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع ۞ وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيء لدارم ٭ بلى ولابيات بها الجوزات

عباد يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع) وقال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لامنعن النساء الا من الاكفاء وتحدث أصحابنا عن الاصمعى عن اسحق بن عيسى قال قلت لأمير المؤمنين الرشيد أو المهدى يا أمير المؤمنين من أكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية وزياد الذى ذكر كان أخاها

آخرين فان الكتاب اذا كان كذلك شأنه وخالطه التزيد وبنى أساسه فى التكلف خرج كلامه مخرج الاستكراه والتعليق وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا وظاهر حال الممدوح موافقا وبه لائقا حتى لا يكون من المعبر عنه والواصف له الا الاشارة اليه والتنبيه وأنا أقول ان كان لا يمكن ذكر مناقب الا تراك الا بذكر مثالب سائر الأجناد

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعَالِ مكسورَ الآخر)

(وهو على أربعة أضرب والاصل واحد)

قال أبو العباس اعلم انه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته وهو في المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَ وقُثَمَ في المذكر وفُعَلٌ معدولٌ في حال المعرفة عن فاعِلٍ وكان فاعِلٌ ينصرف فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف وفَعالِ معدولٌ عن فاعِلَةَ وفاعِلَةُ لا ينصرف في المعرفة فَعُدِلَ الى البناء لانه ليس بعدما لا ينصرف الا المبنيُّ وبنى على الكسر لان في فاعِلَةَ علامةَ التأنيث وكان أصلُ هذا ان يكون اذا اردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذي هو في معناه فكَسَرْتَهُ لالتقاء الساكنين مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة تقول للمرأة أنتِ فَعَلْتِ فالكسر علامة التأنيث وكذلك اذهبِي وضربتُ يا امرأةُ فما لا يكون الا معرفةً مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يا فتى ومعناه انزل وكذلك تَرَاكِ زيدًا أي اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا قال الشاعر تصديقا لذلك

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتِ اذا ... دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

فقال دعيتِ لما ذكرته لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيدُ الخيل

وقد عَلِمَتْ سَلامةُ أنَّ سَيْفِي ... كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر

تَرَاكِهَا من إبلٍ تَرَاكِهَا ... أما تَرَى الموتَ لَدَى أوراكِهَا

أي اتْرُكْهَا وقال آخر (هو رؤبة)

حَذَارِ من أَرْمَاحِنَا حَذَارِ ... وقال آخر (هو أبو النجم)

نَظَارِ كَيْ أَرْكَبُهُ نَظَارِ

فهذا باب من الاربعة ومنها أن يكون صفة غالبة فتُحَوَّلَ تَحَوُّلَ الاسم نحو قولهم للضَّبُعِ جَعَارِ يا فتى وللمنية حَلَاقِ يا فتى لانها حالقة والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله

لَحِقَتْ حَلَاقِ بهم على أَكْسَائِهِم ... ضَرْبَ الرِّقَابِ ولا يُهِمُّ المُغْنَمُ

وتقول في النداء يا فَسَاقِ ويا خَبَاثِ ويا لَكَاعِ تريد يا فاسقةُ ويا خبيثةُ ويا لكعاءُ لانه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل يا فُسَّقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ فهذا باب ثان (حكى ابن السَّرَّاج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك ما عُدِلَ عن المصدر نحو قوله (هو المُتَلَمِّسُ يذم الخمر)

جَمَادِ لها جَمَادِ ولا تَقُولِي ... طَوَالَ الدَّهْرِ ما ذُكِرَتْ جَمَادِ

وقال

فترك ذكر الجميع أصوب والاضراب عن هذا الكتاب أحزم وذكر الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم الا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح وهو معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا أي لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من التطوع وذكر الاقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع ولكل الناس نصيب من النقص ومقدار من

وقال النابغة الذبيانيّ انّا اقتسمنا خطّتينا بيننا ٭ فحملت برّة واحملت فجار

يريد قولى لها جودا ولا تقولى لها احمدا هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (برّة اسم علم لجميع البرّ وفجار لجميع الفجور لابن جنّى تخصيصه برّة بفعلت وفجار بافتعلت مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب للخير واكتسب للشر) والباب الرابع ان تسمّى امرأة أو شيأ مؤنثا باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت لانه معدول فى الاصل وسمّى به فنقل الى مؤنث كالباب الذى كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قالوا اسق رقاش انها سقّايه وقال آخر

اذا قالت حذام فصدّقوها ٭ فانّ القول ما قالت حذام

وينشدون ٭ واقفر من سلمى شراء فيذبل ٭ (كذا وقع والصحيح فقد اقفرت سلمى شراء لان قبله ٭ تأبّد من أطلال جمرة منزل ٭ والشعر للنمر بن تولب) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسمّوا به صرفوه فى النكرة ولم يصرفوه فى المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يردّ القول الآخر فيقول هذه رقاش قد جاءت وهذه غلابٌ قد جاءت وهذه غلابٌ أخرى ولا اختلاف بين العرب فى صرفه اذا كان نكرة وفى اعرابه فى المعرفة وصرفه فى النكرة اذا كان اسما لمذكر نحو رجل تسميه زالا أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو اتان لان التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيأ بالفعل الذى هو مأخوذ منه لاعربته نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى اصبع وأحمد وأثمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب * قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صعصعة زوّجت فى طيّئ

لا تحمدنّ الدهر أخت أخالها ٭ ولا ترثينّ الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرّة ٭ وهم طرحوها فى الاقاصى الاباعد

ويروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت انما النكاح رقّ فلينظر امرؤ من يرقّ كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا فى املاك فلان وفى ملك فلان وفى ملك فلان وفى ملكة فلان وفى ملكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة وأملكنيها وليّها ومن ذلك أنّ يمين الطلاق اذا وقع فيها حنث

الذنوب وانما يتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوى فاما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساوى دقيقها وجليلها ظاهرها وخفيها فهذا ما يعرفونه فيهم فاذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأهل المقايس من زعماء الجماعة يرون ذلك واجبا فى الاخلاق ومصلحة فى المعاش وتدبيرا فى التعامل على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك ان الامام

انما يكون محلها محل الاقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان أى أسيرات ويقال عنى فلان فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يقد العناة وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للمقتب مأسور اذا شد بالقد هذا أصل هذا فاما المثل فى قولهم انما فلان غل قل فانهم كانوا يتخذون الاغلال من القد فكانت تقمل وقال رجل يذكر امرأة زوجت من غير كف

لقد فرح الواشون أن نال ثعلب ٭ شبيهة ظبى مقلتاها وجيدها

أضرها فقد الولى فاصبحت ٭ بكف لئيم الوالدين يقودها

ولما زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصارى يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يعيره

لعمرى لقد جللت نفسك خزية ٭ وخالفت فعل الاكثرين الاكارم

ولو كان جد الك اللذان تتابعا ٭ ببدر لما راما صنيع الألائم

فقال ابراهيم بن النعمان يرد عليه

ما تركت عشرون ألفا لقائل ٭ مقالا فلا تحفل ملامة لائم

وان ألك قد زوجت مولى فقد مضت ٭ به سنة قبلى وحب الدراهم

وتزوج يحيى بن أبى حفصة وهو جد مروان الشاعر ويزعم النسابون ان أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة (الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خرقا فى ذلك يقول القلاخ بن حزن

لم أر أثوابا أجر خزية ٭ والأم مكسوا والأم كاسيا

من الخرق الذى صبين عليكم ٭ بحجر فكن المبقيات البواليا

فقال يحيى بن أبى حفصة يجيبه

تجاوزت حزنا رغبة عن بنائه ٭ وأدركت قبسا نائيا من عنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تقدم تقدما بينا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يثنى عنانه فينظر الى الخيل وقال

الاكبر والرئيس الاعظم مع الاعراق الكريمة والاخلاق الرفيعة والتمام فى العلم والحلم والكمال فى العزم والحزم مع التمكين والقدرة والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التى معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله ليجلله لباس الخلافة ويحبوه بهاء الامامة ويأعظم نعمه وأسبغها وأفضل كرامة وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من

الشاعر فمن يفخر بمثل أبي وجدي • يجئ قبل السوابق وهو ثاني

يريد ثاني عنانه وقال القُلاخ في هذه القصة

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالت حين أنكحها • لطالما كنتُ منذ العار أنتظر

أنكحتَ عبدين ترجو فضل مالهما • في فيد مما رجوتَ التربُ والحجرُ

❁ لله درُّ جيادٍ أنت سائسها • برذنتها وبها التحجيلُ والغررُ

وقال جرير يُعيّرهم رأيتُ مُقاتلَ الطَّلَبات حتى • فُروجَ بنانه كمرَ الموالي

لقد أنكحتُم عبدَ العبد • من الصُّهب المُشوَّهة السبال

فلا تفخر بقيس إنَّ قيسًا • خريتُم فوق أعظمه البوالي

الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل مالا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم ونحن قائلون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فيما انتهى الينا من القول في الاتراك زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الاشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن يغشون دار الخلافة وهي دار الأمامة قالوا جميعا بينا حميد بن عبد الحميد جالس ومعه أخشيد الصغدي وأبو شجاع شبيب بن بخار خداى

وقال آخر في مثل هذه القصة

ألا يا عباد الله قلبي مُتيَّمٌ • بأحسنِ من صلَّى وأقبحهم بعلا

يدبُّ على أحشائها كلَّ ليلة • دبيبَ القرنبى بات يقرو ونقاسها

القرنبى دويبّة على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما كان في ظهرها نقطة حمراء وفي قوائمها طول على الخنفس وهي ضعيفة المشي قال الفرزدق يعني عطية أبا جرير

قرنبى يعدُّ فقا مُقرفٍ • لئيم ما آثره قُعدد

(ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتانيث والقعدد اللئيم وجمعه قعادد) وفي هذا الشعر يقول

❁ ألم تر أنَّا بني دارم • زُرارةُ منَّا أبو معبد

ومنَّا الذي منعَ الوائدات • وأحيا الوئيد فلم تُوأد

ألسنا باصحاب يوم النسار • وأصحاب ألوية المربد

(النسار جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سُمي بهذا الاسم)

ألسنا الذين تميمٌ بهم • تُسامي وتفخرُ في المشهد

وناحيةُ الخير والأقرمان • وقبرٌ بكاظمة المورد

اذا ما أتى قبرَه عائذٌ • أناخ على القبر بالأسعد

أيطلبُ مجدَ بني دارم • عطيَّةُ كالجعل الأسود

ومَجْـدُ بنى دارِمٍ دونه • مكانُ السماكَيْنِ والفَرْقَدِ

(الرفع فى مكان أقوى وهو الوجه الجيد فى العربية) قوله ألم تر أنا بنى منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزُرارةُ الذى ذَكَرَ هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارِم وكان زرارة يُكْنَى أبا مَعْبَدٍ وكان له بَنُونَ مَعْبَدٌ ولَقيطٌ وحاجِبٌ وعَلْقَمَةُ والمأموم ويزعم قوم ان المأموم هو علقمةُ ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النَّسَّابةُ وكان حاجِبٌ أَذْكَرَ القومِ ورَوَوْا أن عبد الملك ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحدُ جُلَسائه يا أميرَ المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لَقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ ابن زُرارةَ ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثةَ أبدا وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَةَ وأُسِرَ حاجِبٌ ففُودِيَ فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عُكاظِيٌّ أَغْلَى فداءً من حاجب وكان أسره زَهْدَمُ العَبْسِيُّ (اخو كَرْدَم) فَلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبةِ القُشَيْرِيُّ وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعْصَعَةَ فأخذه ذو الرُّقَيْبةِ بعِزِّه وأنه فى محلِّ قومه فقال حاجب لما تنازعنى الرجلان خِفْتُ ان أُقْتَلَ بينهما فقلت حَكِّمانى فى نفسى ففعلا فحكمتُ بسلاحى وركابى لزَهْدَمٍ وبنفسى لذى الرُّقَيْبةِ وكان حاجب يُكْنَى أبا عكرشةَ وكان أحلمَ قومه وفى ذى الرقيبة يقول الشاعر (هو المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ واسمه زُهَيْرٌ ويُكْنَى أبا الفِضَّةِ)

ولقد رأيتُ القائلينَ وفعلَهُمْ • فلذى الرُّقَيْبةِ مالِكٍ فَضْلُ

كَفَّاهُ مُتْلِفَـةٌ ومُخْلِفَـةٌ • وعطاؤُهُ مُتَـدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفُدِيَ حاجِبٌ وقُتِلَ فى ذلك اليوم لَقيطٌ وأُسِرَ عمرو بن عمرو بن عُدَس فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق لان الفرزدق من بنى مُجاشِعِ بن دارِم وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ولجرير فى قَيْسٍ خُؤُولَةٌ فلما هجا الفرزدقُ قَيْسًا فى أمر قُتَيْبةَ بن مُسْلِم الباهلى قال

أتانى وأهلى بالمدينة وَقْعَةٌ • لآلِ تميمٍ أقْعَدَتْ كلَّ قائمِ

كأنَّ رؤسَ الناسِ اذ سَمِعوا بها • مُشَدَّخَةٌ هاماتُها بالأَماتِمِ

(حجارةٌ تُشْدَخُ بها الرؤس الواحدة أَمْيَمةٌ)

وما بين مَنْ لم يُعْطِ سَمْعًا وطاعةً • وبين تميمٍ غيرُ خَرْقِ الحَلاقِمِ

البلخى ويحيى بن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين فى العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب اذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم مفترقين ومجتمعين فليثبت كل رجل منكم دعواه وحجته يقول لكم أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان فى مائة من نخبته وثقاته أن يلقى بهم مائة تركى أو مائة خارجى فقال القوم جميعا الأن نلقى مائة تركى أحب الينا من أن نلقى

أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا ٭ جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم

وما منهما الا تقلد ماغه ٭ الى الشام فوق الشاحجات الرواسم

تذبذب فى المخلاة تحت بطونها ٭ محذفة الاذناب جلح المقادم

وما أنت من قيس فتنتج دونها ٭ ولا من تميم فى الرؤس الاعاظم

تخوفنا أيام قيس ولم ندع ٭ لعيلان أنفا مستقيم الخياشم

لقد شهدت قيس فما كان نصرها ٭ قتيبة الا عضها بالاباهم

وقال جرير يجيبه

أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم ٭ ولا ان تروعوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوف الفرزدق

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا ٭ لقومك يوما مثل يوم الاراقم

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا ٭ وعمرو بن عمرو واذ دعوا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ٭ وشدات قيس يوم دير الجماجم

فيوم الصفا كنتم عبيد العامر ٭ وبالخنو أصبحتم عبيد اللهازم

اذا عدت الايام أخزين دارما ٭ وتخزين يا ابن القين أيام دارم

أما قول الفرزدق

كان رؤس الناس اذ سمعوا بها ٭ مشذخة هاماتها بالاماثم

فان الشجاج مختلفة الاحكام فاذا كانت الشجة شقيقا يدمى فهى الدامية واذا أخذت من اللحم شيا فهى الباضعة واذا أمعنت فى اللحم فهى المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهى الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثرب الشاة من الشحم الا سماحيق أى طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهى الجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهى الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهى جليدة قد ألبست الدماغ فهى الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف ٭ فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمى يرد على يزيد بن عمرو بن الصعق فى هجائه بنى تميم

مائة خارجى وجميد ساكت فلما فرغ القوم جميعا من حجهم قال الرسول لجميد قد قال القوم فقل واكتب قولك وليكن حجة لك أو عليك قال بل أن ألقى مائة خارجى أحب الى لانى وجدت الخصال التى فضل بها التركى جميع المقاتلة غير تامة فى الخارجى ووجدتها تامة فى التركى ففضل التركى على الخارجى بقدر فضل الخارجى على سائر المقاتلة وذلك لان التركى بان من الخارجى بأمور ليس فيها للخارجى دعوى ولا متعلق على ان

• فانذ من هجاء بنى تميم • كمزداد الغرام الى الغرام

هم تركوك أسلح من حبارى • رأت صقرا وأشرد من نعام

وهم ضربوك أم الرأس حتى • بدت أم الشؤن من العظام

اذا يأسونها جشأت اليهم • شرنبثة القوائم أم هام

هذه الامور التى بان بها الترى من الخارجى أعظم خطرا وأكثر نفعا مما شاركه الخارجى فى بعضه ثم قال حميد والخصال التى يصول بها الخارجى على سائر الناس صدق الشدة عند أول وهلة وهى الدفعة التى يبلغون بها ما أرادوا وينالون بها ما أملوا والثانية الصبر على الخبب وعلى طول السرى حتى يصبحوا القوم الذين مر قوابهم غارين فيهجموا عليهم وهم بشر ولحم على وضم فيجعلوا بهم على الروية وعن رد

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السلمى وهو أحد غرر بان العرب فى الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذى ولى قتله منهم وكيع بن الدورقية القريعى وقوله فوق الشاجات يعنى البغال والرسيم ضرب من السير وانما عنى ههنا بغال البريد لقوله • محذفة الاذناب جلح المقادم • كما قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذنابى معاود • برید السرى بالليل من خيل برّبرا

وكانت بُرُد ملوك العرب فى الجاهلية الخيل وأما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما ويوم دير الجماجم يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وقوله بالخنو أصبحتم عبيد اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذهل بن ثعلبة وبنو تيم اللات ابن ثعلبة وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صعب بن على ثم تلهزمت حنيفة بن لجيم فصارت معهم وأما علقمة بن زرارة فانه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسى فقال حاجب فى ذلك

فان تقتلوا منا كريما فاننا • أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها • ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لاشيم مأوى الصعاليك وضبيعة أضجم الذى ذكره وضبيعة بن ربيعة بن نزار رهط المتلمس هذا القبهم وأما معبد بن زرارة فان قيسا أسرته يوم رحرحان فسار وا به الى الحجاز فاتى لقيط فى بعض الاشهر الحرم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذؤبان العرب فقال معبد يا أخى افدنى بمالى فانى ميت فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يشحون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير بعيرا لغرزدق وقومه بذلك

تركتم بوادى رحمان نساءكم • ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا
سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر • فكنتم نعاما عند ذاك منفرا
وأسلمت القلهاء فى الغل معبدا • ولاقى لقيط حتفه فتقطرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر يعنى مجد بنت النضر بن كنانة ولدت ربيعة بن عامر بن صعصعة وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعة والقلهاء لقب والقلح ان تركب الاسنان صفرة تضرب الى السواد ويقال لها الحبرة لشدة تأثيرها أنشد فى المازنى

لست بسعدى على فيه حبرة • ولست بعبدى حقيبته التمر

وزعم أبو الحسن الاخفش (سعيد بن مسعدة) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى أسنانه حبرة وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فعل الا ابل واطل (وامرأة بلز أى ضخمة قاله ابن قتيبة أما ابل فكما ذكر وأما اطل فليس كما ذكروا طل أصله اطل ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجلد الجلد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فعل الا ابل) وقوله ولاقى لقيط حتفه فتقطرا يقال قطره لجنبيه وقتره لغتان لان التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سلقه وسلقاه وبطحه لوجهه فان رمى به على رأسه قيل نكته ۞ رجع التفسير الى شعر الفرزدق الاول • أما قوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن مر ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قول واحد وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وقال بعض الرواة اشدد وطدتك والمعنى قريب يرجع الى الثقل فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم فكانوا يسمونه العلهز ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودل على ما من أجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن فهذا خبر بين ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم انهم انما فعلوا ذلك أنفة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن تميما منعت النعمان الاتاوة وهى الاذيان فوجه اليهم أخاه الريان بن المنذر وكانت للنعمان خمس كتائب احداها الوضائع وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومددا فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم فاذا

النفس بعد الجولة والنزوة لا يظنون أن أحدا يقطع فى ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد والثالثة ان الخارجى موصوف عند الناس بانه ان طلب أدرك وان طلب فات والرابعة خفة الازواد وقلة الامتعة وانها تجنب الخيل وتركب البغال وان احتاجت أمست بأرض وأصبحت بأخرى وانهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة والجنان الملتفة والدور المشيدة ولا ضياعا ولا

كان فى رأس الحول ردّهم الى أهليهم وبعث بمثلهم وكتيبة يقال لها الشّهباء وهى أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمّون الاشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم والخامسة دوسر وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجلّ من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفى ذلك يقول أبو المشمرج الشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن

يا ليت أمّ تميم لم تكن عرفت * مرّا وكانت كمن أودى به الزمن

ان تقتلونا فاعيار مجدّعة * أو تنعموا ففديما منكم المنن

منهم زهير وعتاب ومختضر * وابنا لقيط وأودى فى الوغا قطن

ويقول النعمان فى جواب هذا

لله بكر غداة الروع لو بهم * أرمى ذرا حضن زالت بهم حضن

اذ لا أرى أحدا فى الناس أشبههم * الا فوارس خامت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال

ما كان ضرّ تميما لو تغمّدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فاناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردّت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج فنذر قيس أن لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتلّ به من وأد ويقول فعلناه أنفة وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى فى القرآن وقال ابن عباس رحمه الله فى تأويل هذه الآية وكانوا الأبوّرين ولا يتخذون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم يريد الذكران وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يا رسول الله انى كنت أعمل عملا فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشرا وبين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت مسيم ابنى

مستغلات ولا جوارى مطعمات وانهم لاسلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند فى لقائهم وانما هم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغد ولها فى كل أرض من المياه والبرود ما يقوتها وان لم تجد ذلك فى بعض البلاد فأجنحتها تقرب لها البعيد وتسهل لها الحزون وكذلك الخوارج لا تمتنع عليهم القرى والطعم فان تمتنع عليهم ففى بنات أعواج وبنات شجاج وخفة الاثقال والقوة على طول الخبب ما يأتيها بأرزاقها وأكثر من

دارم فقال هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه لأخرجا الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان سقبا شاركنا فى أموالنا وان كانت حائلا وأذناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما اشترى منك حياتها ولا اشترى رقها قال فبكم قلت أختكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذلك لك على ان تبلغنى الجمل وإياها قال ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب على أن اشترى كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة فقد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه وكان ابن عباس يقرأ واذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت انما تسئل تبكيتا لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقوله وئدت انما هو أثقلت بالتراب يقال للرجل اتئد أى تثبت وتثقل كما يقال توقر قال قصير صاحب جذيمة (هذا وهم من أبى العباس وانما هو للزباء)

ما للجمال مشيها وئيدا • أجندلا يحملن أم حديدا (أم صرفانا باردا شديدا)

وقوله أضللت ناقتين عشراوين أضللت ضلتا منى وتحقيقه صادفتهما ضالتين كما قال (لرجل من قضاعة يقال له مالك بن عمرو وقبله

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا • وجد عجول أضلها ربع)

أو وجد شيخ أضل ناقته • حين تولى الحجيج فاندفعوا

والعشراء الناقة التى قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر وانما حمل الناقة سنة وقوله ما نارهما يريد ماء وسمهما كما قال

قد سقيت آبالهم بالنار • والنار قد تشفى من الأوار

أى عرف وسمهم فلم يمنعوا الماء وقوله فاذا بيت حريد يقول متنح عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل اذا تنحى عن الاناث فلم يبرك معها ويقال فى غير هذا الموضع حرد حرده أى قصد قصده قال الراجز

قد جاء سيل جاء من أمر الله • يحرد حرد الجنة المغله

وقالوا فى قوله عز وجل وغدوا على حرد قادرين أى على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من

أرزاقها والخامسة ان الملوك اذا أرسلوا اليهم أعدادهم ليكونوا فى خفة أزوادهم وأثقالهم وليقووا على التنقل كقوتهم لم يقووا عليهم لان مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وان كثفوا الجيش وضاعفوا العدد ثقلوا عن طلبهم وعن الفوت ان طلبهم عدوهم ومتى شاء الخارجى ان يقرب منهم ليتطرقهم أو ليصيب الغرة أو ليثبتهم فعل ذلك ثقة بانه يقيم عند الفرصة ورؤية

قولهم حاردت الناقة اذا منعت لبنها وحاردت السنة اذا منعت مطرها والبعير الاحرد هو الذى يضرب بيده وأصله الامتناع من المشى وأما قوله

وقبر بكاظمة المورد * اذا ما أتى قبره خائف * أناخ على القبر بالاسعد

فانه يعنى قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا ودخل الفرزدق البصرة فى امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله فى هربه حديث طويل واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله فمن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر ابن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسميها ويسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال فى كلمته التى هجوفيها بنى جعفر بن كلاب

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب لى غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى * بظهر فلا يعيا على جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت بالتميم بغالب * وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الاقوام أنك ماجد * وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال أحنيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب ستة ما بين حنيش وخنيس فوجه بهم اليه ومنهم مكاتب لبنى منقر ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

العورة ويمكنه الهرب عند الخوف وان شاء كبسهم ليقطع نظامهم أو ليقتطع القطعة منهم قال حميد فهذه هى مفاخرهم وخصالهم التى بها كره القواد لقاءهم قال القاسم بن سيار وخصلة أخرى وهى التى أرعبت القلوب وحشتها ونقضت العزائم وفسختها وهو ما تسمع الاجناد ومقاتلة العوام من ضرب المثل بالخوارج كقول الشاعر اذا ما رأى الخيل المحاذى القرى

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ٭ خشيت الردى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقرى المئين عظامه ٭ ولم يدن الا غالبا ميت يقرى

فقال لي استقدم أمامك انما ٭ فكالك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمط قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال

ياجارية اطرحي الينا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فالقه في عنق ماشئت فتخير العبد على

عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغدُ عليَّ في ثمنها فجعل لهذم يقودها

والفرزدق يسوقها حتى اذا انفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا

(قوله تقرى المئين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس

في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله ولم يدن الا غالبا ميت يقرى فانه نصب غالبا

لانه استثناء مقدم وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك أن حق الاستثناء اذا كان

الفعل مشغولا به أن يكون جاريا عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ماجاءني الا عبدُ الله وما رأيت الا

عبدَ الله وما مررت الا بعبدِ الله فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن في المستثنى الا

النصبُ نحو جاءني اخوتُك الا زيدا كما قال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم ونَصَبَ هذا على

معنى الفعل والا دليلٌ على ذلك فاذا قلت جاءني القوم لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم

فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعني فيهم زيدا أو أستثني ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذي

ذكرت لك أبين منه وهو مترجم مما قال غير مناقض له وان كان الاول منفيا جاز البدل والنصب

والبدل أحسن لان الفعل الظاهر أولى بان يعمل من المختزل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتاني

أحد الا زيدٌ وما مررت باحد الا زيد والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشيء يُفرَّغ له

الفعلُ فانت في المنفي اذا قلت ماجاءني أحدٌ الا زيدٌ اذا حذفت على جهة البدل صار التقدير

ماجاءني الا زيدٌ لانه بدل من أحد والموجبُ لا يكون فيه البدل لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا

زيدا لم يجز حذف الاول لا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي ماجاءني أحد الا زيدا

جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب والقراءة الجيدة ما فعلوه الا قليلٌ منهم وقد

قرئ الا قليلا منهم على ما شرحت لك في الواجب والقراءة الاولى فاذا قدمت المستثنى بطل البدل

رأى الضيف مثل الازرق المخفف

هذه زيادة القاسم بن سيار وأما حميد فانه قال فاما الشدة فالتركي فيها أحد أثرا وأجمع أمرا وأحكم شأنا لان التركي من أجل ان تصدق شدته ويتمكن عزمه ولا يكون مشترك العزم ومنقسم الخواطر قد عود برذونه ان لا ينثني وان ثناه فلا علا فروجه الا ان يديره مرة أو مرتين والا فانه لا يدع سننه ولا يقطع ركضه وانما أراد التركي ان يؤيس نفسه من البدرات ومن ان

لانه ليس قبله شئ يُبْدَلُ منه فلم يكن فيه الا وجهُ الاستثناء فتقول ما جاءنى الا أباكَ أحدٌ وما مررت الا أباكَ بأحدٍ وكذلك تُنْشَدُ هذه الاشعارُ قال كَعْبُ بن مالك الانصارىُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناسُ أَلَبٌ علينا فيكَ ليس لنا ... الا السُّيوفَ وأطرافَ القَنا وزَرُ

وقال الكُمَيْتُ بن زيد

فمالىَ الا آلَ أحمدَ شيعةٌ ... ومالى الا مَشْعَبَ الحقَّ مَشْعَبُ

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره وقوله فقال لى استَقْدِمْ أمامَكَ مُخْبِرٌ عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولا فمن ذلك قول زُهَيْر

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... *

وانما كلامها عنده أن تُبَيِّنَ بما يُرَى من الآثار فيها من قدم أهلها وحدثانِ عَهْدِهم ويُرْوَى عن بعض الحكماء أنه قال هَلَّا وقفتَ على المَعاهد والجِنان فقلتَ أيتها الجِنانُ مَنْ شَقَّ أنهارَكِ وغَرَسَ أشجارَكِ وجنى ثمارَكِ فانها ان لم تُجِبْكَ حوارًا اجابتكَ اعتبارا وأهل النظر يقولون فى قول الله عز وجل قالتا آتينا طائعين لم يكن كلام انما فَعَلَ عز وجل ما أراد فوُجِدَ قال الراجز

قد خَنَّقَ الحَوْضَ وقال قَطْنِى ... سَلَّا رُوَيْدًا قد مَلَأْتُ بَطْنِى

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه وكذلك قوله

فقال لى استَقْدِمْ أمامَكَ انما ... فكاكُكَ ان تلقى الفرزدقَ بالمصر

أى قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجير بقبره وحدثنى العباس بن الفَرَجِ الرياشىُّ فى اسناد قد ذَهَبَ عنى أكثره قال نزل النُّعمان بن المُنْذِر ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظل شجرة مُونِقَةٍ لَيْلَهُوَ النُّعمان هناك فقال له عدىُّ بن زيد أيها الملك أَبَيْتَ اللَّعْنَ أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال وما الذى تقول قال تقول

(مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ ... أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوال

وصُروفُ الدَّهْرِ لا يَبْقَى لها ... ولِمَا تأتى به صُمُّ الجبال)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا ... يَمْزُجون الخمرَ بالماء الزُّلال

(والاباريقُ عليها قُدُمٌ ... وجيادُ الخيلِ تَرْدى فى الجِلال

عَمِرُوا الدَّهْرَ بعَيْشٍ حَسَنٍ ... قَطَعوا دَهْرَهُمْ غيرَ عِجال)

ثم أَضْحَوْا عَصْفَ الدَّهْرِ بهم ... وكذاكَ الدَّهْرُ حالا بعد حال

يعتريه التكذيب بعد الاعتزام لهول اللقاء وحب الحياة لانه اذا علم انه قد صير بذونه الى هذه الغاية حتى لا ينثنى ولا يجيبه الى التصرف معه الابان يصنع شيأ بين الصفين فيه عطبه لم يقدم على الشدة الا بعد احكام الأمر والبصر بالعودة وانما يريد ان يشبه نفسه بالمخرج الذى اذا رأى أشد القتال لم يدع جهدا ولم يدخر حيلة ولينفى عن قلبه خواطر الفرار ودواعى الرجوع وقال الخارجى عند الشدة انما

قال فتنغّص النعمان وهذا فى الامثال كثير وفى الاشعار السائرة وأما قوله حكمك مسمّطا فاعرابه أنه أراد لك حكمك مسمّطا واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم السامع بما يريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصد والاشارة وكان يقال لرؤبة كيف أصبحت فيقول خير عافاك الله فلم يضمر حرف الخفض ولكنه حذف لكثرة الاستعمال والمسمّط المرسل غير المردود والكوماء العظيمة السنام

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال الليثى (هو الجاحظ) أعتق سعيد بن العاصى أبا رافع الا سهما واحدا فيه من أسهم لم يسمّ عددها لنا فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فأعتقه وكان لابى رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبى رافع وحديثه أثبت الحديث عن على بن أبى طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع شريفا وكان عبيد الله ينسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمرو بن سعيد الاشدق المدينة لم يعمل شيأ قبل ارساله الى عبيد الله بن أبى رافع فقال له مولى من أنت فقال له مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله أخاه غير راجع وأن عمرا قد ألحّ عليه فى ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنه والملح ههنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القينى

وانى لارجو منهما فى بطونكم ٭ وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغبر لان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرّها ٭ بمكة أن تبتاع حضنا بأذخر

قاله ش) وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العبا ٭ د والملح ما ولدت خالده

ويروى ان عبيد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال انا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمّام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بنى العباس حقّ أبيهم ٭ فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارث ٭ يحوز ويدعى والدا فى المناسب

يعتمد على الطعان والاتراك تطعن طعن الخوارج وان شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس فما بقى جيش على هذا النوع من الشدة والخوارج والاعراب ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل والترك يرمى الوحش والطير والبرجاس والناس والمجثمة والمثل الموضوعة والطائر الخاطف ويرمى وقد ملأ فروج دابته مدبرا ومقبلا ويمنة ويسرة وصعدا وسفلا ويرمى العشرة

يريدان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العم مدعوٌّ والدا فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله

أنّى يكون وليس ذاك بكائن • لبنى البنات وراثة الاعمام

ألغى سهامهم الكتاب فالهم • أن يشرعوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا • فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه • فحواه بالقربى وبالاسلام

حق البنات فريضة معروفة • والعم أولى من بنى الاعمام

الأسهم قبل ان يفوق الخارجى سهما واحدا ويركض دابته منحدرا من سهل أو متسفلا الى بطن واد باكثر ما يمكن الخارجى على بسيط الأرض والتركى له أربعة أعين عينان فى وجهه وعينان فى قفاه والخارجى عيب فى مستدبر الحرب وللخراسانى عيب فى مستقبل الحرب فعيب الخراسانية أن لها جولة عند أول الالتقاء فان ركبوا أكتافهم كانت هزيمتهم وكثيرا ما يثوبون وذلك بعد انخطار بالعسكر

وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءنى رجل من ولد أبى رافع فقال انى قد قاولت رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شئ فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبزعم انه خير منى قال قلت قد يتصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشئ قال لى أنت دافع مغرما لا أن ولا ائى عنده ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لتيم من هو أشرف ولا أمنى • وحدث ان أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجّت بهما الخصومة فقال عمرو يا أسامة أتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجّا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصى الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن أبى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة فقال معاوية الجلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس وكان

الذى اعتدّ به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به اليه بعد انقضاء أمر ابن الاشعث وكان سعيد عبدا لرجل من بنى أسد بن خزيمة فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعا فقال له الحجاج يا شقى بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤمّ بها الا عربى فجعلتنى اماما قال بلى قال أفما وليتنى القضاء فضجّ أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الاشعرى وأمرته ان لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أوما جعلتنى فى سمّارى وكلهم من رؤس العرب قال بلى قال أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرّقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شئ منها قال بلى قال فما أخرجك علىّ قال بيعة كانت لابن الاشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لاقتلنّك يا حرسىّ اضرب عنقه ونظر الحجاج فاذا جلّ من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالى فأحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم باهل القرى والانباط فقال انما الموالى علوج وانما أتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فامر بتسييرهم من الامصار واقرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا وردّ المنقوشين فرجعوا فى صورة الانباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الابل * أخرجها الحجاج من كير وظل

لو كان بدر حاضرا وابن حمل * ما نقشت كفاك فى جلد جمل

وقال شاعر لاهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن درّاج (ينسب للفرزدق)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم * اذ صار قاضيكم نوح بن درّاج

لو كان حيّا له الحجاج ما سلمت * كفّاه ناجية من نقش حجاج

ويروى عن حسّان المعروف بالنبطى صاحب منارة حسّان فى البطيحة قال أريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الامير ما صنع الله بك فقال يا نبطى أهذا عليك قال فرأيتنا انفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة ويروى عن حسان انه قصّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة قال أبو العباس وحدّثت من ناحية الزبيريين ان الجحّاف بن حكيم

واطماع العدو فى الشدة والخوارج اذا ولوا فقد ولوا وليس لهم بعد الفرار كرّ الا ما لا يعد والتركى ليست له جولة الخراسانى واذا أدبر فهو السهم الناقع والحتف القاضى لانه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب بسهمه وهو مقبل ولا يؤمن رهقه قال وهم قد علموا الفرسان حمل قوسين وثلاث قسى ومن الاوتار على حساب ذلك قال والتركى فى حال شدته معه كل شئ يحتاج اليه لنفسه ولسلاحه

دخل على عبد الملك والاخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال

ألا أبلغ الجحاف هل هو ثائر ٭ بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف بلى سوف نبكيهم بكل مهند ٭ ونبكي عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ علي بمثل هذا ولو كنت مأسورا لكم لخفت الاخطل فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم ومن هذا ونحوه أخذ السلمي قوله (قال أبو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ٭ رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدا ٭ سلت عليه سيوف الاحلام

وكان العديل بن الفرخ العجلي هاربا من الحجاج فجعل لا يحل ببلدة الا ريع لما نزل به من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد في ذلك يقول العديل

يخشونني الحجاج حتى كانما ٭ يحركه عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من ان تنالني ٭ بساط لايدي العملات عريض

فلم ينشب أن أتي به الحجاج ففي ذلك يقول العديل

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها ٭ لكان لجحاج على دليل

بنى قبة الاسلام حتى كأنما ٭ أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجا وسلمى جبلا طيئ وأجا مهموزا وانما هو أجا مقصورا فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى ٭ تخب نزائعا خبب الذئاب

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها ان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية ٭ فارعى فزارة لا هناك المرتع

وقال حسان بن ثابت سالت هذيل رسول الله فاحشة ٭ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان وكنت أذل من وتد بقاع ٭ يشج رأسه بالفهر واجى

ولدابته وأداة دابته فاما الصبر على الحبب ومواصلة السير وعلى طول السرى وقطع البلاد فظاهر أن فرس الخارجي لا يصبر صبر برذون التركي والخارجي لا يحسن ان يعالج فرسه الا معالجة الفرسان لخيولهم والتركي أحذق من البيطار وأجود تقويما ابرذونه على ما يريد من الراضة وهو استنتجه وهو رباه فلو اويتبعه ان سماه وان ركض ركض خلفه قد عوده حتى عرفه كما يعرف الفرس أجذم

وأما قول الفرزدق فانه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمَةُ بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قُرْبِه وولي عمر بن هُبَيْرَةَ فقال

راحتْ بمَسْلَمَةَ البِغالُ عشيةً • فارعَى فزارةُ لا هَنالكَ المَرْتَعُ

ولقد علمتُ اذا فزارةُ أُمِّرَتْ • ان سوف تَطْمَعُ فى الامارة أَشْجَعُ

قارى الامور تَنَكَّرَتْ أعلامُها • حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تَنْزِعُ

عُزِلَ ابنُ عمرو وابن بِشْرٍ قَبْلَهُ • وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

(تَنْزِعُ رواية عاصم فمن روى تُنْزَعُ بضم التاء يعنى تُعْزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النَّزْعِ فى القَوْسِ وهو الرمى يشير الى أنها محتاجة الى رأيها وأنها ترمى عن قوسها) فنى جواب هذا يقول الأَسَدِيُّ لما وَلِيَ خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ

بَكَتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها • فالآنَ من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

ومُلوكُ خِنْدِفَ أسلمونا للعِدَى • لله دَرُّ مُلوكِنا ما تَصْنَعُ

(كانوا كتاركةِ بَيْضِها جانبًا • سَفَهًا وغيرُهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ)

وأما قول حسان سالتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً فليس من لغته سلتُ أَسَالُ مثل خفتُ أخافُ وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لها الزنا ويروى ان أَسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تفاخرا فرضيا برجل فقال انى ما أقضى بينكما الا ان تجعلانى عَقْدًا وثيقا أن لا تَضْرِبانى ولا تَشْتِمانى فانى لستُ فى بلاد قومى ففعلا فقال يا أخا بنى أسد كيف تُفاخر العربَ وأنت تعلم انه ليس حَيٌّ أحبَّ الى الجيش ولا أبغضَ الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنت يا أخا هُذَيْلٍ فكيف تكلمُ الناس وفيكم خلالٌ ثلاثٌ كان منكم دليلُ الحبشة على الكعبة ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النَّحْيَيْنِ وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لكم الزنا ولكن اذا أردتما بَيْتَ مُضَرَ فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تميم وقيس قُومَا فى غير حفظ الله وأما بيتُ عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصى وكان يهاجيه فقال له فى كلمته

• وأما قولُك الخُلَفاءُ منا • فهم منعوا وريدَكَ من وداج

ولولاهم لكنتَ كحُوتِ بَحْرٍ • هَوَى فى مُظْلِمِ الغَمَرات داجى

والناقة حلى والجمل جأ
والبغل عدس والحمار سأساء وكما يعرف المجنون
لقبه والصبى اسمه ولو
حصرت مدة عمر التركى
وحسبت أيامه لوجدت
جلوسه على ظهر الارض
نادرا والتركى يركب فحل
ارماكه ويخرج غازيا
أو مسافرا أو متباعدا فى
طلب صيد أو سبب من
الاسباب فتتبعه الرمكة
وأفلاؤها ان أعياه
اصطيادا الناس اصطاد
الوحش وان أخفق منها
واحتاج الى طعام قصد

وكنتَ أذلَّ من وتدٍ بقاعٍ ٭ يُشَجِّجُ رأسه بالفِهْرِ واجى

وكان أحدَ من هرب من الحجاج سوّارُ بن المُضَرَّب (بفتح الراء) فى ذلك يقول

أقاتِلَنِى الحَجَّاجُ ان لم أَزُرْ له ٭ دَرَابَ وأَتْرُكْ عندهنْدٍ فُؤَاديا

فان كان لا يرضيهُ حتى تَرُدَّنى ٭ الى قَطَرِيٍّ ما اخالُكَ راضيا

اذا جاوَزَتْ دَرْبَ الجُبَيْرِ بن ناقتى ٭ فباستِ أبى الحَجَّاج لمائَنانيا

أَيَرْجُو بنو مَرْوانَ سمعى وطاعتى ٭ وقومى تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

(فاعل يرضيهُ مضمرٌ أو مَنْوِىٌّ تقديره فان كان لا يرضيهُ الارضاءُ ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيهُ الفاعلَ لان سيبويه رحمه الله قال الفاعلُ لا يكون جملة وحتى تَرُدَّنى جملةٌ قاله ابن الأَبْرَش) وورائى هاهنا بمعنى أمامى قال الله عز وجل وانى خِفْتُ المَوالِىَ من وَرائى وقال جل ثناؤه وكان وراءَهُم مَلِكٌ يأْخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْبًا وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن عُمَيْرٍ الثَقَفِىُّ وكان يُشَبِّبُ بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو القائل فيها

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ انْ مَشَتْ ٭ به زينبٌ فى نِسْوةٍ عَطِراتِ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى ٭ ويَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَيلِ مُعْتَجِراتِ

فى كلمة له فلما أُتِىَ به الحجاج قال

هالَةُ يَدِى ضاقَتْ بى الارضُ رَحْبُهَا ٭ وان كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكانِ

فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِها ٭ لَخِلْتُ الا أن تَصُدَّ تَرانى

(من رفع رَحْبُها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف قاله ش وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش) ثم قال والله أيُّها الامير ان قلتُ الا خيرا انما قلتُ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التقى ٭ ويخرجن شطرَ الليل معتجراتِ

فعفا عنه ثم قال له اخبرنى عن قولك

ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُمَيْرِىِّ أَعْرَضَتْ ٭ وكُنَّ مِنَ ان يلقَيْنَهُ حِذراتِ

ما كنتم قال كنتُ على حمار هَزِيل ومعى صاحبٌ لى على أتانٍ مثله وممن هرب منه مالك بن الرَيْب المازنى أحدُ بنى مازِنِ بن مالك بن عمرو بن تميم وفى ذلك يقول

دابة من دوابه وان عطش حلب رمكة من رماكه وان أراح واحدة ركب أخرى من غير أن ينزل الى الأرض وليس فى الأرض أحد الا وبدنه ينتفض عن اقتيات اللحم وحده غيره وكذلك دابته تكتفى بالعنقر والعشب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد قال وأما الصبر على الحبب فان الثغريين والغزا نقيين والحصيان والخوارج لو اجتمعت قواهم فى شخص واحد لما وفوا بتركى

ان تنصفونا يال مروان نقترب • اليكم والا فأذنوا ببعاد

فان لنا عنكم مزاحا ومرحلا • بعيس الى ريح الفلاة صوادى

فنى الارض عن دار المذلة مذهب • وكل بلاد أوطنت كبلادى

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح أوطنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش)

فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده • اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف • كما كان عبدا من عبيد اياد

زمان هو العبد المقربذلة • يراوح صبيان القرى ويغادى

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهزال • وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى • وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لانه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حفلوا • كأنهم خبز بقال وكتاب

هذا طويل وهذا حنبل جعد • يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف كليب تمكن فى أرضكم • وقد كان فينا صغيرا لخطر

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك ان عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد فقال أصبح جمرة فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مرضى وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرقى سطحه فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة أبطأ عليه فقال ردوا على أبى أمالئن فعلت به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود لاضرمنها عليهم نارا

واحد والتركى لا يبقى معه مع طول الغاية الا الصميم من دوابه والذى يقتله التركى بانعابه له ويبقيه عند غزانه هو الذى لا يصبر معه فرس الخارجى ولا يبقى معه كل برذون نجارى ولو سار خارجيا لا يستفرغ جهده قبل ان يبلغ الخارجى عفوه والتركى هو الراعى وهو السايس وهو الرائض وهو النخاس وهو البيطار وهو الفارس فالتركى الواحد أمة على حدة قال واذا سار التركى فى غير

يقال رَقِيتُ السطحَ وما كان مثلَه أرقاه مثل خَشِيتُه أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى فى السماء ويقال رَقَيْتُ اللديغَ أرقيه مثل رميته أرميه ويقال ما رَقَأَتْ عينه من الدمع مهموزٌ تَرْقَأُ يا فتى مثل قَرَأْتَ تقرأ يا فتى وكان الحجاج رأى فى منامه ان عينيه قُلعتا فطلّق الهندين هندا بنت المُهلَّب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يَلْبَثْ أن جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياى ثم قال انّا لله وانا اليه راجعون مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحد

حَسْبِى بقاءُ اللهِ من كل مَيِّتٍ ٭ وحَسْبِى رجاءُ اللهِ من كل هالكِ

اذا كان ربُّ العَرْشِ عَنِّى راضيًا ٭ فانَّ شفاء النفس فيما هنالكِ

(ويروى فان سرور النفس) وقال مَنْ يقول شعرا يُسَلِّينى به فقال الفرزدق

ان الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها ٭ فُقْدانُ مثلِ محمدٍ ومحمدِ

مَلِكانِ قد خَلَتِ المنابرُ منهما ٭ أخذَ الحِمامُ عليهما بالمِرْصَدِ

فقال لو زدتنى فقال الفرزدق

انّى لَبَاكٍ على ابنَىْ يوسفَ جَزَعًا ٭ ومثلُ فَقْدِهما للدِّينِ يُبْكِينى

ما سَدَّ حَىٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهما ٭ الا الخلائفُ من بعد النبيئين

فقال له ما صنعتَ شيأ انما زدتَ فى حزنى فقال الفرزدق

لَئِنْ جَزِعَ الحَجَّاجُ ما من مصيبةٍ ٭ تكون لمحزونٍ أجَلَّ وأَوْجَعا

من المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خيارهم ٭ جناحَيْهِ لما فارقاه فَوَدَّعا

أخٌ كان أغْنَى أيْمَنَ الارضِ كُلَّه ٭ وأغْنَى ابْنُهُ أهلَ العراقَيْنِ أجمعا

جَناحا عُقابٍ فارقاهُ كِلاهُما ٭ ولو نُزِعا من غيره لتَضَعْضَعا

فقال الآن أما قوله الا الخلائفَ من بعد النبيئين فخفض هذه النون وهى نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعرابَ فيها الا فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو أفلُسٍ ومَساجِدَ وكلابٍ فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على ابنية شتّى وانما يُلْحَقُ منه بمِنْهاجِ التثنية ما كان على حَدِّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه والا فلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معانى الواحد والتثنيةُ ليست كذلك لانها ضَرْبٌ واحدٌ

عساكر الترك فسار القوم عشرة أميال سار التركى عشرين ميلا لانه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ويصعد فى ذرى الجبال ويستبطن قعور الاودية فى طلب الصيد وهو فى ذلك يرمى كلما دب ودرج وطار ووقع قال والتركى لم يسر فى العسكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط قال واذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وشغل الناس الكلام وصمت المقسايرون

ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع فما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنينٌ فاعلم وهذه عشرينٌ فاعلم قال العدوانيُّ

انى أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظةٍ • وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبيّينِ

وأنتم معشرٌ زيدٌ ما على مائةٍ • فاجمعوا كيدكم طرًّا فكيدونى

وقال سُحَيْمُ بنُ وَثيلٍ وماذا يدَّرى الشُّعراءُ منى • وقد جاوزتُ حدَّ الاربعينِ

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشُدِّى • ونجَّذنى مداورةُ الشُّؤونِ

فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث وتفسخ كل شئ من شدة البرد وتمنى كل جليد قوى على طول السرى ان تطوى له الارض وكلما رأى خيالا أو علما استبشر به وظن انه قد بلغ المنزل واذا بلغه الفارس نزل وهو متضجع كانه صبى مجنون يئن أنين المريض ويستريح الى التثواب ويتداوى مما به بالتمطى والتضجع ترى التركى فى تلك الحال وقد سار ضعف ما سار وقد

وفى كتاب الله عز وجل ولا طعامٌ الا من غسلين فان قال قائل فان غسلينًا واحدٌ فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مُسْلمين واحدهم مُسْلِمٌ وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطونَ يافتى ورأيت فلسطينَ يافتى هذا القول الاجود وكذلك يبرينَ وفى الرفع يبرونَ يافتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قِنَّسرونَ ورأيت قِنَّسرينَ والاجود فى هذا البيت (هو الاعشى)

وشاهدُنا الجُلُّ والياسمو • نَ والمُسْمعاتُ بقُصَّابها

(الجُلُّ الوَرْدُ والقصاب الاوتار وقيل الزُّمَّارُ) وفى القرآن ما يُصَدِّقُ ذلك قولُ الله عز وجل كَلَّا انَّ كتاب الابرار لفى عِلِّيِّينَ وما أدراكَ ما عِلِّيُّونَ فمن قال هذه قِنَّسرونَ ويَبْرونَ فَنَسَبَ الى واحدة منهما رجلا أو شيأ قال هذا رجل قِنَّسْرِىٌّ ويَبْرِىٌّ بحذف النون والواو التى هى حرف النسب ولو أثبتهما لكان فى الاسم رفعانِ ونصبانِ وجرَّانِ لان الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قِنَّسْرِينُ كما ترى قال فى النسب قِنَّسْرِينِىٌّ لان الاعراب فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب وأما قوله ونجَّذنى مداورةُ الشُّؤونِ فمعناه فهَّمنى وعرَّفنى كما يقال حَنَّكَتْهُ التجاربُ والناجذُ آخرُ الاضراس من ذلك قولهم ضحكٌ حتى بدتْ نواجذُه والشُّؤون جمع شَأْنٍ مهموزٌ وهو الامر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة فى قول الله تبارك وتعالى ولا طعامٌ الا من غسلين هو غُسالةُ أهل النار وقال النحويون هو فِعْلينٌ من الغُسالة ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليدُ بالشام والحجَّاجُ بالعراق وقُرَّةُ بن شريكٍ بمصر وعثمان بن حيَّانَ بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأتِ الارضُ والله جَوْرًا وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك

بعد وفاة محمد بن يوسف أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أُصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار فان يكن أصابها من حلّها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلّف محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أخلّناها له فترحّم عليه رحمه الله ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بُويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويُقرظونه يا أمير المؤمنين والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعونا فقال له معاوية كلّ من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته ويروى أن الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغني أن أمير المؤمنين عطس عطسة فشمّته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وزعم الاصمعي قال خرج الوليد يوما على الناس وهو مُشعانّ الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وقُرّة بن شريك وجعل يتفجّع عليهما قوله مشعانّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج) ومثل هذا لا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن وحُدّثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجّه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عَنَس الى اليون فقال العَنَسيّ فخلا بي عمر دونه وقال لي احفظ كلّ ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربيّ اللسان انما نشأ بمَرْعَش فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك فحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت اني وُجّهت بالذي وُجّه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تُصب رُشدك واني لأحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب في القول وكان مُفوّها فقال له أليون يا عبد الله ما تقول في المسيح فقال رُوح الله وكلمته فقال أيكون ولدٌ من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظر فقال أيّ نظر في هذا أمّا نعم وإمّا لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أُخرج من رحيم قال في هذا نظر قال له أليون بالرومية اني أعلم أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك قال وأنا أفهم بالرومية ثم قال أتعظّمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تُعظّمونه قال عيدٌ لقوم كانوا صالحين قبل أن يصيروا اليكم قال فقال له

أتعب منكبيه كثرة النزع يرى لقرب المنزل عبرا أو ظبيا أو عرض له ثعلب أو أرنب كيف يركض ركض مبتدئ مستأنف حتى كأن الذي سار ذلك السير وتعب ذلك التعب غيره وان بلغ الناس واديا فازدحموا على مسلكه أو على فنطرة بطن بردونه فاقتحمه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب وان انتهوا الى عقبة صعبة ترك السير وذهب في الجبل صعدا ثم قدلى من موضع

اليمون بالرومية قد علمت أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك فقال له عبد الله أتدري ما يقول أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت أن لا أسجد الا لله ثم قيل لي اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الامر فيك أبين من ذلك قال ثم كتب جواب كتبنا قال فرجعنا الى عمر بها قال فخبرناه بما أردنا ثم نهضنا فردني اليه من باب الدار فخلا بي فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسي تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا قال فلما خرجت قال لي عبد الله ما الذي قال لك قال قلت قال لي أتطمع فيه قلت لا ولما وجه عبد الملك الشعبي الى صاحب الروم فكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولكني رجل من العرب قال فكتب معي رقعة وقال لي اذا أديت جواب ما جئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فاعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا نهضت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما ولّيت دعاني فقال لي أتدري ما في هذه الرقعة قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولّوا أمورهم غيره قال فلما ولّيت دعاني فقال لي أفتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد أن أقتلك قال فقلت انما كثرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك قال فرجع الكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي وحدثت ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد للاسلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يغري به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بان هناك بطريقا يؤذي الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية أي ما في عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فالطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كانه جواب كتابه منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمره الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله في أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هناك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وانا أبو عبد الرحمن وحدثت أن ملك الروم في ذلك الاوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم في ان يغرب على بعض أفتأذن في ذلك فاذن له فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد أصبنا كفأه وهو قيس ابن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد احتجنا الى رأيك فيه فقال هنا رجلان كلاهما اليد

يعجز عنه الوعل وأنت تحسبه مخاطرا بنفسه للذي ترى من مطلعه ولو كان في كل ذلك مخاطرا لما دامت له السلامة مع تتابع ذلك منه قال ويعجز الخارجي بانه اذا طلب أدرك واذا طلب فات والترى ليس يحوج الى ان يفوت لانه لا يطلب ولا يرام ومن يروم مالا يطمع فيه فهذا دليل على انا قد علمنا ان العلة التي عمت الخوارج بالنجدة استواء حالاتهم في أشد الديانة واعتقادهم بان

بَغيضٌ محمدُ بن الحَنَفيَّة وعبدُ الله بن الزُّبَيْر فقال معاوية مَنْ هو أقربُ الينا على حال فلما دخل الرجلان وَجَّه الى قيس بن سعد بن عُبادة يُعلِمُه فدخل قيسٌ فلما مَثَلَ بين يدى معاوية نَزَعَ سَراويلَه فرمى بها الى العِلْج فلبسها فنالت ثَنْدُوَتُه (الثندوة ما اسود حول الحلمة) فأطرق مغلوبا فَخُدِّثْتُ ان قيسا لِيمَ فى ذلك فقيل له لم تبذَّلْتَ هذا التبذُّلَ بحضرة معاوية هلَّا وجَّهْتَ الى غيرها فقال

أردتُ لكيما يَعْلَمَ الناسُ أنها ٭ سَراويلُ قَيسٍ والوُفودُ شُهودُ

وان لا يقولوا غاب قَيسٌ وهذه ٭ سَراويلُ عادىٍّ غَمَتْهُ ثَمودُ

وانّى من القوم اليمانين سَيِّدٌ ٭ وما الناسُ الا سيِّدٌ ومَسودُ

وبَذَّ جميعَ الخَلْقِ أصلى ومَنْصِبى ٭ وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديدُ

وكان قيس سِناطا فكانت الانصارُ تقول لوَدِدْنا أنا اشترينا له لِحْيَةً بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبران شاء الله (السِناطُ والسَّنوطُ أن يكون فى الذَّقَن شئ من الشعر ولا يكون فى العارِضَيْن شئ فان لم يكن فيهما جميعا شئ فهو الثَّطُّ) ثم وَجَّه الى محمد بن الحنفية فدخل فَخُبِّرَ بما دُعِىَ له فقال قولوا له ان شاء فليجلس ولْيُعْطِنى يده حتى أُقيمَه أو يُقْعِدَنى وان شاء فليكن القائم وانا القاعدَ فاختار الرومىُّ الجلوسَ فاقامه محمدٌ وعجز هو عن اقعاده ثم اختار أن يكون محمدٌ هو القاعدَ فجذبه فأقعده وعجز الرومىُّ عن اقامته فانصرفا مغلوبين وحدثنى أحد الهاشميين ان مَلِكَ الروم وَجَّه الى معاوية بقارورة فقال ابعَثْ الىَّ فيها من كل شئ فبعَثَ الى ابن عباس فقال لِمُلَأْ له ماءً فلما وُرِدَ بها على ملك الروم قال لله أبوه ما أذْهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل وجعلنا من الماء كلَّ شئ حَىٍّ وقيل لرجل من بنى هاشم وهو جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين وكان يُقَدَّمُ فى معرفته ما طَعْمُ الماء فقال طعمُ الحياة وأما عبد الله بن الزُّبَيْر فيذكر أهلُه انه قال عالِجْنى لحيتى لتتَّصِلَ لى الى ان بلغتُ ستين سنةً فلما أكملتُها يَئِسْتُ منها وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفُه فقال لها كيف حالك فقالت ما فى بيتى جَرْوٌ فقال ما أحسنَ ما سألتِ أما والله لأُكثِرَنَّ جِرْذانَ بيتك وكان سعد بن عُبادة حيث تَوَجَّه الى حَوْرانَ قَسَّمَ ماله بين ولَدِه وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به فلما وُلِدَ له قال له عمر بن الخطاب يعنى قيسا لأَنْقُضَنَّ ما فعل سعدٌ فجاءه قيسٌ فقال يا أمير المؤمنين نصيبى لهذا المولود ولا تَنْقُضْ ما فعل سعد قال أبو العباس حُدِّثْتُ

القتال دين لاننا حين وجدنا السجستانى والخزرى واليمانى والمغربى والعمانى والازرقى منهم والنجدى والاباضى والصفوى والمولى والعربى والعجمى والاعرابى والعبيد والنساء والحائك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانة هى التى سوت بينهم فى ذلك كما ان كل حجام فى الارض من أى جنس كان ومن أهل أى بلد كان فهو يحب النبيذ وكما ان

بهذا الحديث من حيث أنثى به ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه في أمر هذا المولود فقال نصيبي له ولا أغير ما فعل سعد وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلي بن أبي طالب رحمه الله أما بعد فانك يهودي ابن يهودي ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام فكتب اليه قيس أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت في الدين زهدا وخرجت منه طوعا وقد كان أبي فوق سهمه ورمى غرضه فسميت عليه أنت وأبوك وتظراؤك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي خرجت اليه والسلام وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس الكندي وعدي بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكناني وأبو زبيد الطائي وزيد الخيل بن مهلهل الطائي وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

أصحاب الخلقان والسماكين والنحاسين والحاكة في كل بلد ومن كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك ان ذلك خلقة في هذه الصناعات وبنية في هذه التجارات حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك قال ورأيناه في بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيره دون الحرمة ولا على حمية ولا على عداوة

(باب)

قال أبو العباس قال السليك ابن السلكة وهي أمه وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدي

ألا عتبت علي فصار متني ... وأعجبها ذوو اللمم الطوال

فاني يا ابنة الاقوام أربى ... على فعل الوضي من الرجال

فلا تصلي بصعلوك نؤوم ... اذا أمسى يعد من العيال

ولكن كل صعلوك ضروب ... بنصل السيف هامات الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير همم)

أشاب الرأس أني كل يوم ... أرى لي خالة وسط الرحال

يشق علي ان يلقين ضيما ... ويعجز عن تخلصهن مالي

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعني الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة

وظُلْم ويقال جمام كقولك جُفْرة وجِفار (الجُفْرة هى الحفرة العظيمة) وبُرْمة وبِرام قال الشاعر

امّا تَرَى لِمَتِى أودَى الزمانُ بها • وشَيَّبَ الدهرُ أصداغى وأفوادى

وقوله على فِعْلِ الوَضِئ من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وَضُؤَ يَوْضُؤُ يافتى تقديره كَرُمَ يَكْرُم وهو كريم ومصدره الوَضاءة وكذلك قَبُحَ يَقْبُحُ قَباحة وسَمُجَ يَسْمُجُ سَماجة ويقال ما كنتَ وَضيئا ولقد وضُؤْتَ بعدنا وقوله فلا تَصلى بصعلوك يقول لا تتّصلى به كما قال ابن أحمر

ولا تَصلى بمَطْروقٍ اذا ما • سَرَى فى القوم أصْبَحَ مُستكينا

اذا شَرِبَ المُرِضَّةَ قال أوكى • على مافى سقائك قد رَوِينا

(اذا صُبَّ لبن حليبٌ على حامض فهى المُرِضَّة) والصعلوك الذى لا مال له قال الشاعر (جابر بن ثَعْلَبَةَ الطائى)

كان الفتى لم يَعْرَ يوما اذا اكْتَسَى • ولم يَدْرِ صُعْلوكا اذا ما تَمَوَّلا

وقوله نَؤُوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرأس عن النوم وتَذُمُّ النُّومَة كما قال عبد الملك لمؤدِّب ولده عَلِّمهم العَوْم وخُذْهُم بقلة النوم وانما تَوَجَّعَ لحالاته لانهن كنّ اماءً ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمَّ لنا قال كنت أجالس سعيد بن المُسَيَّب فقال لى يوما مَنْ أخوالُكَ فقلتُ أُمّى فتاةٌ فكأنى نَقَصْتُ فى عينه فَأَمْهَلْتُ حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلتُ ياعَمِّ مَنْ هذا فقال ياسبحان الله أتجهل مثل هذا من قومه هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فَمَنْ أُمُّه قال فتاةٌ قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلت ياعمِّ مَنْ هذا فقال أتجهل من أهلك مثلَه ما أعجبَ هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فَأَمْهَلْتُ شيأ حتى جاءه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلتُ ياعمِّ مَنْ هذا قال هذا الذى لا يَسَعُ مسلما ان يجهله هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب قلتُ فمن أمه قال فتاة قال قلتُ ياعمِّ رأيتنى نَقَصْتُ فى عينك لما علمتَ انى لِأُمٍّ ولَدٌ أفعالى فى هؤلاء اسوةٌ قال فجَلَلْتُ فى عينه جِدًّا وكانت أمُّ على بن الحسين سُلافةُ من ولد يَزْدَجِرْدَ معروفةَ النَّسَبِ وكانت من خيرات النساء ويروى أنه قيل لعلى بن الحسين رحمه الله انك من أبَرِّ الناس ولستَ تأكل مع أمك فى صَحْفة فقال أكره أن تَسْبِقَ يدى الى ما قد سبقت اليه عيناها أكون قد عَقَقْتُها وكان يقال له ابن الخِيَرَتَيْن (بتحريك الياء أفصح) لقول رسول الله صلى الله

عليه

ولا على وطن ولا على منع دار ولا مال وانما يقاتل على السلب والخيار فى يده وليس يخاف الوعيد ان هرب ولا يرجو الوعد ان أبلى عذرا وكذلك هم فى بلادهم وعاداتهم وحروبهم وهو الطالب غير المطلوب ومن كان كذلك فانما يأخذ العفو من قوته ولا يحتاج الى مجهوده ثم مع ذلك لا يقوم له شئ ولا يطمع فيه أحد فاظنك بمن هذه صفته ولو اضطره احراج أو غيره أو غضب أو تدين أو عرض

عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها وقال رجل من ولد الحكم بن أبي العاصي يقال له عبيد الله بن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لأم ولد وهو من ولد مروان بن الحكم

فان تك أمي من نساء افاءها * جياد القنا والمرهفات الصفائح
فتبا لفضل الحر ان لم أنل به * كرائم أولاد النساء الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنترة

وانا امرؤ من خير عبس منصبا * شطري واحمي سائري بالمنصل

(شطري مبتدأ والخبر في المجرور قبله) وأنشد لبلال بن جرير وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لانه ابن أم ولد فيقول قال ابن أم حكيم فقال بلال

يا رب خال لي أغر أبلجا * من آل كسرى يغتدي متوجا * ليس بخال لك يدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجه السيئ المنظر وكان سبب أم بلال عند جرير أن جريرا في أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة وفي ذلك يقول جرير

أقبلن من نهلان أو وادي خيم * على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم * في ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

فكتب الحكم بعد أن فاطنه الى الحجاج وذلك في أول سببه انه قدم على أعرابي باقعة لم ار مثله (يريد داهية والباقعة طائر حذر) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغني انك ذو بديهة فقل في هذه الجارية جارية قائمة على رأسه فقال جرير مالي ان أقول فيها حتى أتأملها ومالي ان أتأمل جارية الامير فقال بلى فتأملها واسئلها فقال لها اسمك يا جارية فامسكت فقال لها الحجاج خبريه يا خناء فقالت أمامة فقال جرير

ودع أمامة حان منك رحيل * ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه * فالريح تجبر متنه وتهيل
هذي القلوب صواديا تيمتها * وأرى الشفاء وما اليه سبيل

له بعض ما يحجب المقاتل
المحامي من العلل والاسباب
قال وقناة الخارجي طويلة
صماء، وقناة التركي مطرد
أجوف والقنا الجوف
القصار أشد طعنة
وأخف محملا والعجم تجعل
القنا الطوال للرجالة
وهي قنا الابناء على أبواب
الخنادق والمضائق
والأبناء في هذا الباب
لا يجرون مع الاتراك
والخراسانية لان الغالب
على الأبناء المطاعنة على
أبواب الخنادق وفي
المضائق وهؤلاء أصحاب

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هي لك فضرب بيده الى يدها فمنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلال فانه ٭ حسن دلالك يا أمام جميل

(ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة) فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة وخبرت انها كانت من أهل الرى وكان اخوتها أحرارا فاتبعوه فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل ففي ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت ٭ لأم حكيم حاجة هي ماهيا

لقد زدت أهل الري عندي مودة ٭ وحببت أضعافا الى الموواليا

فأولدها حكيما وبلالا وخزرة بني جرير هؤلاء من أذكر من ولدها ويقال ان الحماني قاول بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال يا ابن أم حكيم فقال له بلال ما تذكر من ابنة دهقان وأخيذة رماح وعطية ملك ليست كامة التي بالمروت تغدو على أنر ضأنها كانما عقبا ها حافر احمار فقال له الحماني أنا أعلم بامة انما عتب عليها الحجاج في أمر الله أعلم به فخلف ان يدفعها الى ألأم العرب فلما رأى أباك لم يشكك فيه قال وأنشدت لرجل من رجاز بني سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم ٭ فأنا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم أكيس من أولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم اني لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرفت في الاماء ولا حضنتني أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولدعليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدتي الحسن والحسين يعني ان أم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فكتب اليه المنصور اما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخيل والفرسان وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية لهم الفر والكر والفارس هو الذي يطوي الجيش طي السجل ويفرقهم فرق الشعر وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا الساقة الا الكبار منهم وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام

(فصل منها) والشح على الوطن والحنين اليه والصبابة به مذكور في القرآن مخطوط في الصحف

وعُمومَتُه أربعةٌ فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت انه لم تُعرَف فيك الاماءُ فقد نَعَرَت على بني هاشم طُرًّا أولهم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علي ابن الحسين الذي لم يُولَد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولودٌ مثلُه وهذه رسالة المنصور طريفةٌ مستحسنة جدًّا سنُمليها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأنشدني الرياشي

انَّ أولادَ السَراري • كَثِّروا يا ربِّ فينا ربِّ ادخلني بلادًا • لا أرى فيها هَجينا

والهَجينُ عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وَضيعةٌ والاصل في ذلك ان تكون أمةً وانما قيل هجينٌ من أجل البياض وكانهم قصدوا قصدَ الروم والصقالبة ومَن أشبههم والدليل على أن الهَجينَ الابيضُ ان العرب تقول ما يَخْفَى ذلك على الاسود والاحمر أي العربيّ والعجميّ ويسمون الموالي وسائرَ العجم الحُمْراء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيدُ الخَيل

(وأسلم عِرْسُه لمارآنا) • وأيقَنَ انَّنا نُصْبُ السِبال

أي كهؤلاء العدوّ من العجم وقال ابن الرُقَيّات

انْ تَرَيْني تَغَيَّرَ اللونُ مني • وعلا الشَيْبُ مَفْرِقي وقَذالي

فظِلالُ السيوف شَيَّبْنَ رأسي • وطِعاني في الحرب صُبْغُ السِبال

فقيل هَجينٌ من ههنا واذا كانت الام كريمةً والاب خسيسا قيل له المُذَرَّعُ قال الفرزدق

اذا باهلِيٌّ تحته حَنْظَلِيَّةٌ • له ولدٌ منها فذاك المُذَرَّعُ

وقال الآخر ان المُذَرَّعَ لا تُغْنِي خُؤولَتُه • كالبغل يَعْجِزُ عن شَوْطِ المَحاضير

(جمع مِحْضير وهو الفرس السريع) وانما سمي مُذَرَّعًا للرَقْمَتَيْن في ذراع البغل وانما صار ناقصا من ناحية الحمار قال هُدْبة

وَرِثَتْ رَقاشِ اللُؤْمَ عن آبائها • كَتَوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأَذْرُعِ

وقال عبد الله بن العباس في كلام يُجيب به ابن الزُبَير والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عَوّامُ بن عَوّامٍ يطمع في صَفِيَّةَ بنت عبد المطلب مَنْ أبوك يا بغل فقال خالي الفَرَسُ

بين جميع الناس غير أن التركي للعلل التي ذكرنا أشد حنينا وأكثر نزوعا

(باب)

وباب آخر مما كان يدعوهم الى الرجوع قبل ثني العزم والعادة المنقوضة وذلك ان الترك قوم يشتد عليهم الحضر وطول اللبث والمكث وقلة التصرف والتحرف وأصل بنيتهم انما وضع على الحركة وليس للسكون فيهم نصيب وفي قوى أرواحهم فضل على قوى أبدانهم لأنهم أصحاب توقد وحرارة

قال أبو العباس قال اعرابي

كُلُّ امرئٍ ذي لُحْيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ • يقوم عليها ظَنَّ ان له فَضْلا

وما الفضل فى طول السبال وعرضها • اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا

ويروى لحاملها عثولية يقول كثيرة والمستعمل يقال رجل عثول اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك فى الرأس واللحية وبناه الاعرابى بناء جدول كانه عثول ثم نسب اليه والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشارب بين سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة فلثم بها اسبلة بعيره أى نحره واللثم الشق فهذا ما أسبل من جرانه وقال بعض المحدثين

وما حسن الرجال لهم بحسن • اذا ما أخطأ الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا أن تراه • له وجه وليس له لسان

وقال آخر انى على ما ترين من دمامتى • اذا قيس ذرعى بالرجال طويل

ونظر يزيد بن مزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره فاذا هو خاضب فقال انك من لحيتك فى مؤونة فقال أجل ولذلك أقول

لها دهنهم للدهن فى كل جمعة • وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد • لصوت فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرنى أننى فى طول داود • وأننى علم فى البأس والجود

ما شبت داود فاستضحكت من عجب • كانى والدهر مولود

ما طول داود الا طول لحيته • يظل داود فيها غير موجود

تكنه خصلة منها اذا نفحت • ريح الشتاء وجف الماء فى العود

كالأنجانى مصقولا عوارضها • سوداء فى لين خد الغادة الرود

أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن • بيض القطائف يوم القر والسود

ان هبت الريح أدته الى عدن • ان كان مالف منها غير معقود

(القر بالقاف يريد البرد ويروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غرا لبياضها) وفى الحديث من سعادة المرء خفة عارضيه وليس هذا بناقض لما جاء فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والتبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله

واشتعال وفطنة كثيرة خواطرهم سريع لحظهم وكانوا يرون الكفاية معجزة وطول المقام بلادة والراحة غفلة والقناعة من قصر الهمة وان ترك الغزو يورث الذلة وقد قالت العرب فى مثل ذلك قال عبد الله بن وهب الراسبى حب الهوينا يكسب النصب والعرب تقول من غلا دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء وقال اكثم بن صيفى ما أحب انى مكفى كل أمر الدنيا قيل ولم قال

عز وجل حتى عفَوا أى حتى كثُروا ويقال عفَا وبَرُ الناقة اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعُضُّ السيف منها ● بأسْوُقِ عافيات اللحم كُومِ

والكُوم العظام الأسْنِمَة واحدتها كَوماء ويقال عفَا الرَّبْعُ اذا درَس ومن ذلك

● على آثار من ذَهَب العَفاءُ ● أى الدُّروس وقال مَسْلَمةُ بن عبد الملك انى لأعْجَبُ من ثلاثة من رجل قَصَّر شعره ثم عاد فأطاله أو سَمَّر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تَمَتَّع بالسَّرارِيّ ثم عاد الى المَهيرات واحدة المهيرات مَهيرةٌ وهى الحُرَّةُ الممهورة ومَفعولٌ يَخْرُجُ الى فَعيل كمقتول وقتيل ومجروح وجريح قال الأعشى

ومَنكوحة غيرِ مَمْهورة ● وأُخرى يُقالُ لها فادِها

(فادِها من فَدَيْتُ الاسير وهو يَصِفُ سَبْيًا أُخِذَ فيه اماءٌ وحَرائر) فهذا المعروف فى كلام العرب مَهَرْتُ المرأةَ فهى ممهورةٌ ويقال وليس بالكثير أمْهَرْتُها فهى مُمْهَرةٌ أنشدنى المازنىُّ

أُخِذَنْ اغتصابا خطبةً عَجْرَفِيَّةً ● وأُمْهِرْنَ أرماحا من الخَطِّ ذُبَّلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) وأهل الحجاز يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دون الفعل ولا ينكرونه فى الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثم طَلَّقْتُموهُنَّ من قبل أن تَمَسُّوهُنَّ فما لكم عليهنَّ من عِدَّةٍ تَعْتَدُّونها فهذا الأشْيَعُ فى كلام العرب قال الاعشى

وأَمْتَعْتُ نَفْسى من الغانيا ● تِ امَّا نِكاحًا واما أُزَنْ

ومن كل بَيْضاءَ رُعْبوبةٍ ● لها بَشَرٌ ناصِعٌ كاللَّبَنْ

(قوله أُزَنْ أراد أُزَنِّى ثم حذف الياء وخفف النون فقال أُزَنْ) ويكون النكاحُ الجماعَ وهو فى الاصل كنايةٌ قال الراجز

اذا زَنَيْتَ فأَجِدْ نِكاحا ● وأَعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيرا والاصل ما ذكرنا لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من نِكاحٍ لا من سِفاح ومن خُطَبِ المسلمين ان الله عز وجل أَحَلَّ النكاحَ وحَرَّمَ السِّفاحَ والكناية تقع عن الجماع قال الله عز وجل أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصيام الرَّفَثُ الى نسائكم فهذه كناية عن الجماع قال أكثر الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى أَوْ لامَسْتُمُ النساءَ قالوا كناية عن الجماع وليس الامر عندنا كذلك وما أَصِفُ مذهبُ أهل المدينة قد فُرِغَ من النكاح تصريحا وانما الملامسة أن يَلْمِسَها الرجلُ بيده أو بأدْناءِ جسده من جسدها فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة لانه قال

أخاف عادة العجز فهذه كانت علل الترك فى حب الرجوع والحنين الى الوطن ومن أعظم ماكان يدعوهم الى الشرود ويبعثهم على الرجوع ويكره عندهم المقام ماكانوا فيه من جهل قوادهم بمقادرهم وقلة معرفتهم بأخطارهم واغفالهم موضع الرد عليهم والانتفاع بهم ولانهم حين جعلوهم أسوة أجنادهم لم يقنعوا أن يكونوا فى الحاشية والحشوة وفى غمارة

تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية باجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام فى الدنيا أنجى يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا كناية عن الفروج ومثله أو جاء أحد منكم من الغائط فانما الغائط كالوادى وقال عمرو بن معدى كرب

وكم من غائط من دون سلمى • قليل الانس ليس به كتيع

يقال وهم الرجل يوهم اذا اشتد وهو الاجود ويجوز يهم ويهم وياهم لعلل وكذلك ما كان مثله نحو وجل يوجل ووحل يوحل ووجع يوجع ويجوز فى وهم أن تقول يهم فان المعتل من هذا يجىء على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى ورم الجرح يرم فهذا جميع ما فى هذا الباب وقال رجل أحسبه من بنى تميم

لا تسألن الخيل يا سعد ما لها • وكن أخربات الخيل علك تجرح
لعلك تحمى عن صحاب بطعنة • لها عاند ينفى الحصا حين ينفح
وأكرم كريما ان أتاك لحاجة • لعاقبة ان العضاه تروح
(بذا فامدحينى واندبينى فانى • فتى تعتريه هزة حين يمدح

اذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح) قوله لا تسألن الخيل يا سعد ما لها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل

ليس مثلى يخبر القوم عن آ • بائهم قتلوا وينسى القتالا
لم أرم حومة الكتيبة حتى • حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت فى حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيرى ويروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى يقال له فلان (ش هو عبد الله) بن السائب انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبد الله أو خيرا من ذلك جيئونى بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين فى ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة

العامة ومن عرض العساكر وأنفوا لانفسهم وذكروا مايجب لهم ورأوا ان الضيم لايليق بهم وان الخمول لايجوز عليهم وانهم فى المقام على من لم يعرف حقهم ألوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا ملكا حكيما وباقدار الناس عليما لايميل الى سوء عادة ولا يجنح الى هوى ولا يتعصب لبلد على بلد يدور مع التدبير مادار ويقيم مع الحزم حيث ما أقام أقاموا اقامة من منح الحظ ودار

فلما

فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن على بن أبى طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تخفى ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع فصاحت من ورائه واحرباه فالتفت اليها فقال أوهذا فى قلبك فقالت اى والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لى ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يا بنى انج الى نجائك فان القوم لا حاجة بهم الى غيرى وستغفلت بحيلة أو بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا فقال أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم فى أسرارك وأنت تقلب فى مهدك (ش الأسرار جمع سير وهى الطرائق فى الجبهة) فقتل بين يدى أبيه ففى ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى • وابن الزبير البطل الرئيسا
عمدا أذقنا مضر التبئيسا

وقال رجل يعاتب رجلا

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة • رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا أن يكون مدحه ميتا)

مد الزبير عليك ذيبنى العلا • كنفيه حتى نالتا العيوقا

(ويروى كنفيه وهو أظهر لقوله حتى نالتا)

ولو ان عبد الله فاخر من ترى • فات البرية عزة وسموقا
قرم اذا ما كان يوم نفورة • جمع الزبير عليك والصديقا
لو شئت ما فاقوك اذ جاريتهم • ولكنت بالسبق المبرز حقيقا
لكن أتيت مصليا برباهم • ولقد ترى ولدى لديك طريقا

عاد الحديث الى تفسير الابيات المتقدمة قوله لعلك تحمى عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها حميا وحماية كما قال الفرزدق

واذا النفوس جشأن طأمن جأشها • ثقة لها بحماية الأدبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض أى جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنفى حميه يا فتى اذا أنت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب

بالحق ونبذ العادة وآثر الحقيقة ووصل نفسه بقطيعة وطنه وآثر الأمامة على ملك الجبرية واختار الصواب على الألف ثم اعلم بعد ذلك كله ان كل أمة وقرن وجيل وبنى أب وجدتهم قد برعوا فى الصناعات وفضلوا الناس فى البيان وفاقوهم فى الآداب أو فى تأسيس الملك أو فى النصر بالحرب فانك لا تجدهم فى الغاية وفى أقصى النهاية الا ان يكون الله تعالى قد سخرهم لذلك

كما تقول تاجرٌ وتجّرٌ وراكب وركّبٌ ونحو ذلك ثم تجمع صَحْبًا على صحابٍ كقولك كَلْبٌ وكلابٌ وفَرْخٌ وفِراخٌ فهذا مذهب حسنٌ ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجارٌ وقوله لها عاند ينفي الحصا يعني الدم يقال عَنَدَا العِرْقُ اذا خرج الدم منه بِحِدَّةٍ وينفي الحَصا يعني الدم بشدة جَرْيِه كما قال

مُسَحْصِحَةٌ تَنْفِي الحَصا عن طَرِيقِها ٭ (يُقَطِّعُ أَحْشاءَ الرَّعِيبِ انْتِشارُها)

يعني طعنةً وقال آخر في صفة طعنة

ومُسْتَنَّةٍ كاسْتِنانِ الخَرُو ٭ فِ قد قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ

والخروف ههنا انما هو الفَلُوُّ الصغير وقوله

وأَكْرِمُ كريمًا ان أتاكَ لحاجةٍ ٭ لِعاقِبَةٍ ان العِضاهَ تَرَوَّحُ

يقول الشجر يصيبه النَّدَى في آخر الصيف فينشأ له ورقٌ فيقول لعلك تحتاج الى هذا الكريم وقد قَدَرَ ومثله

ولا تُهِينَنْ الكريمَ علَّكَ أنْ ٭ تَرْكَبَ يوما والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد ولا تُهِينَنَّ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله في المعنى قول عَبّاد بن عَبّاد بن حَبيب بن المُهَلَّب

اذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ ٭ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ

وبادِرْ بمعروفٍ اذا كنتَ قادرًا ٭ زَوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنه يَعْقُبُ

(زوالَ مفعول لبادِرْ قاله ش) ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله اني لاسارع الى حاجة عدوي خوفا من أن أَرُدَّه فيستغني عني وقال رجل من العرب ما رددت رجلا عن حاجة فَوَلّى عني الا رأيتُ الغِنى في قفاه وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ما رأيت أحدا أَسْعَفْتُه في حاجة الا أضاء ما بيني وبينه ولا رأيتُ رجلا رددته عن حاجة الا أظلم ما بيني وبينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يَئِسَ من شيء اسْتَغْنَى عنه وقال عبد الله بن هَمّام السَّلُولِيُّ

فَاخْلُفْ وأَتْلِفْ انَّما المالُ عارَةٌ ٭ فكُلُّه مع الدهر الذي هو آكِلُهْ

فاهونُ مفقودٍ وأيسرُ هالكٍ ٭ على الحيِّ مَنْ لا يَبْلُغُ الحيَّ نائلُهْ

عارة أي معار ووزنه فَعَلَةٌ وقال أحد المُحْدَثين (هو محمود الوَرّاق) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه

المعنى بالاسباب وقصرهم عليه بالعلل التي تقابل تلك الأمور وتصلح لتلك المعاني لان من كان منقسم الهوى مشترك الرأي مشعب النفس غير موفر على ذلك الشيء ولا مهيأ له لم يحذق من تلك الاشياء شيأ بأسره ولم يبلغ فيه غايته كاهل الصين في الصناعات واليونانيين في الحكم والآداب والعرب فيما نحن ذاكروه في موضعه والساسان في الملك والاتراك في الحروب الا ترى ان اليونانيين

في الاعارة

أعارَكَ مالَهُ لتقومَ فيه ● بطاعتِه وتعرِفَ فضلَ حقّهْ
فلم تشكُرْهُ نعمتَهُ ولكن ● قويتَ على معاصيه برزقهْ
نجاهِرُهُ به عَوَدًا وبدْأً ● وتستخفي بها من شر خلقهْ

وقال جرير

وانى لأستحيي أخي أن أرى له ● علىَّ من الحق الذى لا يرَى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله انى لاستحيي أخي أن يكون له علىَّ فضلٌ ولا يكون لى عليه فضلٌ ومنى اليه مُكافأةٌ فاستحيي أن أرى له علىَّ حقا لما فَعَلَ الىَّ ولا أفعلَ اليه ما يكون لى به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها فاما قول عائذ الكلب الزُبَيْرِىّ (اسمه عبد الله بن مُصْعَب الزبيرى وسمى عائذ الكلب بقوله

مالى مَرِضْتُ فلم يَعُدْنى عائدٌ ● منكم ويَمْرَضُ كلبُكُمْ فأعودُ
وأشدُّ من مَرَضى علىَّ صُدودُكُمْ ● وصدودُ كلبِكُمْ علىَّ شديد)

لعبد الله بن حسن بن حسن

له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ ● ومَهْما قال فالحَسَنُ الجميل

وقد كان الرسولُ يَرَى حُقوقا ● عليه لغيره وهو الرسولُ

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يَرَى له حقًّا على الناس ولا يَرَى لهم عليه حقا من أجل نَسَبِه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا ● عليه لغيره وهو الرسول

فالذى يَفْتَخِرُ به عبد الله يَرَى للناس عليه حقا فالمُفْتَخَرُ به أَجْدَرُ وقد قيل لعلى بن الحسين وكان بَيْنَ الفضل رحمه الله ما بالُكَ اذا سافرتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أَهْلَ الرُفْقَة فقال أكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أُعْطَى مثلَهُ وانما يعترى هذا البابُ من الظُلْم وقلة الانصاف والبعد من الرِقَّة عليهم الجَهَلَةَ من أهل هذا النَسَب والله جَلَّ ذِكْرُهُ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وقال تعالى انى أخافُ ان عَصَيْتُ ربى عَذابَ يومٍ عَظِيمٍ فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخافُ من المعصية فكيف يأمنها غيره به وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

الذين نظروا فى العلل لم يكونوا تجارا ولا صناعا باكفهم ولا أصحاب زرع وفلاحة وبناء وغرس ولا أصحاب جمع ومنع وكد وكانت الملوك تفزعهم وتجرى عليهم كفايتهم فنظروا حين نظروا بانفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة حتى استخرجوا الآلات والأدوات والملاهى التى تكون جماما للنفس وراحة بعد الكدو سرورا يداوى قرح الهموم فصنعوا من المرافق

وأنتَ اذا نظرتَ الى هشامٍ • عرفتَ نجارَ مُنتخبٍ كريمِ

ولىُّ الحق حين يؤمُّ حجًّا • صُفوفًا بين زمزمَ والحطيم

يرى للمسلمين عليه حقًّا • كفعل الوالد الرؤف الرحيم

اذا بعضُ السنين تعرَّقتنا • كفَى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيم

وفى هذا الشعر أميرُ المؤمنين على صراطٍ • اذا اعوجَّ الموارد مُستقيم

أميرَ المؤمنين جمعتَ دينًا • وحلمًا فاضلًا لذوى الحلوم

لكَ المُتخيَّران أبا وخالًا • فأكرِمْ بالخؤولة والعمومِ

فيا ابنَ المُطعمين اذا شتونا • ويا ابنَ الذائدين عن الحريم

سَمَا بكَ خالدٌ وبنو هشامٍ • الى العلياء فى الحسَبِ الجسيم

(وهم أبو العباس فى قوله وبنو هشام وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قبل أمه)

وتنزلُ من أُميَّةَ حيث تلقى • شؤونَ الرأسِ مجتمعَ الصميمِ

تواصتْ من تكرُّمها قريشٌ • بِرِدِّ الخيلِ دامية الكلومِ

فما الأمُّ التى ولدتْ قريشًا • بمُقرفةِ النجارِ ولا عقيمِ

وما خَؤلٌ بأنجبَ من أبيكم • ولا خالٌ بأكرمَ من تميمِ

سَمَا أولادُ برَّةَ بنتِ مُرٍّ • الى العلياء فى الحسَبِ العظيمِ

لكَ الغُرُّ السوابقُ من قريشٍ • فقد عُرِفَ الأغرُّ من البهيمِ

وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكرنيا والكسيران والبوكار وكاصناف المزامير والمعازف والطب والحساب والهندسة واللحون وآلات الحرب وكالمجانيق والقرادات والرتيلات والدبابات وآلة النفاطين وغير ذلك مما يطول ذكره وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الاداة ويصوغون المثل ولا

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتجُر وراكب وركْب قال العجاج

بواسطٍ أكرمُ دارٍ دارا • والله سمَّى نصرَكَ الأنصارا

فاخرجه على ناصر ونصر قال ويجوز أن يكون حجّ أصحاب حج كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤف على فعُل مثل يقظ وحذر ورؤف على وزن ضروب وقال الانصارى (هو كعب بن مالك)

نطيع نبينا ونطيع ربًّا • هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورؤوف أكثر وانما هو من الرأفة وهى أشد الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة فى دين الله على وزن الصرامة والسفاهة وقوله اذا بعض السنين تعرفنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى ان بعض السنين سنون كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود ان يكون الخبر فى المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف اليه توكيدا لانه غير خارج من المعنى وفى كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين فى الاعناق فاخبر عنهم فاقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصارى يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتانى عنق من الناس والاول قول عامة النحويين وقال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضا رأت مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة مشين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مر ضى الرياح النواهم والمرضى التى تهب بلين) ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثانى تقول يا تيم تيم عدى لا ندا أردت يا تيم عدى وأقحمت الاول توكيدا (كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثانى توكيدا) وكذلك لا أبالك لان الالف لا تثبت فى الاب فى النصب الا فى الاضافة أو بدلا من التنوين فانما أراد لا أبا لك ثم أقحم اللام توكيدا للاضافة وأنشد المازنى

وقدمات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أبالك يخلد

وقال آخر أبالموت الذى لابد أنى * ملاق لا أبالك تخوفينى

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء فى قول الله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما بن خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لان أم هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلما وجودا وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ

يحسنون العمل به ويشيرون اليها ولا يمسونها يرغبون فى التعليم ويرغبون عن العمل فاما سكان الصين فانهم أصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنجر والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف فى كل شئ يتولونه ويعانونه وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل

بعام الفيل وبمولد فلان قال الشاعر * زمان تناعى الناس موت هشام * ومن أجله يقول القائل

فأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ان لا ينالها جدب وقال الآخر

ذريني أصطبح يا سلم اني * رأيت الموت نقب عن هشام

قوله نقب أى طوف حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فنقبوا فى البلاد أى طوفوا ومثله قول امرئ القيس

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

فأما التاريخ الذى يؤرخ به اليوم فاول من فعله فى الاسلام عمر بن الخطاب رحمه الله حيث دون الدواوين فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تعرف الامور فى أوقاتها فقال وما التاريخ فاعلم ما كانت العجم تفعله فقال أرخوا فقالوا منذ أى سنة فاجمعوا على سنة الهجرة لانه الوقت الذى حكم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير تقية ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حجهم وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم) فقدم التاريخ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ما روى لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفجر وليال عشر قال فاقسم بفجر السنة وهو المحرم وقوله فما الام التى ولدت قريشا يعنى برة بنت مر كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وتميم بن مر خاله وكان يقال من عرف حق أخيه دام له اخاؤه ومن تكبر على الناس ورجا ان يكون له صديق فقد غر نفسه وقيل ليس للجوج تدبير ولا لسيئ الخلق عيش ولا لمتكبر صديق وقيل من بسط بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبته والمنة تفسد الصنيعة ويروى ان شاعرا أتى أبا البختري (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وهب بن وهب وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور فى جوانحه وأعطى وزاد فاتاه هذا الشاعر فانشده

لكل أخى فضل نصيب من العلا * ورأس العلا طرا عقيد الندى وهب

وما ضر وهبا قول من غمط العلا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب

وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لان أولئك حكماء وهؤلاء فعلة وكذلك العرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا اطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط

(غَمَطَ كفر النعمة وغَمَّطَ ويقال أيضا تَنَقَّصَ) فَثَنَّى له الوسادة وهَشَّ اليه ورَفَدَه وحَمَلَه وأضافه فلما أن أراد الرحلة لم يَخْدُمْه أحد من غلمان أبي البختري ولا عَقَدَ له ولا حَلَّ معه فانكر ذلك مع جميل ما فَعَلَ به وأنه قد تجاوز به أَمَلَه فعاتَبَ بعضهم فقال له الغلام انما نُعِينُ النازلَ على الاقامة ولا نعين الراحلَ على الفراق فبلغ هذا الكلام جليلا من القُرَشِيِّين فقال والله لَفِعْلُ هؤلاء العبيد على هذا القصد أحسنُ من رِفْدِ سيدهم

(باب)

قال عبد الملك بن مَرْوان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الآدباء أيُّ المناديل أفضلُ فقال قائل منهم مناديلُ مصر كانها غرقئ البَيْض (الغرقئ يهمز ولا يهمز وكذلك فعله) وقال آخر مناديلُ اليمن كانها أنوارُ الربيع فقال عبدُ الملك ما صَنَعْتُما شيأ أفضلُ المناديل ما قال أخو تميم يعني عَبْدَةَ بن الطَّبِيب (عبدة باسكان الباء)

لما نزلنا نصبنا ظِلَّ أخبيةٍ * وفار للقوم باللحم المَراجيلُ

وَرْدٌ وأشقرُ ما يُؤْنِيه طابخُه * ما غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهو مأكولُ

ثُمَّتَ قُمْنا الى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ * أعرافُهُنَّ لايدينا مَناديلُ

قوله غرقئ البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرُها الاعلى يقال له القَيْضُ وقوله المَراجيلُ انما حَدُّه المَراجلُ ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال * نَفَى الدراهيمَ تَنْقادُ الصَياريف * (الحجة في الصياريف) وقد مر تفسير هذا وقوله وَرْدٌ وأشقرُ ما يُؤْنِيه طابخُه يقول ما تغير من اللحم قبل نُضْجِه وقوله ما يُؤْنِيه طابخه يقول ما يُؤَخِّره لانه لو آناه لَأَنْضَجَه لان معنى آناه بلغ به اناءَه أي ادراكَه قال الله عز وجل الى طعامٍ غيرَ ناظرين اناه وتقول أنَى يأني اذا أدرك وآنَ يَئِينُ مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آنٍ أي قد بلغ اناءه وقوله ما غير الغلي منه فهو مأكول يقول نحن أصحاب صَيْدٍ وهذا من فعلهم (العرب لا تُنْضِج اللحم اما لاستعجالها للضيف واما لان ذلك مستحب عندها فلذلك قال لا يُؤْنِيه وقيل لتعجيل القِرَى) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما ان تكون مُعْلَمَةً والثاني ان تكون قد أُسِيمَتْ في المَرْعى وهي ههنا مُعْلَمَةٌ وقد مضى هذا التفسير وانما أخذ ما في

ولم يفتقروا الفقر المدفع الذي يشغل عن المعرفة ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البلادة والثروة التي تحدث الغرة ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم ويصغر عندهم أنفسهم وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا يعرفون الغمق ولا اللثق ولا البخار ولا الغلط ولا العفن ولا التخم أذهان حديدة ونفوس منكرة فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف

هذه الابيات من بيت امرئ القيس فانه جمع مافى هذه الابيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

غَمُسٌّ باعراف الجياد أكفّنا ٭ اذا نحن قُمْنا عن شواء مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ وغمس غمسح ويقال للمنديل المَشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سَهِكِينَ من صَدَأ الحديد كأنّهم ٭ قَحْتُ السَنَوّرِ جنّةُ البَقّارِ

وقال آخر وأسيافُكم مِسْكٌ يُحَلُّ أكفّكم ٭ على أنّها ريحُ الدماء تَضُوعُ

(تَضَوَّعُ رواية) معنى تَضُوع تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة (ذكر يعقوب انها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش) انه لما قُتِلَ عنها لقيط بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَة فتزوجها رجل من أهلها فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أُحَدِّثُكَ انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نَضْحٌ من دم صيده والمِسْكُ يَضُوعُ من أعطافه ورائحةُ الشراب من فيه فضَمّنى ضَمَّهُ وشَمّنى شَمَّهُ فليتنى كنت متُّ قبل شَمِّهِ قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين انا من لقيط فقالت ماءٌ ولا كصَدَاء مثل حَمْرَاء ووزنها فَعْلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدّمةٌ واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كَمالِك (فما يقال فَتًى ولا كمالك وقد تقدم لابى العباس فَتًى وهو الصواب) يعنون مالك بن نُوَيْرَة ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصْبَع العَدْوانىُّ رجلا غَيُورًا وكانت له بناتٌ أربعٌ وكان لا يزوّجهنّ غَيْرَةً فاستمع عليهنّ يوما وقد خَلَوْنَ يتحدّثْنَ فقالت قائلة منهنّ لتقل كلُّ واحدة منكنّ ما فى نفسها ولنَصْدُقْ جميعا قال فقالت كُبْراهُنّ

ألا ليتَ زوجى من أُناسٍ ذَوِى غِنًى ٭ حَدِيثُ الشَّبابِ طَيِّبُ النَشْرِ والذِكْرِ

لَصُوقٌ بأكباد النساء كأنه ٭ خليفةُ جانٍ لا يُقِيمُ على هَجْرِ

قال وقالت الثانية ألا ليتَه يُعْطَى الجمالَ بديئةً ٭ له جَفْنَةٌ تَشْقَى بها النيبُ والجُزُرُ

له حَكَماتُ الدهرِ من غيرِ كَبْرَةٍ ٭ تَشِينُ فلانٍ ولا ضَرْعٌ غُمْرُ

(أخذ التجارب وهو مأخوذ من حَكَمَةِ اللجام ش) فقُلْنَ لها أنت تريدين سيدًا فقالت الثالثة

اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانوار والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهممهم أرفع وهم من جميع الأمم أخفر ولأيامهم

ألا هل تراها مرّة وحليلها • أشمّ كنصل السيف عين المهنّد

عليما بأدواء النساء ورهطه • اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم واسم مثله) فقلن لها أنت تريدين ابن عمّ لك فقد عرفته وقلن للصغرى ما تقولين فقالت لا أقول شيأ فقلن لا ندعك وذاك انك اطّلعت على أسرارنا وتكتمين سرّك فقالت زوجي من عود خير من قعود قال فخطبن فزوّجهن جميعا ثم أمهلهن حولا ثم زارا الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما مالكم قالت الابل قال وما هي قالت نأكل لحمانها مرعاها ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زارا الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتولد السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زارا الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبخ بها نعما فقال لها جذو ومعنية ثم زارا الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (أشبه امرأ بعض بزه رواية) فأرسلها مثلا قال علي بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قول لها وأمر مغويتهن يتبعن فقال اما تراهن يمرن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه قول الثانية له جفنة تشقى بها النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهي المسنّة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال أوس ابن حجر • تشبّه نابا وهي في السنّ بكرة • وتقدير نيب من الفعل فعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا في الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك ميأسر ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن كسرت النون لتصح الياء ولو كانت واوا في الاصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفا الا وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لان التقدير فعل ولو كان

أذكر وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم اعراب العجم كما ان هذيلا اكراد العرب لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا غراس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم تكن هممهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلاد وكانت هممهم الى ذلك مصروفة وكانت لهذه

على فعل لصحت الياء والواو كما تقول بيع وقول وفعل قد يجمعونه على فعل كقولهم اسد واسد ووثن ووثن وقولها تشتهي بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع نمر فالضرع الضعيف والنمر الذي لم يجرب الامور ويروى ان الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب بن أبي صفرة وقتله عبد ربه الصغير وهرب قطري عنه تمثل فقال لله در المهلب والله لكأنه ما وصف لقيط الايادي حيث يقول

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

ما زال يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته ... مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أيها الامير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قطري في المهلب فسر الحجاج بذلك سرورا تبين في وجهه وقولها كنصل السيف عين المهند فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتي ومحتدي فالمحتد الاصل قال الشاعر

وفي السير من قحطان أولاد حرة ... عظام اللها بيض كرام المحاتد

وقوله مال عميم يقول جامع أخذه من عم يعم وقوله جذوة معنية فالجذوة جمع جذوة وهي القطعة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جذوة من النار وتجمع أيضا جذا قال ابن مقبل

باتت حواطب سلمى يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عود دعر وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الاجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال في هذا المعنى هيمان وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل فشاربون شرب الهيم قال هي الابل العطاش وقال ذو الرمة (يصف حميرا)

فراحت الحقب لم تقصع صرائرها ... وقد نشحن فلاري ولا هيم

(الحقب البيض الاعجاز من الحمير) ويقال قصع صأرته اذا روي والصأرة شدة العطش والنشوح ان تشرب دون الري يقال نشح ينشح ومثله تغمر اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هيماء يافتى وقولها لا ينقعن أي لا يروين يقال

المعاني والأسباب مسخرة ومصورة عليها وموصولة بها أحكموا ذلك الأمر بأسره وأتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم في الحرب ونخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة وأهل الصين في الصناعات والاعراب فيما عددنا ونوعنا وكالساسان في الملك والسياسة ومما يستدل به على انهم قد استقصوا هذا الباب واستفرغوه

نقعت ماشية بني فلان بري اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النَقْع ويقال النقع في غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النَقْع بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حببت نُعْمٌ الينا بوجهها * مساكن ما بين الوتائر والنَقْعِ

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنَقْع الصراخ قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق * يحلبوه ذات جرس وزجل

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى وانما يراد به انه قد حل محل من لا يبصر البتة اذا لم يعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل أصم قال الله جل ذكره صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ كما قال جل ثناؤه أم على قلوب أقفالها وكذلك انك لا تُسْمِعُ الموتى ولا تُسْمِعُ الصُمَّ الدعاء وقوله عز وجل كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وتقول العرب أبلد من راعي الضأن ويقال أحمق من راعي ضأن ثمانين (قوله أحمق من راعي ضأن ثمانين المثل لكسرى في أعرابي خيره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) وتحدث عمرو بن بحر قال كان يقال لا ينبغي لعاقل ان يشاور واحدا من خمسة القطان والغزال والمعلم وراعي ضأن ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل في مثل هذا لا تدع أم صبيك تضربه فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الاحنف بن قيس اني لأجالس الاحمق الساعة فأتبين ذلك في عقلي وقال جل ثناؤه في صفة النساء أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وحدثت ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أتى المدينة فاقام بها فغنى في ذلك يقول

يا خليلي قد ملأت ثوائي * بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شيعه معه الاحوص بن محمد فلما زالا ودان صارا اليهما نصيب فقضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال اني رأيت كثيرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير البنا فقال الاحوص أهو يصير اليكم هو والله أعظم كبرا من ذلك قال فاذا نصير اليه فصاروا اليه وهو جالس على حلد كبش فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشي ثم أقبل على القرشي فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فاحسنت في كثير من شعرك ولكن خبرني عن قولك

قالت لها أختها نعاتبها * لا تفسدن الطواف في عمر

وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ان السيف الى ان يتقلده متقلد ويضرب به ضارب قدر على أيد كثيرة وعلى طبقات من الصناع كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه لان الذي يذيب حديد السيف ويميعه ويصفيه ويهذبه غير الذي يمده ويمطه والذي يمده ويمطه غير الذي يطبعه ويسوي متنه ويقيم خشيبته والذي يطبعه ويسوي متنه سوى الذي

(كذا وقعت الرواية لا تفسدن على النهى والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن)

قُومى تَصَدَّى له ليُبْصِرَنا * ثم اغْمِزِيه يا أخت فى خَفَرِ

قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى * ثم اسْبَطَرَّتْ تشتد فى أثرى

والله لو قد قلت هذا فى هِرَّة أهلك ما عَدَا أردت ان تَنْسُبَ بها فنَسَبْتَ بنفسك هكذا يقال للمرأة انما توصف بالخَفَر وأنها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولَوْلَا انْ أرى أمَّ جَعْفَرٍ * بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ

وما كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذا الهَوَى * اذا لم يَزُرْ لا بد أن سيزور

لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفر * وانى الى معروفها لفقيرُ

قال فامتلأ الاحوص سرورا ثم أقبل عليه فقال يا أحوص خَبِّرْنى عن قولك

فان تَصِلِى أصِلْكِ وان تَعُودى * لِهَجْرٍ بعد وصلك لا أُبالى

أما والله لو كنت من فُحُول الشعراء لَبالَيْتَ هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نُصَيْب

بَزَيْنَبَ المِسْمِ قبل أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ * وقُلْ ان تَمَلَّيْنا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن اخبرنى عن قولك يا أسْوَدُ

أهِيمُ بَعْدَكِ ما حييتُ وان أمُتْ * فواحَزَنَا من ذا يَهِيمُ بها بعدى

كأنك اغتممت ان لا يفعل بها بعدك ولا يكنى فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفِرْقَةُ وهى لُعْبَةٌ على خطوط فاستواؤها انقضاؤها (قال أبو الحسن الطَّبِينُ هى السُّدَّرُ فاذا زيد فى خطوطه سَمَّتْه العربُ الفِرْقَةَ وتسمية العامة السُّدَّر) قال وحُدِّثْتُ ان كُثَيِّرًا دخل على عبد الملك ابن مَرْوانَ وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف تَرَى فقال حجازى مُجُوعٌ مقرور دَعْنى أَضْغَمْه يا أمير المؤمنين فقال كثير من هذا يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مَهْلًا فهلا ضَغَمْتَ الذى يقول

لا تطلبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِبٍ * فالزَنْجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

والتَّغْلِبِىُّ اذا تنحنح للقِرَى * حَدَّ استَه وتَمَثَّلَ الأمثالا

(أخوالا منصوب على الحال ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الاخطل فما أجابه بحرف

يسقيه ويرهفه والذى يسقيه ويرهفه غير الذى يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه والذى يعمل مسامير السيلان وشاذى القبيعة ونعل السيف غير الذى ينحت خشب غمده والذى ينحت خشب غمده غير الذى يدبغ جلده والذى يدبغ جلده غير الذى يحليه والذى يحليه ويركب نصله غير الذى يخرز حمائله وكذلك السرج وحالات السهم والجعبة والرمح وجميع السلاح مما هو خارج

قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر ❁ والتغلبي اذا تنبح القرى ❁ وهو أبلغ قال وخبرت ان نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل مَلَل وكانت تضيف في ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فافضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يقنا ولها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن أوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فغزلت أم حبيب (أي مالت الى أن يتغزل بها) فقالت بل الشعر فقال

ألا حيّ قبل البين أم حبيب ● وان لم تكن مناغدا بقريب
وان لم يكن اني أحبك صادقا ● فما أحد عندي اذا بحبيب
تهام أصابت قلبه ملمة ● غريب الهوى واها لكل غريب

وحدثت أن نصيبا أتى عبد الملك فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره وسرّ به فوصله ثم دعا بالغداء فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأملني قال قد أراك فقال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوّه ووجهي قبيح ولست في منصب وانما بلغ بي مجالستك وموأكلتك عقلي وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه فاعفاه وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه وقد أكلا هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكني أمنع أهل عملي منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاعفاه وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا لرجل من أهله فقال قد فعلت قال أوحرمد قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لاني كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا لمدحي فأعجب به مسلمة فقال اسألني قال لا أفعل قال ولم فقال لان كفّد بالعطية أجود من لساني بالمسئلة فوهب له ألف دينار وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده

وقد رأينا جاحورا منعّمة ● بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع فقال أحصي خطأك تباعدت في قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرمة

أوجنة والتركي يعمل هذا كله بنفسه من ابتدائه الى غايته ولا يستعين برفيق ولا يفزع الى رأي صديق ولا يختلف الى صائغ ولا يشغل قلبه بعطله وتسويفه واكاذيب مواعيده ويغرم كراه وليس في الارض كل تركي كما وصفنا كما انه ليس كل يوناني حكيما ولا كل صيني حاذقا ولا كل اعرابي شاعرا فائقا ولكن هذه الأمور في هؤلاء أعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر قد قلنا في السبب الذي تكاملت به

لَمياءُ في شَفَتَيها حُوَّةٌ لَعَسٌ • وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِها شَنَبُ

ثم أنشده في أخرى

كأنَّ الغُطامِطَ من جَرْيِها • أراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجو غِفارا

(وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع) فقال له نصيب ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفارا قَطُّ فاستحيا الكميت فسكت قال أبو العباس والذي عابه نصيب من قوله تَكامَلَ فيها الدل والشنب قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يَجْرِ على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها وأول ما يحتاج اليه القول أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ وأن يوضع على رسم المشاكلة وخُبِّرْتُ أن عمر بن لَجَأ قال لابن عم له انا أشعر منك قال له وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر

وشِعْرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بينه • لسانُ دَعِيٍّ في القَريضِ دَخيلُ

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحُطَيئة له لما نزل في بني كليب بن يربوع تركت الذروة والعدد ونزلت في بني كُلَيْبٍ بَعْرِ الكَبْشِ يقال بَعْرٌ وبَعَرٌ وشَعْرٌ وشَعَرٌ وشَمْعٌ وشَمَعٌ ويقال للصَّدْر قَصٌّ وقَصَصٌ وكذلك نَهْرٌ ونَهَرٌ وزعم الاصمعي أنه سأل أعرابيا وهو بالموضع الذي ذكره زُهَيْرٌ

ثم اسْتَمَرُّوا وقالوا انَّ مَشْرَبَكُمْ • ماءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أو رَكَكُ

قال الاصمعي فقلت لاعرابي أتعرف رككا فقال لا ولكن قد كان ههنا ماء يسمى رَكًّا فهذا ليست فيه لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة أتبع الحرف المتحرك الذي يليه الساكن ما يشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن رِبْعٍ (ش ر ب ح ي) الهذلي

اذا تجاوبَ نَوْحٌ قامَ مَتْأَمُه • ضَرْباً أليما بسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلدا

يريد الجِلْدَ فهذا مطرد (قال ابن القُوطِيَّة لَعَجَ الحُبُّ قلبه والصَّرْدُ جسدَه أحرقه) ومن مذاهبهم المطردة في الشعر أن يُلْقوا على الساكن الذي يَسْكُن ما بعده للتقييد حركةَ الاعراب كما قال الراجز (قال ابن السِّيد أحسبه لعَبيد بن ماوِيَّةَ) • أنا ابنُ ماوِيَّةَ اذ جَدَّ النَّقُرْ • يريد النَّقُرْ يا فتى وهو النَّقْرُ بالخيل فلما أسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذي قبلها (النُّقَيْرُ صوت باللسان يُسَكَّنُ به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس

أُخَفِّضُه بالنَّقْرِ لما عَلَوْتُه • ويَرْفَعُ طَرْفاً غيرَ جافٍ غَضيضِ)

النجدة والفروسية في الترك دون جميع الامم في العالم التي من أجلها نظموا جميع معاني الحرب وهي معان تشتمل على مذاهب غريبة وخصال عجيبة فمنها ما يفضي لأهله بالكرم وبعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على الادب الشديد والرأي الأصيل والفطنة الثاقبة والبصيرة النافذة ألا ترى انه ليس بدا لصاحب الحرب من الحلم والعلم والحزم والعزم والصبر

وشبيهٌ بهذا قولهُ عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ * من عَنَزِيٍّ سبَّنى لم أَضْرِبُهْ

أرادلم أضربْهُ يافتى فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء وكان ذلك فى الباء أحسن لخفاء الهاء وقال أبو النجم * أقول قَرِّبْ ذا وهذا أَزْحِلُهْ * يريد أزحلهُ يافتى (أقول قَرِّبْ ذا وهذا ازْحَلُهْ كذا عن ش) وقال طَرَفَةُ حابِسِى رَبْعٌ وقفتُ به * لو أُطيعُ النفسَ لم أَرِمُهْ

ولم يَلْزمه رد الياء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هى حركة الهاء وأما قول الشاعر حديثُ بَنى بَدْرٍ اذا ما لَقيتَهم * كَنَزْوِ الدَّبَى فى العَرْفَجِ المُتَقارِبِ

فليس كقوله وشعرٍ كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضُؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال بعضه فى بعض والذى يُحْمَدُ الجَهارةُ والفَخامةُ وأُنشِدْتُ لرجل قال يمدح الرشيد

جَهيرُ الكلامِ جَهيرُ العُطاسِ * جَهيرُ الرُّواءِ جَهيرُ النَّغَمْ

ويَخْطُو على الأَينِ خَطْوَ الظَّليمِ * ويَعْلو الرجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ

(الرجل هو العُمانىُّ الشاعرُ وقوله عمم أى جسيم والاين الاعياء ويكون الاين الحية وهى الأَيْمُ) ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيُذَنِّبُ ازاره ويباعد بين خُطاه فاذا رجع بيده كاد يَفْتِنُ مَنْ يراه فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشعر ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل مُتماوِتٍ فقالت ما هذا فقالوا أحدُ القُرَّاء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أَسْمَعَ واذا مشى أسرع واذا ضرب أَوْجَعَ ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُتَماوِتٍ فَخَفَقَهُ بالدِّرَّة وقال لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أتته وُفودُ من الروم وقام السماطان فَأُتِىَ برجل منهم وعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فى السماطين فَأَخْفَى عَطْسَتَهُ فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوَفْدِ هَلَّا اذ كنتَ لئيم العُطاس أتبعت عَطْسَتَكَ صيحةً حتى تخلع بها قلب العِلْجِ وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حُنَيْنٍ يا عباسُ اصْرُخْ بالناس ويروى ان غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صَباحاه فاستسقطت الحوامل لشدة صوته وقد طُعِنَ فى قول النابغة الجَعْدىّ

(وأَزْجُرُ الكاشِحَ العَدُوَّ اذا اغـ * ـتابَكَ عندى زَجْراً على أَضَمِ)

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السِّباعَ اذا * أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ

والكتمان ومن الثقافة وقلة الغفلة وكثرة التجربة ولا بد من البصر بالخيل والسلاح والخبرة بالرجال وبالبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكايد وبما فيه صلاح الامور كلها والملك يحتاج الى أواخ شداد وأسباب متان ومن أمتنها سببا وأعمها نفعا مائبته فى نصابه وسكنه فى قراره وزاد فى تمكينه وبهائه وقطع أسباب المطمعة فيه ومنع أيدى البغاة من الاشارة اليه فضلا عن البسط عليه قد قلنا

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يغير على الغنم فيفتق
مرارة السبع فى جوفه (يروى زجر أبى عروة السباع بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار
على هذا يعرف بأبى عروة السباع مثل ذلك) فقال من يطعن فى هذا السبع أشد أيدا من الغنم
فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أنست بهذا منه
والصوت الرائع انس لمن أنس به كالرعد القاصف الذى لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع
ولو جاء أقل منه من جوف الارض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتد وجملة هذا
البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الاعراب وحدث ان الحسن
نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان أمر هذا آخره لجدير بان يزهد فى أوله وان أمر هذا أوله
لجدير بان يخاف آخره وقيل لرجل من أشراف العجم فى علته التى مات فيها ما بدء قال فكر عجيب
وحسرة طويلة فقيل مم ذاك فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا
مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

بأى اعتذار أم بأية حجة • يقول الذى يدرى من الامر لا أدرى
اذا كان وجه العذر ليس ببين • فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لا يحملنك الخروج من أمر
تخلصت منه على الدخول فى أمر لعلك لا تتخلص منه وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك
فقال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقبل علتى وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب صديقا له
من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كنت غيبتنى فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع
صديق لى فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خفقت له
صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خللا سدها أو حسنة عدها وان وعدك لم يجرضك وان
كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك قال أبو العباس وامتدح
نصيب عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا
الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره لابيض وان ثناءه
لعربى ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى

فى مناقب جميع الاصناف مجمل ما انتهى الينا وبلغه علمنا فان وقع بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه عز ذكره وان قصر دون ذلك فالذى قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا واسماعنا وربما حسنه الذى نضمر من المحبة والاجتهاد فى القربة فلا نرجع فى ذلك الى أنفسنا بلائمة وبين التقصير من جهة العجز وضعف القوة فرق ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسائل

وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا توجرت فقال انى أبذل مالى واضن بعقلى وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف وخبرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ما ترك لك أبوك قال ترك لى مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيأ هو خير لك مما ترك أبوك انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم وقيل لحريم المرى وهو المنبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الامن فانه ليس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال وقال المهلب بن أبى صفرة العجب لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال خالد بن عبد الله القسرى محض الجود ما لم تسبقه مسئلة وما لم يتبعه من ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة وقال بعض المحدثين وهو (حبيب) الطائى

أسائل نصرا لا تسله فانه ٭ أحن الى الايراد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية

لا تسألن المرء ذات يديه ٭ فلربما رقت من رغبت اليه
المرء ما لم ترزه لك مكرم ٭ فاذا رزأت المرء هنت عليه
وكما يكون لديك من عاشرته ٭ فكذاك فارض بأن تكون لديه

ودخل الفرار العذرى على معاوية فى عباءة فاحتقره فرأى ذلك الفرار فى وجهه فقال له يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فلما سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه ودخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك فى ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسى أو أقول الفقر فأشكو ربى وحدثنى التوزى قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك فى ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة

والجوابات وكان كل صنف من هذه الاصناف يريد الاستقصاء على صاحبه ويكون غايته اظهار نفسه وان لم يصل الى ذلك الا باظهار نقص أخيه وليه لكان كتابنا كبيرا كثير الورق عظيما ولكن القليل الذى يجمع خيرا من الكثير الذى يفرق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسأله العون والتسديد انه سميع قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه فى حجج النبوة)

ليست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة منك (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية فى الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه) ما طعامك قال الخبز والزيت قال أما انا أجمعهما قال اذا أجمعهما تركتهما حتى أشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعنى بعينه فمات من تلك العلة (قال ابن الاعرابى لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلقه وأزلقه وشقذه وشوهه ويقول الرجل اذا أجاد فى عمله لا تشوه على أى لا تقل لى أجدت فتصيبنى بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشائه وشقذ وشقذان) ونظر اعرابى الى رجل جيد الكدنة فقال يا هذا انى لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراس ودخل أبو الاسود الدؤلى (اسم أبى الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بنى عبد الدار بصرى تابعى ثقة من أصحاب على من كتابه) على عبيد الله بن زياد فى ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول

كساك وما استكسيته فشكرته * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت ماذما * بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وحدثنى الرياشى قال دخل أبو الاسود الدؤلى على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله هزأ به يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة ترد عنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذى أفنيت جدته * كر الجديدين من آت ومنطلق

لم يترك الى فى طول اختلافهما * شيأ أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هى المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم * طفلة زانها أغر وسيم

يتقى أهلها العيون عليها * فعلى جيدها الرقى والتميم

وقال أبو ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كأنه كالمقدار الذى وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعنى الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام وقال بعض المحدثين ذكرناه بقول

الحمد لله الذى عرفنا نفسه وعلمنا دينه وجعلنا من الدعاة اليه والمحتجين له فنحن نسأله تمام النعمة والعون على أداء شكره وان يوفقنا للحق برحمته انه ولى ذلك والقادر عليه والمرغوب اليه فيه وصلى الله على محمد وآله وسلم انا قائلون فى الاخبار ومخبرون عن الآثار ومفرقون بين أسباب الشبهة وأسباب الحجة ثم مفرقون بين الحجة التى تلزم الخاصة دون العامة ومخبرون عن الضرب الذى

أبي الاسود

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاء في حَلَكٍ ٭ فصرتُ أرتاعُ للسوداء في يَقَقِ

مَنْ لم يَشِبْ ليس يمْلاقا حليلتَه ٭ وصاحبُ الشيبِ للنسوان ذو مَلَقِ

قد كنَّ يَفْرَقْنَ منه في شَبيبتِه ٭ فصار يَفْرَقُ ممن كان ذا فَرَقِ

ان الخضابَ لَتَدْليسٌ يُغَشُّ به ٭ كالثوبِ في السوقِ مطويا على حَرَقِ

ويروى يُطْوَى لتَدْليسٍ على حَرَقٍ وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبي تمّام

طال انكاريَ البياضَ وان عُمِّرْتُ شيباً أنكرتُ لونَ السَّوادِ

وحدثني الزياديُّ قال قيل لاعرابي ألا تَخْضِبُ بالوَسْمة فقال لم ذاك فقال لتَصْبُوَ اليك النساء فقال أما نساؤنا فيَرِدْنَ بنا بديلاً وأما غيرهن فما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ وقال العُتْبيُّ

وقائلةٍ تَبَيَّضَ والغَواني ٭ نوافرُ عن معالجةِ القَتيرِ

(ويروى معالجة بكسر اللام فمن فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء)

عَلَيْكِ الخِطْرَ عَلَّكِ أن تَدَنَّى ٭ الى بيضٍ تَرائبُهُنَّ حُورِ

فقلتُ لها المَشيبُ نذيرُ عُمْرِي ٭ ولَسْتُ مُسَوِّداً وَجْهَ النَّذيرِ

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المُهَلَّبيُّ

صَبَغْتُ الرأسَ خَتْلاً للغواني ٭ كما غَطَّى على الرِّيبِ المُريبُ

أُعَلِّلُ مرةً وأُساءُ أخرى ٭ ولا تُحْصَى من الكِبَرِ العُيوبُ

أُسَوِّفُ توبتي خمسينَ عاما ٭ وظَنِّي أن مِثْلِي لا يتوبُ

يُقَوَّمُ بالثِّقافِ العودُ لَدْناً ٭ ولا يَتَقَوَّمُ العودُ الصَّليبُ

وقال مالك بن دينار جاهدوا أهواءكم كما تُجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشدَّ فطامَ الكبير وقال آخر

٭ دَعِي لَوْمِي ومَعْتَبَتي أُماما ٭ فاني لم أُعَوِّدْ أن أُلاما

وكيف مَلامتي اذ شابَ رأسي ٭ على خُلُقٍ نشأتُ به غُلاما

وقيل لاعرابي ألا تُغَيِّرُ شيبَك بالخضاب فقال بلى ففعل ذلك مرة ثم لم يُعاوِدْ فقيل له لم لا تُعاوِدُ الخضابَ فقال ياهَناهُ لقد شُدَّ لَحْيايَ فجعلت اخالُني ميتا وقال بعض المُحْدَثين وهو محمود الوراق

ياخاضبَ الشَّيْبِ الذي ٭ في كل ثالثة يَعودُ ان النُّصولَ اذا بدا ٭ فكأنه شيبٌ جديدُ

يكون الخاصة فيه حجة على العامة وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ولم خفي وأصله قوي وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه وعن الحاجة الى رواية الآثار والى سماع الاخبار وعن أخلاق الناس وآبائهم ومذاهب أسلافهم وعن سير الملوك قبلهم وما صنعت الايام بهم وعن شرائع أنبيائهم

وله بديهة لوعة ٭ مكروهها أبداً عتيد فدع المشيب لما أرا ٭ د فلن يعود كما تريد

وقال محمود أيضا

أليس عجيباً بأن الفتى ٭ يُصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باكٍ له موجع ٭ وبين معزٍّ مُعزٍّ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب ٭ فليس يُعزّيه خَلقٌ عليه

وقال أيضا

ياخاضب الشيبة ثُم فقدها ٭ فانما تُدرجها فى كفن
أما تراها منذ عاينتها ٭ تزيد فى الرأس بنقص البدن

وقال أيضا

اغتنم غفلة المنية واعلم ٭ أنما الشيب للمنية جسر
كم كبير يوم القيامة يُقصى ٭ وصغير له هنالك قدر

(قال أبو الحسن يقال جِسْرٌ وجَسْرٌ وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجَسْرُ) وقال أعرابى (هو أبو النجم)

قالت سُلَيمى أنت شيخ أزْعَرُ ٭ فقلتُ ماذاكِ وانّى أصْلَعُ ٭ ثم حسرتُ عن صفاة تَلْمَعُ
فاقبلت قائلة تسترجع ٭ ما رأسُ ذا الا جبينٌ أجْمَعُ

وقال آخر وهو رُؤْبة

قد تركَ الدهرُ صفاتى صَفْصَفا ٭ فصار رأسى جَبْهةً الى القفا
كأنه قد كان رَبْعاً فعفا ٭ يمشى ويُخفى للمنايا هَدَفا

وكان نَصْر بن حَجّاج بن عِلاط السُّلَمى ثم البَهْزى جميلا فعَتَر عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصْلَع لم يبق من شعره الا حفافٌ كذلك قال الاصمعى فقال نصر بن حجاج

لَضَنّ ابنُ خَطّاب على بُجُمّة ٭ اذا رُجّلَتْ تهتز هَزّ السلاسل
فصَلّع رأسا لم يُصَلّعْه رَبُّه ٭ يَرِفُّ رفيفا بعد أسْود جائل
لقد حسَدَ الفُرْعانَ أصْلَعُ لم يكن ٭ اذا ما مشى بالفَرْع بالمتخايل

قوله بالفرع المتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذى يختال بالفرع فيكون قد قدّم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بدل التى تقع بعد مَرْحَبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى فى الكتاب المُقْتَضَب وقال آخر

تُغَطّى غُمَيْرٌ بالعمائم لُؤْمَها ٭ وكيف يُغَطّى اللُّؤْمُ طَىُّ العمائم

واعلام رسلهم وعن أدب حكمائهم وأقاويل أئمتهم وفقهائهم وعن حالات من غاب عن أبصارهم فى دهرهم ولم كان الاخبار على الناس أخف من الكتمان ولم كان الصمت أثقل عليهم من الكلام وما الضرب الذى يقدرون على كتمانه وطيه والضرب الذى لا يقدرون الا على اذاعته ونشره ولم اجتمعت الأمم على الصدق فى أمور واختلفت فى غيرها ولم حفظت أمورا ونسيت

فان تضربونا بالسياط فاننا ● ضربنا كم بالمرهفات الصوارم

وان تحلقوا منا الرؤس فاننا ● حلقنا رؤسا باللهاوالغلاصم

وان تمنعوا منا السلاح فعندنا ● سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جلاميد املاء الاكف كانها ● رؤس رجال حلقت بالمواسم

وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتى العطار فيقول اذهنى دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك وكان ذا جمة حسنة فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدى فاذا ذكر حوشية وهى امرأة كان يشبب بها (حوشية بنت أبى قديد بن قرة ولها مع يزيد حديث طريف) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضى به دينه وفى ذلك يقول

قضى غرمائى حب أسماء بعدما ● تخوفنى ظلم لهم وفجور

فذلك دأبى ما حييت وما مشى ● لثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثورا السلطان فامر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق لمتى ● بعقفاء مردود عليها انصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ● بهذا ولكن عند ربى ثوابها

الا ربما يا ثور فرق بينها ● أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مذرى العاج فى مذلهمة ● اذا لم تفرج مات غما صؤابها

فجاء بها ثور ترف كانها ● سلاسل برق لينها وانسكابها

ورحت برأس كالخبيزة أشرفت ● عليها عقاب ثم طارت عقابها

خدارية كالشربة الفرد جادها ● من الصيف أنواء مطير سحابها

سواها ولم كان الصدق أكثر من الكذب ولم كان الصمت أثقل والقول أفضل والعجب من ترك الفقهاء تمييز الآثار وترك المتكلمين القول فى تصحيح الأخبار وبالأخبار يعرف الناس النبى من المتنبى والصادق من الكاذب وبها يعرفون الشريعة من السنة والفريضة من النافلة والحظر من الاباحة والاجماع من الفرقة والشذوذ من الاستفاضة والرد من

(باب)

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقرى

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ● ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

اذا ما أصبت الزاد فالتمسى له ● أكيلا فانى لست آكله وحدى

قصيا كريما أو قريبا فانى ● أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

وانى لعبد الضيف مادام ثاويا • وما من خلالى غيرها شيمة العبد

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيره وقوله فصيا كريما من طريف المعانى وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط فى نسبته الكرم لانه قد ضمن ذلك واشترط فى القصى ان يكون كريما لانه كره ان يكون مواكله غير كريم وهذا ليس من الباب الذى ذكره جرير حيث يقول فى هجائه بنى هزان

ضيفكم جائع ان لم يبت غرثا • وجاركم يا بنى هزان مسروق

رأيت هزان فى أحراح نسوتها • رحب وهزان فى أخلاقها ضيق

وقال آخر من المحدثين وهو يحيى بن نوفل أنشده دعبل

كنت ضيفا ببرمنا يا لعبد الله والضيف حقه معلوم

فانبرى يمدح الصيام الا ان • صمت يوما ما كنت فيه أصوم

ثم أنشا يستام برذونى الورد • د ملحا كما يلح الغريم

(قال الاخفش يروى برذونى الزرد وهو الاصفر)

ولعمرى ان ابن قيلة اذ يستـ ـام برذون ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السجستانى بقوله لابن دعلج وكان ابن دعلج يتوالى بنى تميم

اذا جئت الامير فقل سلام • عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلى غريم • من الاعراب قح من غريم

لزوم ما علمت بباب دارى • لزوم الكهف أصحاب الرقيم

له مائة على ونصف أخرى • ونصف النصف فى صك قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن • حبوت بها شيوخ بنى تميم

(زاد أبو الحسن أتونى فى العشيرة يسألونى • ولم آك فى العشيرة بالمليم

قال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) وجار قيس بن عاصم بن سنان ابن خالد بن منقر بن عبيد تاجرا خمارا فشرب شرابه وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال افد نفسك وقال فى ذلك

وتاجر فاجر جاء الاله به • كأن عثنونه أذناب أجمال

(قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب الى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية) وقال النمر بن تولب

المعارضة والنار من الجنة وعامة المفسدة والمصلحة فاذا نزلت الاخبار منازلها وقسمتها ذكرت حجج الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائله وشرائعه وسننه ثم جنست الآثار على أقدارها ورتبتها فى مراتبها وقربت ذلك واختصرته وأوضحت عنه وبينته حتى يستوى فى معرفتها من قل سماعه وساء حفظه ومن كثر سماعه وجاد حفظه بالوجوه الجليلة والأدلة الاضطرارية ولم أرد فى

اذا كنتَ فى سَعْدٍ وأُمِّكَ منهمُ ٭ غريبا فلا يغرُرْكَ خالُكَ من سعد

فان ابن أخت القوم مُضْنًى اناؤُهُ ٭ اذا لم يُراحِمْ خالَهُ باب جَلْد

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَيْسَ بن عاصم على صدقات بنى سعد فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعدُ فى بنى مِنْقَرٍ وقال

مَنْ مُبْلِغٌ عنى قريشا رسالةً ٭ اذا ما أتتها مُحْكَماتُ الودائع

حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العام مِنْقَرًا ٭ وأيأستُ منها كلَّ أطْلَسَ طامع

وجاور عُرْوَةُ بن مُرَّةَ أخو أبى خِراشٍ الهُذَلِىّ ثُمالةَ من الأزْد فجلس يوما بفِناء بيته آمنًا لا يخاف شيأ فاستدبره رجل منهم من بنى بَلَّالٍ بسهم فقَصَمَ صُلْبَهُ ففى ذلك يقول أبو خراش

لَعَنَ الالهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ ٭ غَدَروا بعُرْوَةَ من بنى بَلَّالِ

وأُسِرَ خراشُ بن أبى خراش أسرته ثُمالةُ فكان فيهم مقيما فدعا آسِرُهُ يوما رجلا منهم للمنادمة فرأى ابنَ أبى خراش موثَقًا فى القِدِّ فأمْهَلَ حتى قام الآسِرُ لحاجة فقال المَدْعُوُّ لابن أبى خراش مَنْ أنت قال أنا ابن أبى خراش فقال كيف دَلِيلاكَ قال قَطاةُ قال فقم فاجلس ورائى وألْقَى عليه رداءَهُ ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصْلَتَ بالسيف وقال أسيرى فتَثَلَ الجبرُ كنانته وقال والله لأَرْمِيَنَّ ان رُمْتَه فانى قد أجرته فخَلَّى عنه فجاء الى أبيه فقال له من أجارك فقال والله ما أعرفه فقال أبو خراش وقال الرواة لا نعرف أحدا مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خراش

حَمِدْتُ الهى بعد عُرْوَةَ اذ نَجا ٭ خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعض

فوالله لا أنْسَى قتيلا رُزِيتُهُ ٭ بجانب قُوسَى ما مَشَيْتُ على الارض

بَلَى انها تَعْفُو الكُلُومُ وانما ٭ نُوَكَّلُ بالأدْنَى وان جَلَّ ما يَمْضِى

ولم أدْرِ مَنْ ألْقَى عليه رداءَهُ ٭ على انه قد سُلَّ عن ماجد مَحْضِ

(ولم يَدْمَ مَثْلوجَ الفُؤادِ مُهَيَّجًا ٭ أضاعَ الشَّبابَ فى الرَّبيلةِ والخَفْضِ

ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخامِصٌ ٭ على أنه ذو مِرَّةٍ صادقُ النَّهْضِ)

كأنهم يَسْعَوْنَ فى أثَرِ طائرٍ ٭ خفيفِ المُشاشِ عظمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يبادِرْنَ جُنْحَ الليلِ فهو مُهابِذٌ ٭ يَحُثُّ الجناحَ بالتَبَسُّطِ والقَبْضِ

هذا الكتاب جمع حجج الرسول عليه السلام وتفصيلها والقول فيها لبغض مسها أو لوهن كان فى أصلها من ناقليها والمخبرين عنها أو لان طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ونقض قواها ولكن لامور سأذكرها واحتج وكيف تقصر الحجة عن بلوغ الغاية وتنقص عن التمام والله تعالى المتوكل بها ومسخر أصناف البرية ومهيج النفوس على ابلاغها وقد أخبر بذلك عن نفسه

قوله قبح الاله وجوه قوم رضّع فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو تو كيد للئيم كما يقولون جائع نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذى يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحبّ شئ اليه أن يكون له ٭ حلقوم وادله فى جوفه غار

لا تعرف الريح ممساه ومصبحه ٭ ولا يشبّ اذا أمسى له نار

لا يحلب الضرع لؤما فى الاناء ولا ٭ يرى له فى نواحى الصحن آثار

وقوله كيف دليلك فهى كثرة الدلالة والفعيلى انما تستعمل فى الكثرة يقال القتيتى لكثرة الشيمة ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل يقال ذكرك هجيراى أى هو الذى يجرى على لسانى وفى الحديث كان هجيرى أبى بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله ويقال كان بينهم رميا الكثرة الرمى وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قوسى فهو بلد تحله غمالة السراة وقوله بلى انها تعفو الكلوم فهى الجراح والآثار التى تشبهها قال جرير

تلقى السليطى والابطال قد كلموا ٭ وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرحال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذى نحض النحض اللحم يقال يأكل نحضا ويروى الرجال محضا وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعى شديد وفى جماعة من القبائل التى تحلّ بأكناف الحجاز ولقى الزبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبى بكر الصديق رحمه الله الحطيئة فى طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال انا أبو مليكة أنا حسب موضوع فقال له الزبرقان انى أريد هذا الوجه ومالك منزل فامض الى منزلى بهذا السهم فسل عن القمر بن القمر وكن هناك حتى أعود اليك ففعل فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بنى قريع وذلك أن الزبرقان من بنى جهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسدوه بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الا قريع وعطارد وجهدلة وكان الذين حسدوه منهم بنو لأى بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسّوا الى الحطيئة أن تحوّل الينا نعطك مائة ناقة ونشد كل طنب من أطناب بيتك بحلة بحرينية قال فانّى لى بذلك قالوا انهم يريدون الجمعة فاذا احتملوا

فتخلف

فى محكم كتابه عز ذكره حيث قال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأدنى منازل الاظهار اظهار الحجة على من ضاره وخالف عليه وقال عز ذكره يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وأخبر انه أمر الاحمر والاسود ولم يكن ليأمر الاقصى كما يأمر الادنى ويأمر الغائب على الحاضر قال الله تعالى لنبيه عليه السلام

فتخلّف عنهم ثم دسّوا الى امرأة الزبرقان من خبّر بأن الزبرقان انما قدّم هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك فى قلبها فلما تحمل القوم تخلف الحطيئة فاحتملته القُرَيْعِيّون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقان صار اليهم فقال ردّوا علىّ جارى فقالوا ليس لك بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة

وانّ التى نكّبتها عن معاشر ٭ علىّ غضاب انْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

أتت آلَ شمّاس بن لأْى وانما ٭ أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ

فان الشقىّ من تُعادى صُدورُهُم ٭ وذا الجَدّ من لانوا اليه ومَنْ وَدُّوا

يَسوسون أحلاما بعيدا أناتُها ٭ وان غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدُّ

أقِلُّوا عليهم لا أبا لابيكم ٭ من اللوم أوسُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا

أولئك قوم ان بَنَوْا أحسنوا البُنَى ٭ وان عاهدوا أوْفَوْا وان عقدوا شَدُّوا

وان كانت النعماءُ فيهم جَزَوْا بها ٭ وان أنعموا لا كَدَّر وها ولا كَدُّوا

وان قال مولاهم على جُلّ حادث ٭ من الدهر رُدُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا

وتَعْذُلُنى أفناءُ سعد عليهمُ ٭ وما قلتُ الا بالذى علمتْ سَعْدُ

قوله جلة محونة أى ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نكّبتها يقول عدلت بها وقوله والحسب العِدُّ معناه الجليل الكثير وأصل ذلك فى الماء يقال بئر عِدٌّ اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عِدٌّ وقوله يسوسون احلاما بعيدا أناتها يقول ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخرها وأصل الاناة من التأنّى والانتظار فيقول لا يُبْلَغُ آخرها فتُسْفَهَ وقوله أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البُنى وان شئت قلت البنا فهما مقصوران يقال بَنَى بِنْيَةً وبُنْيَةً فجمع بِنْية بِنًى وجمع بُنْيَة بُنًى فبِنْيَة وبِنًى ككِسْرة وكِسَر وبُنْيَة وبُنًى كظُلْمة وظُلَم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسنا وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوْفَى أحسن اللغتين يقال وَفَى وأَوْفَى قال الشاعر فجمع اللغتين

أما ابن بيض فقد أَوْفَى بذمته ٭ كما وَفَى بقلاص النجم حاديها

وفى القرآن بَلَى مَنْ أَوْفَى بعَهْده وقال الله تبارك وتعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فهذا كله على أَوْفَى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى

وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا فاقول ان كل منطيق محجوج والحجة جنتان عيان ظاهر وخبر قاهر فاذا تكلمنا فى العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف فى أصله وفرعه منه ولا بد من التصادق فى أصله والتعارف فى فرعه فالعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم

من انه قتل مسلما بمعاهد وقال انا أولى من أوفى بذمته وقال السموءل فى اللغة الاخرى

وفيت بادرع الكندى انى * اذا عاهدت أقواما وفيت

وقال المكعبر الضبى (قال أبو الحسن حفظى المكعبر)

وفيت وفاء لم ير الناس مثله * بتعشار اذ تحبوا الى الاكابر

وقوله وان كانت النعماء فيهم جزوابها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

يقول ما قال جرير مثله وانى لاستحيى أخى أن أرى له * على من الحق الذى لا يرى ليا

يقول أستحيى ان أرى نعمته على ولا يرى على نفسه لى مثلها وقوله على جل حادث فهو الجليل من الامر يقال فلان يدعى للجلى قال طرفة * وان أدع للجلى أكن من حماتها * وفيهم يقول الحطيئة

لقد مريتكم لو ان درتكم * يوما يجى بها مسحى وابساسى

لما بدا لى منكم غيب أنفسكم * ولم يكن لجراحى فيكم آسى

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم * ولا ترى طارد الحر كالياس

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم * فى بائس جاء يحدو آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله * وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم * وجرحوه بانياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المرى المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها التدر ويقال مرى الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الاخرى قال الشاعر

اذا حط عنها الرحل ألقت برأسها * الى شذب العيدان أو صفنت قرى

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الادب (الشعر لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عودته فيما أزور حبائبى * اهماله وكذاك كل مخاطر)

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

الدليل والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ولا بد لكل واحد منها من صاحب وليس لابطال أحدهما وجه مع ايجاب الآخر والعقل نوع واحد والدليل نوعان أحدهما شاهد عيان يدل على غائب والآخر مجىء خبر يدل على صدق ثم رجع الكلام الى الاخبار عن دلائل النبى صلى الله عليه وسلم وأعلامه والاحتجاج لشواهده وبرهانه فاقول ان السلف الذين جمعوا

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولِمَراه موضع آخر ومعناه مَرَاهُ حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرئ أَفَتُمَارُونَهُ على ما يَرَى أى تدفعونه وعلى فى موضع عن قال العامرى (هو القُحَيْفُ العُقَيْلى)

اذا رَضِيَتْ علىَّ بنو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أعجبنى رِضاها

وبنو كَعْبِ بن رَبيعةَ بن عامر يقولون رضى الله عليك وأما الإبساس فان تدعو الناقة باسمها أو تُلَيِّنَ لها الطريق الى الحَلَبِ بقول أو مسح أو ما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تَدُرُّ على الدعاء والمَلْقِ قيل ناقة بَسوسٌ وذلك من صفاتها فى حسن الخُلُق وقوله ولم يكن لجراحى فيكم آسى يقول مداوٍ والآسى الطبيب قال الفرزدق يصف شَجَّةً

اذا نَظَرَ الآسونَ فيها تَقَلَّبَتْ ... حَمالِيقُهُمْ من هولِ أنيابِها العُصْلِ

والإساءُ الدواء ممدود قال الحطيئة

هُمُ الآسونَ أمَّ الرأسِ لمَّا ... تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإساءُ

وأما الأَسَى فمقصور وهو الحُزْنُ من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تَأْسَ على القوم الكافرين وقال العَجَّاجُ

ياصاحِ هل تَعرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ... قال نَعَمْ أعرِفُهُ وأَبْلَسَا

... وانْحَلَبَتْ عيناه من فَرْطِ الأَسَى ...

فاذا قلت الأُسَى قصرتَ أيضا وهو جمع أُسْوةٍ يقال فلان أُسْوتى وقُدْوتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوةٌ حسنةٌ والرَّمْسُ التراب يقال رُمِسَ فلان فى قبره وأشعار الحطيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ولكنا نذكر منها شيأ مختارا فمن ذلك قوله

جَزَى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكَفِّهِ ... على خيرِ ما يجزى الرجالَ بعيضا

فلو شاء أذجئناه ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادف مِنَّا فى البلاد عَريضا

(كذا وقعت الرواية مِنَّا والصواب مَنْأً أى بُعدا مأخوذ من نَأَيْتُ اذا بَعُدْتَ ومنه النَّأْىُ) يقول كثرت محاسنه حتى كُذِّبَ ذامُّهُ فاستَغْنَى عن أن يُكْثِرَ مادحُهُ ثِقَةً بأنَّ هاجيه غيرُ مُصَدَّقٍ فاعتبِرْ هذا الكلام فانك تجدُ رأسا فى بابه ومن ذلك قوله

وانى قد عَلِقْتُ بحبلِ قومٍ ... أعانَهُمُ على الحسبِ الثَّراءُ

اذا نَزَلَ الشِّتاءُ بجارِ قومٍ ... تَجَنَّبَ جارَ بيتِهِمُ الشِّتاءُ

القرآن فى المصاحف بعد ان كان متفرقا فى الصدور والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقا غير محظور والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبى صلى الله عليه وسلم وبرهانه ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه فى مقامه وظعنه وعند دعائه واحتجاجه فى الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشك فى خبرهم الا الغبى

هُمُ الآسونَ أمَّ الرأسِ لمَّا ... تَوَاكَلَهَا الأطِبَّةُ والإساءُ

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

ألم أكُ نائيًا فدعوتموني ... فجاءَبَ المواعدُ والدعاءُ

فلما كنتُ جارَكُمُ أبيتم ... وشرُّ مواطنِ الحسَبِ الإباءُ

ولما كنتُ جارَهُمُ حَبَوْني ... وفيكم كانَ لو شئتم حباءُ

فلما أن مدحتُ القومَ قلتم ... هجوتَ وهل يحلُّ لي الهجاءُ

ولم أشتِمْ لكم حسبًا ولكن ... حَدَوْتُ بحيثُ يُستَمَعُ الحُداءُ

الجاهل والعدو المماثل لما استطاع اليوم ان يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهري معاند ولا متظرف ماجن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مغرور ولكان مشهورا فى عوامنا كشهرته فى خواصنا ولكان استبصار جميع أعياننا فى حقهم كاستبصارهم فى باطل نصاراهم ومجوسهم ولما وجد الملحد موضع طمع فى غنى يستميله وفى حدث عموه له ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء

ويروى ان الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة مرَّ بحسان بن ثابت وهو ينشد (ش أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفنات من الجمع الكثير)

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأسًا فقال حسان انظروا الى الأعرابى يقول ما أرى بأسا أبو من قال أبو مليكة قال حسان ما كنت على أهون منك حيث اكتنيت بامرأة ما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام وكان الحطيئة فى حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستدعاء الزبرقان عليه فى هذه القصة ولعمر يقول

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسبهم فى قعرِ مُظلمةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ

أنت الامامُ الذى من بعد صاحبه ... ألقتْ اليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ

ما آثروكَ بها إذ قدَّموكَ لها ... لكن بدا استأثروا إذ كانت الأثَرُ

ويروى عن أبى زيد الانصارى أنه قال ويروى الأثر والواحدة أثرة وأثرة ومعناه الاستئثار فرق له عمر فأخرجه فيروى أن عمر رحمه الله دعا بكرسى فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضج من ذلك فكان فيما قال له الحطيئة يا أمير المؤمنين انى والله قد هجوت أبى وأمى وهجوت امرأتى وهجوت نفسى فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذى قلت قال قلت لأبى وأمى والمخاطبة للام

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى • وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت لها تنحى فاجلسى منى بعيداً • أراح الله منك العالمينا

أغر بالاذا استودعت سراً • وكانوناً على المتحدثينا

(قوله كانونا قيل الكانون النمام وقيل الثقيل وقيل الذى اذا دخل على القوم كتموا حديثهم منه وقيل هو المصطلى وقيل انه هو كانون النار لانه يؤذى ويحرق) وقلت لامرأتى

أطوف ما أطوف ثم آوى • الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت فى بئر فرأيت وجهى فاستقبحته فقلت

أبت شفتاى اليوم الا تكلما • بسوء فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجهاً قبح الله خلقه • فقبح من وجه وقبح حامله

ونزل أعرابى من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبى جبر الفزارى فسمعه يوما يقول والله لوددت أنى أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالاً أم حراماً فقال ما أبالى فوثب عليه فضرب رأسه برحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة • على النأى أنى قد وترت أبا جبر

كسرت على اليافوخ منه رحالة • لنصر أمير المؤمنين وما يدرى

على غير شئ غير أنى سمعته • يبنى بنساء المسلمين بلا مهر

ويروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لى عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال من يعلم ذلك قال أنشدك الله رجلا سمع ذلك الا شهد به فقام رجل من الأسراء فقال قد كان ذلك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضى اياك قال ويحك عنه لصدقه وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولى والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم قال أفتمنعنى حقا قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء (وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى انما هو أبو مريم الحنفى وكان سبب بغضه اياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبى مريم اياس بن صبيح ثقة كوفى واسم أبى مريم السلولى

فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر واظهار البارز والاحتجاج الواضح الأن الذى دعا سلفنا الى ذلك الاتكال على ظهورها واستفاضة أمرها واذ كان ذلك كذلك فلم يؤت من أتى من جهالنا وأحداثنا وسفهائنا وخلفائنا الا من قبل ضعف العناية وقلة المبالاة ومن قبل الحداثة والغرارة ومن قبل انهم حملوا على عقولهم

مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره) وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه وكان يزيد بن أبى مسلم يرى رأى الخوارج ويكتم ذلك فأقبل على المرأة فقال انظرى الى الامير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الامير فقالت بل الويل لك أيها الكافر المرتد والردة عند الخوارج الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا وكان صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وصاحب دواوين العراق والذى قلب الدواوين الى العربية ثم كان على خراج العراق أيام ولى يزيد بن المهلب فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج فكايده يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل حواب الضبى وهو رأس من رؤس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله الحجاج فقتله وخبرت أنه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت يسبى الحجاج بناتى وكان يقول انى حين أقتل حواب الحريص على الدنيا فلما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قمامة وهو لما به فسمع يحكم عليها وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو باخر رمق فى سجن هشام بن عبد الملك ودخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والامر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والامر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر الجحيم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيه وعن يسار أخيه فحيث كانا كان

من دقيق الكلام قبل العلم بجليله ما لم تبلغه قواهم وتتسع له صدورهم وتحمله أقدارهم فذهبوا عن الحق يمينا وشمالا لان من لم يلزم الجادة تخبط ومن تناول الفرع قبل احكام الأصل سقط ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل ما لا يقدر عليه تفلت منه ما كان يقدر عليه فاذا كانوا كذلك فانما أتوا من قبل أنفسهم ولم يؤتوا من سلفهم أولان الله تبارك وتعالى صرف

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وهذا باب من تكاذيب الاعراب حدثنى أبو عمر الجرمى قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا أبا لكا ٭ وأنا أمشى الدألا حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم الدألا مشى كمشى الذئب يقال هو يدأل فى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرئ القيس

• أَقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّأَلانِ • ومن قال فى بيت ابن عَمَّةَ الضَّبِّ

(حَقِيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ) • تُعارِضُه مُرَبَّبَةٌ ذَؤُولُ

فانما أراد هذا ومن قال ذَؤُولُ فانما أراد السرعة يقال مر يَذْأَلُ اذا مر يُسْرِعُ وقوله حَوَالَكَا يقال هو يطوف حَوَالَهُ وحولَهُ وحَوَالَيْهِ ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفى القرآن نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فى النار ومن حولها وحوالَيْه تثنية حَوَال كما تقول حنانَيْه الواحد حَنَانٌ قال الشاعر

فقالتْ حَنَانٌ ما أَتَى بكَ ههنا • أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحىِّ عارِفُ

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحَنَانًا من لَدُنَّا وقال الشاعر (وهو الحُطَيْئَةُ) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تَحَنَّنْ علىَّ هداكَ المَلِيكُ • فانَّ لكلِّ مقامٍ مَقالا

وقال طَرَفَةُ

أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا • حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ

وحدثنى غير واحد من أصحابنا قال قيل لرُؤْبَةَ ما قولك

لو أنَّنى عُمِّرْتُ سِنَّ الحِسْلِ • أو عُمْرَ نوحٍ زَمَنَ الفَطْحَلِ • والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كمِثْلِ الوَحْلِ

مازمن الفطحل قال أيام كانت السلام رِطابًا قوله سن الحسل مَثَلٌ تضربه العرب فى طول العمر (ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) وأنشدنى رجل من بنى العَنْبَرِ أعرابىٌّ فصيح لعُبَيْدِ بن أيوب العَنْبَرِىّ

كَانَّى ولَيْلَى لم يكن حَلَّ أهْلُنا • بوادِ خَصِيبٍ والسَّلامُ رُطابُ

وحدثنى سليمان بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مولى العباس بن محمد قال تَكَاذَبَ أعرابيان فقال أحدهما خرجتُ مرةً على فرس لى فاذا بظلمة شديدة فَيَمَّمْتُهَا حتى وصلتُ اليها فاذا قطعة من الليل لم تَنْتَبِه فما زلتُ أحمل بفرسى عليها حتى أنْهَبْتُهَا فانجابت فقال الآخر لقد رميتُ ظَبْيًا مرة بسهم فَعَدَلَ الظبى يَمْنَةً فعدل السهمُ خلفه فتَيَاسَرَ الظبى فتَيَاسَرَ السهمُ خلفه ثم علا الظبىُ فعلا السهمُ خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه وتزعم الرواة أن عُرْوَةَ بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كِلَابٍ قال لابنى الجَوْنِ الكِنْدِيِّينَ يوم جَبَلَةَ ان لى عليكما حقا رِحْلَتِى ووِفَادَتِى فَدَعُونِى أُنْذِرْ قومى من موضعى هذا فقالوا اشْأَنَّدْ فصرخ بقومه بعد أن قال له شأنَّدْ فاسمعهم على مسيرة ليلة ويروى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ قال قالت ليلى بنت عروة بن زَيْدِ الخَيْلِ لابيها أرأيت قول أبيك

بنى عامرٍ هل تعرفون اذا غَدَا • أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدَّوابِرِ

أسلافنا بنسيان أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم فى آخر الزمان وليعرضهم لطاعته بالذب عن دينه والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم وليجرى هذا الخير على أيديهم كما أجرى أكثر منه على أيدى أسلافهم لئلا يخص أحد خليقته من العلماء والفقهاء ولان يجعل فضله مقسما بين جميع الأولياء وان كان الأول أحق بالتقديم والآخر أحق بالتأخير للذى قدموا من الاحتمال وأعطوا من المجهود ولانهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه والأصل أحق بالقوة من الفرع وهم السابقون ونحن التابعون وهم الذين وطؤا لنا

بجيش تضل البلق فى جراته * ترى الأكم منه سجدا للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى * كثير توالية سريع البوادر

ابت عادة للورد ان يكره الوغى * وحاجة رمحى فى غمير بن عامر

فقلت لابى أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه قال فذكرت هذا الابن أبى بكر الهذلى فحدثنى عن أبيه قال حضرت يوم جبلة قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فكانت الخيل فى الفريقين مع ما كان مع ابنى الجون ثلاثين فرسا قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمى وكان راوية أهل الكوفة فحدثنى أن خثعم قتلت رجلا من بنى سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمرى وما عمرى على بهين * لنعم الفتى غادرتم آل خثعما

وكان اذا ما أورد الخيل بيشة * الى جنب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها رهوا وعالا كانها * جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم انى لا أعرف الا فرسه قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقدوا بالدرع فان الفارس اذا حمى فعل ذلك وقوله تضل البلق فى جراته يقول لكثرته لا يرى فيه الأبلق والابلق مشهورا للمظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفن دماحنا * ولئن هربت ليعرفن الابلق

وجراته نواحيه وقوله ترى الاكم منه سجدا للحوافر يقول لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أى سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذى يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالى واللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن أتبعت بعضه بعضا والمثلية التى معها أولادها وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عبش راعيا فى أى ساكن ورعال جمع رعيل وهو ما تقدم من الخيل يقال جاء فى الرعيل الاول قال عنترة

اذ لا أبادر فى المضيق فوارسى * ولا أوكل بالرعيل الأول

وكلفونا مالم نكن لنكلفه أنفسنا فتجرعوا دوننا المرار ومنحونا روح الكفاية ولان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولان القرآن نطق بفضيلتهم والله تعالى أعلم بمن بعدهم والذى جمع أسلافنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد دون أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود والذين رأوا من قول عبد الله فى المعوذتين وقول أبى فى سورتى العرب ومن تعلق الناس بالاختلاف فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروى الحرف الشاذ ويقرأ بالحرف الذى لا يعرفونه فرأوا ان تحصينه لا يتم الا بحمل الناس على المقروء

وقوله زهته ريح نجد فأتهما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبي ربيعة

فلما توافقنا وسلمت أشرفت • وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة وزعم أبو عبيدة عمن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل بني تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصر به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة يومهما فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لقد فتر فجدا في طلبه فاذا بأثره قد بال فرغا في الارض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فترفاتبعناه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها كمكان تلك وانكسرت فوسه فارتزت قصدة منها في الأرض فنشبت فقالا قاتله الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه (ش يروى أتم بألف وتم بغير ألف ونم بالنون ومعنى تم الى قومه أي نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية ففي ذلك يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب • وعمرو بن كعب والمكذب أكذب

لئن كلتكما ان لم أكن قد رأيتها • كراديس يهديها الى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله • فوارس هماموا متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم وحدثني التوزي قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لي ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه ومن ذلك قول مهلهل ابن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب • فتخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا • وكيف لقاء من تحت القبور

كأنا غدوة وبني أبينا • بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحهم أشطان بئر • بعيد بين جاليها جرور

فلولا الريح أسمع من بحجر • صليل البيض تقرع بالذكور

(قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثار فلما أدرك

عندهم المشهور فيما بينهم وانهم ان لم يشددوا في ذلك لم ينقطع الطمع ولم يتزجر الطير لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها وفي لفظها وطبعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم ويجري على ألسنتهم ان يقول رجل منهم الحمد لله وانا لله وعلى الله توكلنا وربنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله في القرآن غير

مهلهل بثأر كليب قال أى زير فرفع أيا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أى زير أنا فى هذا اليوم)
قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوى وكان من أفصح الناس وأبلغهم
ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع ههنا فخرج الىّ وهو يقول خرج الىّ رجل كريم فلما
رأى الهاشمى استحيا من فخره بحضرته فقال أكرم الناس رديفا وأشرفهم خليفا فتحدثنا ملياً ثم
نهض الهاشمى فقلت لابى الربيع يا أبا الربيع من خير الخلق فقال الناس والله فقلت من خير الناس
قال العرب والله قلت فمن خير العرب قال مضر والله قلت فمن خير مضر قال قيس والله قلت فمن خير
قيس قال يعصر والله قلت فمن خير يعصر قال غنى والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله
قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيسرك ان تحتد بنت يزيد بن المهلب قال لا والله
قلت ولك ألف دينار قال لا والله قلت فألفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنة فأطرق ثم قال على ان

لا تلمنى وأنشد تأبى لاعصر اعراق مهذبة * من ان تناسب قوما غيرها كفاء
فان يكن ذاك حمالا مردله * فاذكر حذيفة فانى غير اباء

قوله اكرم الناس رديفا فان أبا مرثد الغنوى كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وأشرفهم خليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيفة أراد حذيفة بن بدر
الفزارى وانما ذكره من بين الاشراف لانه أقربهم اليه نسبا وذلك ان يعصر ابن سعد بن قيس
وهؤلاء بنو ربيث بن غطفان بن سعد بن قيس وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غنى

وباهلة والطفاوة أباهل ما أدرى أمن لؤم منصبى * أحبكم أم بى جنون وأولق
أسيد أخوالى ويعصر اخوتى * فمن ذا الذى منى مع اللؤم أحمق

فقال الباهلى يجيبه وكيف تحب الدهر قوما هم الأولى * نواصيكم فى سالف الدهر حلقوا
ألست فزاريا عليك غضاضة * وان كنت كنديا فانك ملصق

وتحدث الرواة بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن غير الثقفى وكان ينسب بزينب بنت يوسف
فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هلك يدى ضاقت بى الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها * لخلتك الا أن تصد ترانى

انه متفرق غير مجتمع ولو أراد أنطق الناس ان يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان ورأوا بفهمهم وبتوفيق الله تعالى لهم ان يحصنوه مما يشكل ويمكن ان يفتعل مثله من الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء وخافوا ان هم لم يتقدموا فى ذلك أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية لانهم حين رأوا كثرة الرواية فى غير ذوى السابقة ورأوا كثرة

ثم قال والله ان قلت الا خيرا انما قلت

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُّقَى * ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ معْتَجِراتِ

قال أجَلْ ولكن أخبرنى عن قولك

ولما رأتْ رَكْبَ التُّمَيْرِيِّ أعرضتْ * وكُنَّ مِنَ ان يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ

فى كم كنتَ قال والله ان كنتُ الا على حمار هزيل ومعى رفيقى على أتان مثله ومن ذلك ما يحكون فى خبر لُقمان بن عاد فانهم يصفون أن جارية له سُئلت عما بقى من بصره لدخوله فى السن فقالت والله لقد ضَعُف بصره ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ انه ليَفْصِلُ بين أثَرِ الانثى والذكر من الذَّرِّ اذا دَبَّ على الصفا فى أشياء تُشاكِلُ هذا من الكذب وحُدِّثْتُ أن امرأة عِمْران بن حِطَّان السَّدوسى قالت له أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر فقال لها أوكان ذاك قالت نعم قلتَ

فكذاكَ مِجْزَأةُ بنُ ثَوْ * رٍ كان أشجعَ من أُسامَهْ

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا فتح مدينة قطُّ ومِجْزَأةُ بن ثور قد فتح مدينة (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رئاسة بكر فلما أسنَّ فَعَلَ عثمان بن عفان رضى الله عنه ذاكَ مع ابنه شَقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على شُسْتَرَ هو والبراءُ بن مالك وكانا من أبطال المسلمين) ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو يُنْشِدُ فوقف عليه فقال

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى * انَّ لله ما بأيدى العبادِ

فاسْأَلِ اللهَ ما طلبتَ اليهم * وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ الجَوَّادِ

لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه * وتُسَمِّ البَخيلَ باسم الجَوادِ

وأنشدنى الحسن بن رجاء لرجل من المُحْدَثين لم يُسَمِّه (وهو بكر بن النَّطَّاح فى أبى دُلَفَ)

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كُلِّهم * سِوايَ فانى فى مَديحِكَ أكْذَبُ

وأنشدنى آخر لرجل من المُحْدَثين (أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح)

انى امْتَدَحْتُكَ كاذبا فأثبتنى * لما امتدحتُكَ ما يُثابُ الكاذبُ

قال الاصمعى قلت لاعرابى كنت أعرفه بالكذب أصدقتَ قطُّ قال لولا انى أخاف أن أَصْدُقَ فى هذا القلتُ لك وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدى كرب كان معروفا بالكذب وقيل لخَلَف

اختلافها والغرائب التى لا يعرفونها لم يكن لهم الا تحصين الشئ الذى عليه مدار الأمر وان كانوا يعلمون ان الله بالغ أمره فعلى الأئمة ان تحوط هذه الأمة كما حاط السلف أولها وان يعملوا بظاهر الحيطة اذ كان على الناس الاجتهاد وليس عليهم علم الغيوب وانما ذلك كنحو رجل أبصر نبيا يحيى الموتى فعرف صدقه فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنده فعليه ان لا يكتمه وان كان يعلم ان الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره وانه عز ذكره سيسمعه صحته على حبه وكرهه ورأوا ان قراءة زيد أحق بذلك اذ كانت آخر العرض

الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى القتال ويصدق فى الفعال وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مستعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأزرته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد حلأ أباثور ان قتيلك هو المحدث فقال ياهذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ما تسمع لترهب به هذه المعدية قوله مستعفين يقول مقدمين له يقال جاء فلان يرعف الجيش ويؤمهم الجيش اذا جاء متقدمالهم ويقال فى الرعاف رعف يرعف لا يقال غير رعف ويجوز يرعف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الاخبار ان شاء الله وقوله حلأ أباثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر • كما أكب على ذى بطنه الهرم • قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له ياهذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشئ قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص وقال القينى أنا أصدق فى صغير ما يضرنى ليجوز كذبى فى كبير ما ينفعنى وأنشد المازنى للاعشى وليس مما رويت الرواة متصلا بقصيدة

فصدقتهم وكذبتهم • والمرء ينفعه كذابه

ويروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فتكذبنى لولا سخاء فيد ومقد الله عليه لشردت بك من وافد قوم معنى ومقد احبك يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولى يلى وكذلك

ولان الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبى وعبد الله وان كان الكل حقا اذ كان رب حق فى بعض الزمان أقطع للقيل والقال وأجدر أن يميت الخلاف ويحسم الطمع فتركوا حقا الى حق العمل به أحق ولو أن فقيها رأى اطباق العلماء على صوم يوم عرفة واستنكارهم الافطار فيه فافطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة أو خاف ان يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه كان مصيبا ولكان قد ترك حقا الى أحق منه وللحق درجات وللخلاف

وسع يسع كانت السين مكسورة وانما فتحت للعين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر منقة كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم قال يارسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألنى رسول الله فان جحدت نقضت ماجعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد تركتهن جميع وشهد أعرابى عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابى الكاذب متزمل فى ثيابه فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ماكذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجدا عليه فقال معاوية هات فانشده

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا ياأبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزنى فقال له أقلت بعدنا شيأ قال نعم ياأمير المؤمنين فأنشده

لعمرك ما أدرى وانى لاوجل * على اينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التى أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية ياأبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئرى فما قال من شئ فهو لى وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزينة وحدثت ان عمر بن عبد العزيز كتب فى اشخاص اياس بن معاوية المزنى وعدى بن ارطاة الفزارى أميرا البصرة وقاضيها يومئذ فصارا اليه عدى فقرب ان يمزنه عند الخليفة فقال ياأبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدنى والله ما يسرنى أنى كذبت كذبة يغفرها الله لى ولا يطلع عليها الا هذا وأومأ الى أبيه ولى ما طلعت عليه الشمس

(قال أبو الحسن التمزين المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من أبى العباس وهى عندى مشتقة من

درجات وللحرام درجات ألا ترى ان لولى المقتول أن يقتل أو يصفح وانه ان قتل قتل بحق وان صفح صفح بحق والصفح أفضل من القتل ولو ان رجلا أخرج ساكنا بيته له أو اقتضى دينه له عند حلول أجله أو طلق زوجته وما دخل بها كان ذلك له وحق فعل وغير ذلك الحق أولى به وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن والثواب فيه أعظم والى سلامة الصدور أقرب وقد يكون الامران حسنين وأحدهما أحسن وقد يكون الامران قبيحين وأحدهما أقبح وبعد فعلى الناس طاعة الائمة فى كل ما أمروا به الا فيما تبين أنه معصية فاما غير ذلك فانه

المازن وهو النمل وبهذا سميت مازن كانه أراد منه أن يكثره ويروى يكثره قال القتبي المازن بيض النمل قال الشيخ قوله ان يمزنه عند الخليفة أى كانه يجعله سيد مزينة لانه كان مزنيا والصواب يمزره قال الموصلي • وانني مع ذا الشيب حلو مريرة • ولم يكن في القضاة وانما كان أميرا على البصرة الى ان مات عمر وكتب عمر الى عدى اجمع ناسا ممن قبلك وشاورهم في اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عديا اياسا) ويروى أن أخا اياس صار الى ابن هبيرة فقال طرقني اللصوص فحاربتهم فهزمتهم وظفرت منهم بهذا المغول فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فاحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فاخرج المغول فقال من عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملت هذا واشتراه مني هذا أمس (المغول سيف صغير)

(تم الجزء الأول من كتاب الكامل ويليه الجزء الثاني)

(وأوله باب ما يجوز فيه يفعل الخ)

واجب مفروض ولازم غير مدفوع وعلموا أيضا انهم لا يبقون الى آخر الزمان وان من يجيء بعدهم لا يقوم مقامهم ولا يفصل الامور تفصيلهم ولو عرفوا كمعرفتهم وأرادوا ذلك كارادتهم لما أطيعوا كطاعتهم وعلموا أن الاكاذيب والبدع ستكثر وان الفتن ستفتح وان الفساد سيفشو فكرهوا أن يجعلوا للمتطرقين علة ولأهل الزيغ حجة بل لاشك انهم لو تركوا الناس عامة يقرؤن على حرف فلان وكلما أجاز فيه فلان عن فلان لألحق قوم في آخر الزمان بهم من ليس منهم ولا يجرى مجراهم ولا يجوز مجازهم

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0061914550

893.783
M883

JAN 30 1967